

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

406

العدد الثالث ـ السنة الثامنة ـ رمضان 1384 ـ يناير 1965

في هذا العدد

العدد الثالث
السنة الثامنة
رمضان 1384
جانفي 1965

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
للمملكة المغربية ـ الرباط

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف
بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الثالث
السنة الثامنة
رمضان 1384
جانفي 1965

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة ((**دعوة الحق**)) رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد

وبعد...

الــف الناس في شهر رمضان المعظم ان يقضوا ايامه الفر ، ولياليه الطهر ، في عبادة خاشعة ، وتجل صامت ، اذ تسمو الروح وتتعالى عن كل انواع الماديـات التي تتدلى في دركهـا النفس البشرية في باقــي أيــام السنــة .

كمـا يتلقى فيه المومن الصائم دروسا مختلفة في الرحمة والشفقة ، والصحة والاجتمـاع ، ومكارم الاخلاق ، اذ يصوم المسلم المومن فيظل على الطوى ، ويـذوق الـم الصدى ، ويشعر بما يعانيه أخوه الفقير من ألم مرمض ، وجوع محـرق أليـم ، فيخفق قلبه ، ويجف لعابــه ويستشعر لباس التقوى ، ويستبطن حقيقة الدين .

لذلــك كان الصيام هو الوسيلة الكبرى منذ القدم لتاديب النفس ، وتهذيب الخلق ، وصفاء القلب ، وسمو الروح ؛ ومتى سمت الروح تحطمت الانانيـة ، وزال الطمع ، وتعارفت النفوس ، وتحابت القلوب على الاخاء المحض ، والقرابة الواشجة .

وشهر رمضان يذكي خمود العزم ، ويحرك ساكن الشوق ، الى المعرفة والعلم ، والحياة الفكرية والروحية التي تعتبر مناط التقدم عند الامم والشعــوب .

وهــو يمتـاز دون سائر الشهور بانبثاق الفكر المغربي الذي يخلق اجــواء يسبح المرء في اطباقها مع الملائكة . ففيه تنتظم حلقات الدروس العلمية والمحاضرات التثقيفية تقود كتائب الفكـر في ميادين الاصلاح على نهج واضح من الدين والخلق ، وتقـام في مختلف رحاب المعرفة والفنــون سواء في المستوى الحكومــي أو على صعيد المنظمات الشعبية ، كمـا تنظم محاضرات ، وندوات وابهاء ادبية وفكــريـة خاصة ينعم فيها المواطنون في هذا الشهر باشباع الروح والفكر بغــذاء فكــري مستساغ يرشــد الغــوي ، ويوجــه الحائــر .

وان ابــرز ما يمتاز به المغرب في هذا الميدان تلك الدروس الجامعــة التــي تلقى منذ القديم امام ملوك المغرب الامجاد ، والتي حرص حضرة صاحب الجلالــة نصره الله بحضوره فيها والذي يبسط عنايته ورعايته عليها اذ يقوم اجلة العلمــاء الذين يتبوأون مراكز التوجيه المرشد ، والتنبيه الموقظ والقيادة في الامــة ، بالقاء محاضرات تشهد بمـا للمغاربــة من لقانة الذهــن ، وقوة الحافظــة ، والقــدم الفارعــة في ضــروب المعرفــة .

وقـــد حرص صاحب الجلالـــة على ان يكون الضريح الحسني الذي تلقى فيه هذه الدروس نقطة التقاء العلمـاء من مختلف الجهات ، ثم اشعاع فكري وعلمي ناضج تغشى جلالته العيون ، وتملأ قداسته الصدور ، وتشع انـــواره الهادية في قلوب المومنين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياتـــه زادتهـــم ايمـــانـــا ، وعلى ربهـــم يتوكـــلـــون .

وانها لسنة حميدة يسير عليها المغرب منذ القديم اذ يربط الماضـــي المجيـــد بالحاضر الملح ، كما يرسم مخططات اصلاحية تتطلب تضافر الجهـــود ، واتحـــاد القـــوى ، وتنسيق العمل في نطاق الهدي الاسلامي الذي فيه الكفايـــة والرضـــى لبناء مجتمع اسلامي قوي متماسك ، شديد الاسر ، عـــارم القـــوة .

وهكـــذا تصبح الثقافة الاسلامية الصحيحة في هذا الشهر المبارك الاغـــر مشاعة بين الجميع ليست محتكرة لطائفة دون اخرى ، يزود الفرد قلبه من مذخور الخير بما يقويه على احتمال الفتن والمحن في دنيا الناس ، كما يقـــاوم تلك المبادىء الضالـــة التي اخذت تقرع ابوابنـــا من وراء البحـــار وخلف السهوب ، وتستهوي بعض النفـــوس المريضـــة بمبادئهـــا المضللـــة الخـــادعـــة .

كمـــا ان الدولة ترصد الاهب وتجند كل قواها لتحضير برامج هامة ، ثقافية وفنية ، عن طريق الاذاعة او التلفزة التي هي عبارة عن مدرسة شعبية كبرى يتحلق حـــولها النظـــارة في شوق غالب ، ليقضوا ســاعـــات عامـــرة بما فيه شهـــوات السمـــع والبصـــر والفكـــر .

ولا يكـــاد شهر رمضان الكريم يلفظ انفاسه الاخيرة ، حتى تطوى الصحف ، وتجف الاقلام ، ويعود الناس الى قواعدهم المادية الصاخبة ، فتنقضي تلك الدروس المثقفـــة المهذبـــة التي كانت نـــورا للقلب ، وجـــلاء للمشاعـــر ، وتنطفيء تلك الاشعاعات الذهنيـــة والفكـــرية تحت عتمـــة المادة القاسيـــة ، و :

كأن لم يكن بين الحجـون الى الصفـا ✲ انيس ، ولم يسمـــر بمكـــة سامـــر

وبعـــد ،

فكـــم نتمنى لهذه الحركة الفكرية والعلمية والادبية التي زخر بها شهر رمضان المعظم ، ان يكون لها امتداد في جميع ايام السنة ، وان تستمر بتشجيع المسئوليـــن المحترمين الذين يملكون من القدرة والامكانيات لتثقيف الشعب بما يغذيه ويهديـــه ويعاونـــه ثم يخلق منه انسانا متخلقا حرا ، لا متفسخا ولا مائعـــا .

وعلى المسؤولين المحترمين الذين يشرفون على اجهزة الاعلام ان يستغلوا اقبال الشعب على الثقافة ، وتهافته على العلم الصحيح والمعرفة الهادفـــة ، وان يحققـــوا ما نيط بهم من رجاء ، وما ألقـــي عليهـــم مـــن عبء .

فقـــد لا حظوا في هذا الشهر تتبعه للمناهج القويمة ، والبرامج الناجعة التي استوحوها من ظلال تلك الايام والتي كانت نتائج تخطيط منظم نرجو مخلصيـــن ان يستمر في اداء رسالته حتى يخرج مواطنين ، جمعـــوا بين متناقضيـــن لخصهمـــا المـــولـــى في قـــولـــه تعالـــى بوصف المومنيـــن :

((اشـــداء على الكفـــار رحمـــاء بينهـــم)) .

دعوة الحق

ذكرى الملك السلفي المصلح
مولانا محمد الخامس نور الله ضريحه

للأستاذ
محمد الطنجي

يقول الله تعالى : « واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات » . ويقول الرسول عليه السلام : « من أسدى اليكم معروفا فكافئوه » .

وبعد ؛ فاننا في وقت عبرة وذكرى لاب الشعب المغربي الذي اسدى لهذا الشعب خير معروف ، ذكرى بطل خالد ، واول مجاهد ، وزعيم رائد ، يعتبر في حركة التحرير الافريقية اعظم قائد ، هو المغفور له مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ، الذي ضرب المثل بنفسه واسرته في سبيل تحرير المغرب لرعيته ، بل لسائر الدول المغلوبة على امرها ، فاخذته هذه الرعية وكثير من الدول الافريقية ، عدوة عظيمة لنيل الحرية ، وللخلاص من سيطرة الاستعمار الاجنبية ، فبرز لميدان التحرير ، ابطال الفداء والتدبير ، والامة المغربية تسير كلها من ورائهم بكل اعجاب وتقدير ، تشد ازرهم ، وتزود حركتهم وتبارك اعمالهم حتى توحدت الصفوف حول الاهداف الوطنية، وادركت الامة بفضل قيادة رائدها العظيم اعز امنية ، هي نعمة الاستقلال ، وتحطيم قيود العبودية والاذلال، وحق لامة يقودها محمد الخامس ان تسعد بمساعيه وتحقق كل امانيه .

ومن الحق والانصاف ان توفيه هذه الامة ما يستحقه من تقدير ووفاء ، وتمجيد وثناء ، باقامة الذكريات ، وتلقين سيرته الكريمة لعموم الناشئين والناشئات ، لا في خصوص المدارس ، ولكن في المدارس والاندية والمجالس ، حتى تعتاد الامة باسرها سماع المبادىء والمثل التي كان يسعى عظيمها محمد الخامس من اجلها ، وفي هذه الذكرى نفسها تمجيد لمجيع شهداء الاستقلال الابرار ، وترحم عليهم وهم عند ربهم في دار القرار ، فاللهم تغمد الجميع برحمتك، واسكنهم فسيح جنانك ، مع الذين انعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقا .

فما كان هذا الشعب الابي وخصوصا ابطاله المغاوير ، الا عضدا وسواعد لفقيدنا المجاهد ، فالقائد بجنده ، والعرش بشعبه ، والرائد باهله ، وقائد الحركة لابد ان يعد ابطاله لخوض المعركة ، فماذا اعد محمد الخامس الذي نحتفل بذكراه لتحرير المغرب ؟ ان نواحي العظمة متعددة في بطل التحرير ، يحتاج استيعابها بالدراسة والتحبير ، الى اوقات وتفكير ، غير هذا الوقت القصير ، ولكنني سأتناول نواة فقط لهذه الحركة المباركة ، تلك النواة هي توعية الشعب وتفهيمه دروسا في تقويم عقيدته ، وتعليم ناشئته ، فقد ادرك محمد الخامس قدس الله روحه ان القيم الخلقية والعلمية هما المقومتان والحافظتان لكيان الامة ، لاسيما امة كونتها العقيدة الاسلامية الطاهرة ، وادركت عزها التاريخي والحضاري في ظل هذه العقيدة ، والشريعة الاسلامية العملية التي تغلغلت في اعماق هذا الشعب منذ ثلاثة عشر قرنا .

اما تقويم العقيدة فقد توزعت انواع من البدع المحدثة في الدين ميول هذه الامة ، وتبنت توجيهها مع الزمن طرق من المتصوفة ، بعضها سليم ، وبعضها الصق به من الذيول والخرافات ما جعل العقلاء يانفون من نسبة اعمالهم الضالة الى الاسلام ، فاعلنها مولانا محمد الخامس سلفية محضة ، تعيد للاسلام نقاوته ، وللمغاربة رشدهم في سبيل دعوة الحق ، وترك كل ما احدث في الدين ، حيث اتبع ما سلكه اسلافه المقدسون مولاي محمد بن عبد الله ومولاي سليمان ومن سلك سبيلهم ، وكان بجانب جلالته دعاة مصلحون ، امثال المرحوم العلامة الداعية محمد بن العربي العلوي ، والمرحوم العلامة المدني بن الحسني ، والفقيه الجليل الحاج محمد غازي حفظه الله وغيرهم الذين كانوا خير موجهين لنخبة شباب الامة الى الصراط المستقيم ، وانقذوا بهذه الدعوة السلفية طائفة هامة من الزيغ الخرافي باسم الدين ، ومن الانحراف والالحاد فيه ، فنشرت هذه النخبة المبادىء الاسلامية على وجهها ، سواء في المجلات والصحف او في المحاضرات الاذاعية والدروس والخطب الدينية بالمساجد ، حتى تماسكت الحال ، واختطت السلفية طريقها في المغرب بين الطرق الاخرى وعرف الجمهور معنى هذه الخطة الرشيدة : التي رفضت الجمود الذي خيم على هذا المجتمع ، وبينت ما الصق بالدين من الخرافات والبدع ، وحفظت كثيرا من العقول من الجحود ، حيث ادرك اصحابها ان الاسلام في اصله ينبوع صاف وشريعة كاملة صالحة لكل زمان ومكان، تكونت في ظلها حضارات ودول ، وترعرعت فيها علوم وفلسفات كانت ولا زالت احدى الحلقات العظيمة في سلسلة التاريخ العلمي والحضاري في حياة البشرية جمعاء .

واما قضية تعليم الناشئة فقد وجه مولانا محمد الخامس تغمده الله برحمته ، عناية كبرى لهذه الناحية ، فعمل جهده مع الادارة الحامية في الابقاء على التعليم الديني الذي كانت تريد القضاء المبرم عليه وكذلك في تقوية التعليم العصري فتحسنت الوضعية نوعا ما ؛ كما وجه رحمه الله نفسه لتشجيع التعليم الحر ماديا ومعنويا مع التنويه بالمساعدين له البانين لمدارسه والقائمين على تربية الطلاب فيه من الاساتذة تشجيعا بالغ فيه حتى ذكرهم في خطب العرش السنوية مع الذهاب بنفسه من غير ميعاد سابق لتفقد بعض المدارس في مختلف الجهات حتى عرفت هذه العناية في جلالته وصارت المدارس تسعى بكل جهد لتحسين وضعيتها العلمية والمظهرية حتى يجدها مولانا اذا تفضل بزيارتها على احسن الاحوال فتنال رضاه الابوي الذي هو من اعز اماني القائمين عليها ؛ وقد ضرب مولانا المثل بتعليم ابنائه تعليما عصريا ذا مشرب ديني عربي حتى كان يحضر بنفسه في بعض الاوقات دروس الاساتذة المعلمين لابنائه في المدرسة الخاصة ، وناهيك من كفاءة هذه التربية تثقيف ابناء البيت المالك تلك الثقافة العالية .

فماذا كانت نتيجة تقويم اعوجاج العقيدة وتعليم الناشئة ؟ كانت النتيجة ان استرد الشعب حماسه وحيويته ، وقوي ايمانه بنفسه وحقه في الحياة الكريمة بعد ان كان كيد الاستعمار مزق اوصاله ، وقتل آماله ، فنظم الاساتذة الدينيون والعصريون الاناشيد الاصلاحية والوطنية ، واتخذت مهرجانات عيد العرش صبغة شعبية ودينية هائلة حافلة بذكر امجاد المغرب ينظر اليها علماء الدين نظرهم للامامة الاسلامية التي يرجع اليها امر الحفاظ على الدين ومصالح الدنيا حسبما يعتقدون ويبثون ذلك في تعليم العقيدة الاسلامية للمسلمين من وجوب نصب امام تتوفر فيه شروط الامامة ويلتف حوله المسلمون حسب تقاليد الخلافة منذ الصدر الاول للاسلام وان تعددت فيما بعد ذلك فاستقل كل امام بقطر من اقطار المسلمين .

وينظر اليها المثقفون ثقافة عصرية حتى بعض المنحرفين نظرهم لرمز وحدة الامة الذي تتحد حوله الصفوف ويرون ذلك من الشروط الاساسية لتحقيق الغايات الوطنية العليا ، مما اضطر رجال الحماية الى الاعتراف رسميا بعيد العرش المغربي رغم معرفتهم بخطورة هذا المهرجان الوطني الشعبي الديني والسياسي ومحاولتهم المتكررة لصد تياره ودرء اخطاره او حصره على الاقل في دائرة محدودة ، فصار عيد العرش ومآثر الجالس عليه موسما شعبيا قوميا وسوقا ادبية تبارت فيه افكار الكتاب ، وتفتحت قرائح الشعراء ، وفي طليعة المهتمين صاحب الجلالة مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ، فكان لخطاب العرش السنوي دور هام وصدى بعيد المدى في جميع الاوساط ببيان المنجزات التي تحققت داخل السنة ، ومحاولة لابراز الخطوط الكبرى لسياسة هادفة وبرنامج محدد لسنة المقبلة ، وصار للشعب ذوق مرهف يتتبع به خطاب الملك وافكار الكتاب

وقصائد الحماس مما يزيد يقظته ويقوي رغبته في تحقيق المطامح الوطنية العليا ، وتبلورت الحركة بصفة جدية وعرف الملك ان وراءه شعبا واعيا جادا في انتزاع حقه مهما كان الثمن ، فتصلب في مواقفه ومطالبه الاستقلالية تسنده الحركة السياسية بمطالبها في عدة مراحل ، وحركة العمال الموحدة اذ ذاك في الخارج والداخل الجادة في تحقيق الاهداف العليا للوطن ، فضاقت الحماية ذرعا في هذا المجال ، وسولت لها نفسها الامارة بالسوء ان الدواء الناجع لكبت الاحرار وضمان الاستقرار في هذه الديار ، هو انتزاع اسدهم من وسط عرينه فجند رجال الحماية صنائعهم واذنابهم ، واغروا ذئابهم وكلابهم ، فحشدوا كتائب الزور واتخذوا الدجاجلة مطايا لكل غرور ، حتى وقعت الواقعة وتحمل عظيم المغرب مرارة الابعاد والمنفى في سبيل مجد امته فغضب الشعب الوفي لامتهان كرامته وثار مطالبا بحقه وارجاع صاحب امامته ، واستمر الكفاح المرير حتى عاد قائد الامة العظيم واسرته الكريمة محفوفا بالنصر والتهليل والتكبير بفضل ابطال الفداء المغاوير فاشرق فجر الحرية ونال المغاربة بفضل تعاون الملك والشعب اعز امنية ، وكان اصلاح العقيدة وتربية الناشئة على حب الوطن وامامه من اهم العوامل في السعي للحصول على هذا المطلوب .

وكل المغاربة يعلمون ان الاستقلال اخذ يستكمل فصوله بواسطة المفاوضات حتى تحقق الكثير منها ، وكما ان صروح عهد الاستقلال الجديد اخذت تشيد طبق الامكانيات والوسائل المحدودة ، وفي هذه الاثناء اختار الله لجواره ملكا ادى مهمته في حياة شعبه احسن اداء تاركا في هذا الشعب وارث سره خير خلف لخير سلف نابغ من نبغاء البيت العلوي العريق في المجد هو جلالة الملك امير المومنين وحامي حمى الوطن والدين ، مولانا الحسن الثاني الذي وجدت فيه الامة المغربية عزاءها الوحيد على فقيدها العظيم وفقيد الاسلام والعروبة مولانا محمد الخامس حفظ الله هذا الخلف الصالح ووفقه لعمل كل خير ، واعاد به للاسلام والعروبة عزهما التالد وحقق في عهده كل اماني شعبه ، انه جلت قدرته على كل شيء قدير .

الرباط : محمد الطنجي

« الايام مثل المزرعة »

قال ابن الجوزي : « الزمان اشرف من أن تضيع منه لحظة ، وهذه الايام ، مثل المزرعة ، فكانه قيل للانسان : كلما بذرت حبة اخرجنا لك الف كر . فهل يجوز للعاقل ان يتوقف في البذر ، ويتوانى ؟ . »

أثر العقيدة في المجتمع

للأستاذ : علال الفاسي

يعيش عالم اليوم في حيرة كبرى ، تتفق في ذلك شعوب الحضارة والتقدم والشعوب التي ما تزال تنشد طريقها ، ومع انهم جميعا يشعرون بهذه الحيرة ويشتكون منها فانهم لا يحاولون ابدا اتخاذ السبل اللائقة لتجلية اسبابها والبحث عنها بل انهم يخلطون المظاهر بالاسباب ، والعواقب التي تنتج عنها بما يكونها .

وعندنا في المغرب حينما تلتقي باي فرد من المواطنين يواجهك بشتى الشكايات من الحالة التي يعيش عليها هو وزملاؤه ، ومن الوضع العام في البلاد ، والمصائب الدينية والدنيوية التي تتوالى عليها ، فاذا سألته هل فكر قليلا في مصادر هذه المصائب ووسائل علاجها ، وجدته حائرا مضطربا ، يذكر لك عواقب الداء وكانه اسباب ، ويبحث في غير المجتمع الذي يشتكي من حيرته عن العلاج الذي ربما كان داء هو الآخر او عواقب داء في مجتمع آخر لا يقل حيرة عن بلادنا .

والقادة الذين ينتظر منهم ان ياخذوا بيد الامة ويسيروا بها في سبيل البحث عن الحقيقة ، وتعليمها طرق التفكير التي توصلها الى اكتشاف جرثومة الداء حتى تستطيع ان تبحث لها عن العلاج النافع ، هؤلاء القادة يفرون من الواقع الى السياسة، الى الاشتغال باساليب من شانها ان تضاعف المصيبة وتزيد في حيرة الشعب ، وفي تشككه في كل الذين يثق بهم او يرجو من اتباعهم خلاصا .

فما هي اذن الاسباب التي دفعت الجميع الى هذه الحيرة ؟ وما هي الوسائل المخرجة منها ؟

ربما كان في مستطاعي ان ارضيكم بالجواب السريع ، فاردد ما يقال عادة في مثل هذا المقام ، اي يجب ان نثور على الواقع ، وان نتحرك لتغيير ما بنا .

ولكنني لن ازيد على اتباع خطة اولئك الذين يفرون من الحقيقة مهاجرين الى عالم السياسة ، وتوجيه الجمهور لتاييدهم من اجل تغيير حكومة باخرى او نظام بآخر .

انني حينذاك ساكون من الذين يعملون على تغليط السائرين في اول نقطة لبداية المسير ، والذين يبدأون السير من نقطة الغلط سيصلون مخطئين للطريق ولا يمكن ان يصلوا الى شاطيء السلامة الذي ينشدونه .

فقبل ان نرفع قدمنا يجب ان نرى الموقع الذي سنطأه ، والى اين نريد ان نسير .

وهذه الغاية التي نضعها امامنا هل يمكن ان تكون اساس الفكر ام نتيجته ؟ لا شك ان الغاية انما هي نهاية يضعها المرء او المجتمع للخطوات التي يريد ان يخطوها ؟ ولكن الباحث الذي يحرك لنشدان تلك الغاية هو الذي يجب ان يكون اساس نظرته البعيدة وتفكيره في تحقيقها .

فالغاية نتيجة النجاح للعمل الذي نبذله .

والعمل ليس الا ثمرة للفكرة التي نتصورها .

والفكرة لا تصبح باعثا دافعا للعمل الا اذا اصبحت موضع اقتناع منا ويقين في قيمتها ، اي الا اذا اصبحت عقيدة لنا .

فالعمل اذن لا يتصور مجديا ومؤديا للغاية الا اذا كان ناتجا عن عقيدة راسخة في النفس ، تحس بها الى درجة انكشاف الطريق التي تحدونا للسير فيه والغاية التي تريد منا الوصول اليها .

وهكذا تمتزج في الواقع العقيدة بالغاية وتصبحان شيئا واحدا لا يتميزان في الذهن الا بما يتخللهما من العمل الذي لا بد منه لجمع الزمان في يوم الاتحاد الكامل بينهما .

ولكن العقيدة هي قبل كل شيء تجربة شخصية لكل فرد .

ومن العبث ان نحاول فصل الالهام الذاتي عن النظرية التي تصبح جزءا لا يتجزأ من الشخص .

واذا كانت مظاهر الحضارة التي يعيشها الانسان اليوم لا تترك له المجال لكي يخلو الى قلبه ويفكر مستلهما رؤاه ،

ومتبصرا فيما حوله ، فيكتفي بتلقف ملخصات الصحف او مـــا يسمعه من ثرثاري السياسة او يقرأه في كتب (الصاندويتش) فهل ينبغي لنا ان نقف مكتوفي الايدي ازاء هذه الحتمية الموهومة من حتميات العصر الحاضر ٠

كلا ، ان مصلحتنا كاناس قبل كل شيء ، تفرض علينا ان نتجه الى بذل مجهود للتحرر من عالم القيود الحديثة ، الى ميدان الثقافة العلمية التي تجعلنا نبحث عن طريق التجربة الخارجية والداخلية على السواء ٠

لقد اصبحت قوة الفرد مكبوتة في عالم كل ما تملكه فيه ان تكون جزءا من جمعية او من حزب او من طائفة معينة ، يجب علينا ان نمتثل ما يصدر الينا منها وما يفكر به مجموعها ٠

ولقد صدق الذين قالوا ان الديموقراطية عدوة الرأي العام، لان هذا الرأي يعتمد في الواقع على الشهرة والاشاعة ، ويضيع في ذلك روح الاقتناع التي لن تكون الا نتيجة البحث والنظر ، اي تجربة العقل والعلم ٠

ولقد ادرك ماركس الحقيقة حينما قال : لا ثورة بدون نظرية ، واذا اردنا ان نترجم هذه الجملة الى لغة عادية يمكن ان نقول : انه لا حركة بدون عقيدة ٠

وهذه حقيقة يمكن ان تجليها لنا التواريخ في سيرها ، فما من دين او مذهب ، ما من ثورة او انطلاقة مهمة الا وكان مصدرها التطور السياسي في فكر القائمين بها او الداعين اليها اي عقيدة آمن بها اولئك الثائرون وكانوا من حوارييها ٠

ويكفي ان ناخذ من ذلك مثلا ، ثورة الرسول محمد (ص) التي بدلت وجه التاريخ وحررت العوالم من عبودية عقلية واجتماعية مزمنة ، وسمت بالانسان الى درجات علية ، هل كانت الا ثمرة وحي تنزل على قلب محمد الامين ، فآمن به وصدقه قبل ان يتقدم ليدعو الناس اليه ويصدقوه ؟

فما ذا كانت نتيجة هذه العقيدة التي جاء بها محمد والتي آمن بها هو فارسلته يهدي الناس ويحررهم ؟ ٠

لست بحاجة لان اطنب في نتائج هذه الدعوة ، فالاسلام المنتشر في القارات الدنيوية من آثارها ، والحضارة الاسلامية من ثمارها ، والمعرفة الاسلامية كذلك من منبعها ٠

ولكن ما ذا كان اثر هذه العقيدة على المجتمع الذي اعتنقها؟

لقد رأينا العرب الذين كانوا يقودون الشاء والبعير ، ويتقاتلون على النقير والقطمير ويئدون البنات خوفا من العار ، ويعبدون الحجارة والصور ، ويخضعون لارستوقراطية تجارية تعيش من النخاسة ومن الربا ، وارقاهم لا يتعدى حدود التبعية لكسرى او لقيصر ، هؤلاء العرب تحولوا نهائيا من حالتهم ، بعد العقيدة الاسلامية ، فاصبحوا سادة الدنيا ، وهداة الارض ٠ حرروا انفسهم من الاصنام ، ونساءهم من الوأد ، واممهم من الطغيان ، وانسابوا في الارض يهدون الشعوب ويعلمون الامم ، ويبنون الحضارات ، وينظمون المعرفة ٠

ان الذين ينشرون الحيرة في اوساطنا اليوم ، بهجرتهم الى عالم السياسة يغفلون عن التذكير بتراثنا العقائدي، ويكتفون بالتوجه نحو العالم الجديد الذي يتقدم خطى فسيحة الى الامام باسم الديموقراطية الراسمالية او الاشتراكية العلمية ٠

اننا لا نجهل الجهود التي بذلتها شعوب اوربا وامريكا من جهة ، وروسيا والصين من جهة اخرى ٠ واذا كان في ذلك من علم نستفيده فهو ان بين الراسمالية والشيوعية ما بين متعارضين متناقضين ، ومع ذلك فان هذه الشعوب سارت من طرق مختلفة لغاية واحدة ، نتيجة لشيء مهما اختلف فهو متحد وهو الايمان بالقيم التي توجه كل طائفة والاعتقاد في المنهج الذي وضعوه لانفسهم ٠

فاوربا الغربية وجدت في القومية عقيدتها التي ساقتها الى التحرر من سيطرة الاكليروس وبنت ديموقراطية فردية تقوم على وحدة الامة وتضامنها في حقوقها وواجباتها ٠

وامريكا وجدت كذلك في عقيدة التحرر من السيطرة الاجنبية ، وحق الشعب في مراقبة نفقات الدولة ، ما حررها من سيطرة الانكليز وما دفعها لبناء مجتمع رأسمالي ولكنه متحضر وقـــوي ٠

وروسيا وجدت في عقيدة الاشتراكية العلمية ما حررها من سيطرة القياصرة ودفعها الى بناء مجتمع قائم على الشغل والتضامن في البناء ٠

اما الصين التي ظلت زمنا طويلا تحت عبء الفيودالية وسيطرة البراطرة حتى كادت ان تقع طعمة سائغة في فم الذين ارادوا تقسيمها من مستعمري الشرق والغرب ، فقد عبست من نومتها واعتقدت في الاشتراكية العلمية كما فهمتها هي، فانطلقت تبني نفسها ، وتضع ما عجز تاريخها كله عن فعله ، اي توحيد الامة الصينية في اتجاه واحد مبني على عقيدة واحدة ٠

ان هذه الشعوب كلها انبثقت من حضارات عظيمة لا يمكن انكار ما صنعته في التاريخ ، ومن ديانات او فلسفات لا يمكن تجاهل آثارها في رفع مستواهـا في التاريخ ، واخراجها من الطور البدائي الى عهد ارقى بما فيه من مادة ومن روح ٠

ولكن ظروف التطور التي طرأت عليها في مختلف عصورها جعلت طائفة منها وهي دول اوروبا الغربية والشرقية تدخل في تجربة خطيرة هي رباط الجامعة البابوية او الارثوذكسية ، فاصبحت بحكم طبيعة الاشياء ، مستعبدة لتحكم اكليروسي وفيودالية مستندة عليه ، وطبعا فان ذلك استوجب جمودا فكريا في وسط المستعبدين من ذلك النظام من قس ورهبان وحكام واشراف ، فتبلورت فكرة التمرد على هذه الاوضاع السيئة في فكرة القومية ، التي تعني توحيد الوطن وتحريره من الخضوع لسلطة الكنيسة العليا ، وتبعا لذلك الى حركة الاصلاح الديني التي رمت الى الرجوع لمصدر الديانة ، في بريطانيا والمانيا والتمرد على الكنيسة مع الاحتفاظ بالمسيحية التقليدية كما هي ، وتبعا لذلك الى فصل السلطتين الدينية والدنيوية عن بعضهما كما وقع في فرنسا .

ولست بحاجة لان اسجل ظروف الصراع الذي قام من اجل تحقيق هذه الاهداف بين رجال الكنيسة والفيودالية من جهة وبين الشعب والقادة من جهة اخرى ، لان ذلك ما هو معروف للجميع ، لانه التاريخ الذي يعلم في مدارسنا قبل تاريخنا .

وهذا الصراع ضد الكنيسة هو الذي تحول في الاسلوب الماركسي الى صراع ضد الدين من حيث هو ، وهو الذي تبنته روسيا في سبيل تحرير الشعب الروسي من سيطرة القياصرة وآباء الكنيسة الارثودوكسية الجامدة .

اما في الصين فالجمود الذي صاحب الفقهاء الصينيين طيلة تاريخهم والناتج عن صوفية انسانية اختلطت بها حكمة كونفشيوس مع فدادية بوذا اوقع في الشعب خمودا استغلته طبقة ذكية تمالات على امتلاك الارض واستعباد الفلاحين فكانت عقيدة العدالة الاجتماعية التي اقرها الدكتور سن ، والتي انبثقت تلقائيا من رد الفعل المتعقل عنده ضد الفيودالية الصينية ، خميرة الاشتراكية العلمية التي علمت الثورة الصينية الاخيرة ، وهكذا كان بالنسبة للصين ، كما ركس بالنسبة للاشتراكيين الاوربيين ، واصبح « ماوتشي تونغ » بمثابة لينين عند الروس .

فالعبرة اذن هي في ان الجمود وعدم الحركة يقتلان العقيدة ويجعلانها تبرز في صورة اخرى ، كعقيدة مستجدة لرسل جدد .

اما الاسلام كحركة ثقافية فهو يرفض مبدئيا كل رأي جامد للكون ويومن برؤية حركية (ديناميكية) فعقيدته ليست مجرد رؤيا شعرية تقف امام غوامض الكون موقف الشاعر الذي يبحث في عاطفته عن الجانب السحري الذي يغرقه في احدية مع المرأى دون ان يفكر في مصيره او مصير الكون الذي يريد ان يستمد منه ، وليست مجرد فلسفة تتسم بطابع الفرد الذي يتفلسف بها وقد يسبح ممتطيا مهوتها في عماء لا يتميز فيه السلب من الايجاب ؟ ولكنها تنقل نفسها من اطار الفرد الى اطار الجماعة لانها تخرق حدود الفرد وتوسع ميدان مطالبه ، وتضعه امام مرآة يبتصر بها الواقع نفسه ، وهي لذلك تضفي على المعتقد لها المطبق لاوامرها قوة تقتلع بها جذور اخلاقه واخلاق مجتمعه لتضع مكانها ما تؤثره هي من اخلاق ومن صفات .

ليست العقيدة الاسلامية انعكاسا لاحوال المجتمع ، ولكنها حركية لتغيير المجتمع وكل مجتمع ليس على صورتها ليصطبغ بالصبغة التي تعكسها العقيدة عليه فهي حينما اعلنها الرسول ، في الوسط العربي المتسم بسمة الجاهلية العربية لم تنتظر من ذلك الشعب الصحراوي الساذج البعيد عن مظاهر الحضارة الراقية وعروق الثقافة الانسانية ، ان يتطور تدريجيا ليصل الى الدرجة التي يمكنه ان يتمتع بالحقوق الذي اعطته او يقوم بالواجبات التي فرضت عليه .

لم يكن في العرب من يطلب من الحاكمين ان يحترموه فضلا عن ان يستشيروه في امور الدولة ولا يعملون شيئا بدونه ، ومع ذلك فقد رفعهم الاسلام في الحين حتى اصبحوا « وامرهم شورى بينهم) وهكذا في كل شؤون العدل وفي كل ضروب الاحسان .

واذا كان المجتمع العربي قد تحول حتى اعطى رجلا مثل عمر ابن الخطاب الذي لا مثيل له في الحاكمين وآخر مثل عمر ابن عبد العزيز وغيرهما من ابطال الحكم والسياسة والمعرفة . فقد ابت طبيعة الاشياء الا ان ينبثق من هذا المجتمع نفسه من يقومون برد فعل يعتبر (ضد ثورة) وياخذ بالمسلمين وجهة غير الوجهة التي ارادتها العقيدة ورسولها .

وليس ذلك بدعا من الانسان ، فقدا اعتاد ان ينحرف عن الفطرة زمنا ثم يهتدي بوساطة مرشدية الى الحق والى الصراط المستقيم . ولكن العقيدة الاسلامية ظلت المتحكمة مع ذلك في توجيه معتنقيها وظلت وحدها الضمان لازالة الانحراف والعودة الى الطريق ، لانها لم تعتمد على العاطفة وحدها ولكن على العقل ايضا ، فهي تحيا بقدر ما يعود للعقل مكانه في المجتمع ، وبقدر ما يميل الناس للتفكير والبحث عن ادراك الحقيقة والثورة والانحراف والتصرفات المختلفة ، ليست في نظر الاسلام الا تجربة انسانية يدخل فيها الفرد كما تدخل فيها الجماعة ولكنها سرعان ما تبرز تناقضاتها بنفسها للعقل الذي يحاول ردها لاقوم السبل ، ولكنه لا يفعل الا ان يمهد البعث للعقيدة التي تعود للمجتمع الذي آمن بها لتقوم معه بنفس الدور الاول الذي قامت به يوم خالطت بشاشتها قلبه ، (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة)

نعود الى المجتمعات الغربية والشرقية التي جلينا سبيلها ، لقد وصلت اوربا وامريكا ، وها هي ذي الصين في طريقهما الى اعلى درجة في الحضارة ، الى اعلى مقام في العلم ، وفي تسخير الكون والطبيعة لها ، والى حياة احسن ولا سيما من جهة المادة ، ولكن هل يمكن لاحد ان يؤكد سلامة هذه المجتمعات الراقية على اختلاف مناهجها وعقائدها ، رأسمالية او اشتراكية من تناقضات المجتمعات المنحلة السابقة ؟ لقد اصبح الاستبداد علامة الحكم في هذه الديار حتى التي تسمي نفسها بالديموقراطيات، ولقد اصبح اصدق وصف يمكن ان يقال لهذه الامم انها حكومات بوليسية ، ولا غرابة لان الرفاهية المادية والنمو الاقتصادي لم يواكبا في الوقت نفسه الايمان بعقيدة ترتفع الى اعلى لتبتصر الواقع من غير حجاب .

وستكون جامدين ، اذا غضضنا الطرف عن هذه الحقائق التي لا يكتم احد من ابناء هذه الدول وقوعها ، والجمود لا يساعدنا على تحقيق مفاهيم الاوضاع التي نريد مواجهتها .

لن يعلو بنا حب النهوض وادراك المكانة التي بلغتها الدول الاوربية الى كبت تفتحنا العقلي الذي لا يمكن ان يتم بمجرد التجديد في التقليد او اتباع اساليب الغرب دون ان نسمح لانفسنا بمقارنتها بما نحب ان نكونه لو عرفنا تراثنا الثقافي والحضاري ، وامكن لعقيدتنا الاسلامية ان تؤثر في مجتمعنا اثرها الذي يقلب الاوضاع ويصير الحديد ذهبا .

لن نحب ان نقع في الاغلاط التي وقع فيها اسلافنا يوم اتصلوا بالفلسفة اليونانية فحسبوا انها حقائق يمكن ان تسند عقيدتهم ولكنها شغلتهم عن تفهم الحقائق القرآنية ، ولقد صدق اقبال حين قال: «ان دراسة عميقة للقرآن ولمختلف المدارس الكلامية الناشئة تحت تأثير التعاليم الاغريقية ، تكشف لنا عن شيء غريب وهو ان الفلسفة اليونانية وسعت الى حد كبير آفاق نظرة المفكرين المسلمين ، ولكنها جعلت فهمهم للقرآن مبهما . فسقراط قصر اهتمامه على عالم الانسان ، لانه يعتقد ان احسن دراسة تليق بالانسان هي المتعلقة بالانسان ، ولا يريد ان يهتم بعالم النبات والحشرات والنجوم ، ولكن القرآن ينبهنا الى عوالم كثيرة ، كالنحلة التي تتلقى من وحي الله ، والرياح المسخرات بامره ، والنجوم والكواكب التي تسبح في عالم لا نهائي . وافلاطون يرى ان الحواس لا قيمة لها ، وان العبرة انما هي بالفكر ، ولكن القرآن يرى ان العين والسمع لهما قيمة كبرى ويجب ان يسخرا للعمل في سبيل الخير لانهما سيحاسبان على ما اتجها لرؤيته او سماعه .

لقد ضيع الطلبة المسلمون كل هذا في دراستهم الاولى ، مكتفين بمناقشة المنطق الصوري اليوناني . »

وحقا ان هذه الملاحظة من اقبال ، ترشدنا لنرى اليوم ماذا نضيع بعدم دراستنا للقرآن وعوالمه التي يرشد اليها ، حينما نكتفي بتحليل ديكارت او تجميع ماركس او هجرة سارتر الوجودية .

لقد احتفظ اسلافنا بالعقيدة واستودعوها بدراسة الانسان فحسب ، ولكننا نحن نضيع الانسان ونضيع العقيدة ، لاننا نتهافت على تبني آراء وعقائد لا يتاح لنا الوقت حتى لتحليلها او ربما حتى الى فهمها على الوجه المطلوب .

ان القرآن يفتح لنا آفاق النظر والوعي بالاتصال الموالي بالاله وبالكون ومن هنا نستوحي مرة اخرى عقيدتنا التي تدفعنا الى العمل البناء المثمر في غير تفريق بين المادة والروح .

ولكننا نجد انفسنا امام عوالم متراكمة من التاويلات المختلفة وحتى من الخرافات احيانا ، لان عصورنا المظلمة قد ضيعت اكثر من الحقائق وبلبلت في معرفتنا كثيرا من المفاهيم ، وازاء الكسل العقلي الذي يهمنا في هذا الوقت ، نرفض التعمق والدرس وننتقل الى كتابات جديدة اوضح واقرب لترضية كبريائنا الذي يابى الاعتراف بعدم الفهم او القدرة على تعمق الاشياء ، وهكذا عوضا عن دراسة تراثنا الذي تضطر احيانا للقيام بحفريات عنه ، نكتفي بدراسة ما يكتبه آخر المشهورين في الغرب لنقنع انفسنا اننا اصبحنا من التائرين الذين يقفزون بسرعة الى آخر طراز الفكر والادب .

هل يكفينا هذا النوع من المعرفة السريعة ؟ وهل يرفعنا هذا التشبه بالغرب الناهض لمستواه ؟ .

اني اشك في ذلك ، واعتقد انه لن يؤدي بنا الا الى تضييع عصور كثيرة في التقاط فتات الموائد الاجنبية ، والمساهمة في خدمة الفكر الغربي الذي لن يكون فكرنا ولن يعترف لنا بمقام الصدارة فيه .

هنالك فرق بين ان ناخذ من الغرب كل ما نستطيع من علم وحكمة وتقنية لندعم بها تراثنا وعقيدتنا مع الاحتفاظ بثقافتنا الخاصة وعقيدتنا التي هي كياننا وبين ان نكفر بانفسنا ونحاول التحول الى غربيين ولن نستطيع .

لو كان في الاسلام ما يمنعنا من النهوض او يحول بيننا وبين المعرفة ، او يعرقل تقدمنا لتحقيق عدالة اجتماعية ، ينقطع فيها استغلال الانسان لاخيه الانسان ، ويتم بها اتاحة الفرص للجميع ، لو كان شيء من ذلك موجودا في الاسلام لكان لنا عذر في البحث عن علاجات من غير صيدليته . اما وهو يفتح لنا كل الافاق الموجودة عند غيره والتي لا توجد الا عنده ، فكيف نسمح لانفسنا بعدم فهمه والاستجابة لندائه ؟

ابرز ما يجب ان يبعدنا عن التيارات المعاصرة ، انها اذا اعتنت بالروح اهملت المادة . واذا اعتنت بالمادة اهملت الروح ،

ونحن لا نعتقد انه يمكننا ان نحيا باجسامنا فحسب ، ولا نتصور ان نتحرك في هذا العالم بروحنا فحسب ولذلك لن نطمئن الا اذا سددنا جوعة الروح والعقل الى جانب جوعة الجسد ، وهذا ما لا نجده الا في منبع العقيدة الاسلامية التي آمنا بها .

وفي هذه العقيدة اذا تفهمناها ما يدفعنا الى البحث عن الهامات ذاتية تكشف لنا كما كشفت لاسلافنا طرق التقدم الى الامام لبناء عالم افضل يتفق وروحانيتنا وحاجاتنا الوقتية .

ان مجتمعنا يشكو من البلبلة ومن الفوضى في شؤونه . كما يشكو من عدم المساواة في فرص الكسب ، وذلك ما يستوجب اعادة النظر في انظمة حياتنا وفي وسائل معاشنا ، وفي اعادة توزيع الثروة عن طريق العمل المتاح للكل وهذا كله لا يتأتى الا اذا آمنا بوجودنا وحققنا ذاتيتنا الاسلامية عن طريق تفهمنا للتعاليم واقتناعنا بها . لان احدا غيرنا لا يستطيع ان ينقذنا من آفات الانحطاط ويصعد بنا الى درجات الرقي والتقدم .

والشباب الذي يتطلع اليوم ليقوم بدوره في حياة الوطن ، والذي لا يمكن ان يقع شيء في هذا البلد بدونه ، لانه عماد العمل والبناء ، يجب ان يتجه الى النبع الذي يستقي منه العقيدة الحق الى ثقافة الاسلام التي تفتح آفاق ذهنه لتصور الواقع وتصديقه ، حتى لا يبقى في جو يظهر فيه التمرد بمظهر الثورة والتقليد الجديد بمظهر التطور .

لقد قطع الغرب اشواطا اوقعته زمنا في عالم اللاشيئية او العدمية لانه كان يرى في ذلك سبيلا الى ابتكار الادب وارغام الفكرة على البروز ، ولكنه اليوم عاد يرقب من بعيد ، تلك الحقائق التي غابت عنه ، واخذ يشتاق الى معرفة الواقع ، ليتحقق بوجود نفسه . لقد آثر التصويف ، وهو يعود اليوم الى التصوف ، وكفر بالغيب ولكنه استبدله بالغموض ، اما اليوم فهو ينشد الوضوح ويتطلب الاقتناع ولا يجد اليه سبيلا .

تجارب انسانية نعيشها ليس من حقنا ان نتغاضى عنها ، وتكرر للاحداث التي نشأت من قبل ، ليس من حقنا ان لا نربطه باسبابه ، تجددات وقعت في العالم ، وتقدم كبير في شتى الميادين وصعود الى الاعلى ، ولكن العالم مع ذلك يبحث عن المصير ؟ .

تساؤلات توجه الى العلماء هل تريدون تخريب العالم ؟
واخرى ترد من قبلهم احذروا فناء الاقوات ؟
وجاهلية تنادي ، ستزدحم الارض بالسكان فلا تجدون لانفسكم مقرا .

جهود تبذل لحصر النسل ، واخرى لافناء الموجود ؟

ونحن في غفلة عن هذا الجانب من الحضارة المادية التي لا تزيد على ان تكرر ارجافات الجاهلية الاولى .

ونحن مع ذلك كله في بداية السير في بعثنا الجديد ؟

علام نرمي بانفسنا في احضان الهاوية التي يحفرها هؤلاء الذين بلغوا من الحضارة درجة اسأمتهم الحياة وايأستهم من الوجــــود ؟

علام لا نتلمس الارض قبل ان نضع اقدامنا ؟

ليس من الضروري ان نتخلى عن سلاحنا ونحن ندخل في عالم الكفاح ، عالم لا حياة فيه لمن لا يملك سلاحا .

سلاحنا هي العقيدة ، هي ايماننا بتراثنا الاسلامي ، وبصلاحيته لمساعدتنا في هذه الرحلة التي نريدها للاستفادة من معرفة غيرنا وتجاربه ، سلاح اذا حافظنا عليه ، فسندخل كل الميادين ونخرج منها سالمين غانمين ، وسيكون اثرها قويا في دفعنا للعمل لتغيير مجتمعنا الى مجتمع اسلامي متحضر كامل الوعي .

عــلال الفاســي

« غمـــوض العلـــم »

الحـق ان هذا الغموض في العالم ، مصدر كبير من مصادر اللذة للعقـول الكبيـرة ، وان حيـاة العلمـاء كـانت تكـون تافهـة لـولا هـذا الغمـوض والالـغـاز .

« احمـد اميـن »

حياة الإسلام في قواعده الخمس

للأستاذ : محمد بن تاويت الطنجي

تفضلت وزارة الشؤون الاسلامية ، فاهدت الينا كتاب « الاعـلام ، بحـدود قواعد الاسلام » تأليف القاضي عياض المتوفى 544 .

وهذا الكتاب مظهر من انواع النشاط الذي تقوم به الوزارة في ميدان التاليف والنشر ، ويعتبر كتاب « الاعلام » الحلقة الاولى من السلسلة الدينية التي تنـوي الوزارة القيـام بطبعهـا .

و « الاعلام » كتاب الفه القاضي عياض للمتعلمين من اطفال المغرب وقصد فيه الى تفسير « قواعد الاسلام » الخمس ، في لغة واضحة سهلة ، ابتعد فيها عن كثير من التعابير والجمل الاصطلاحية ، بحيث اصبحت غير بعيدة عن مدركات الاطفـال الذيـن الـف لهـم .

وقد قام بتحقيقه وتقديمه الاستاذ الكبير المطلـع الثبت ، السيد محمد ابن تاويت الطنجي ، الذي عالج في مقدمته العناية بالنشء من لدن علمائنا وسلفنا ، وما كانوا ينعمون به من فهم واسع ، وتقدير للمسئولية العلمية تجاه الناشئة المغربية مما دعا علماء هذا المغرب الاسلامي منذ القديم البعيد الى العناية بموضوع تعليم الاطفال .

ولقد ابى ملكنا العظيم صاحب الجلالة امير المومنين الحسن الثاني سدد الله خطاه الا ان يحي هذه السنة الحسنة التي جرى عليها سلفنا الصالح ، وحماها ملوك المغرب عامة ، واجداده العلويون الميامين خاصة ، فاولى جلالته اطفال مملكته عنايته السامية ، وحرص ــ والله بمده من عونه ــ على ان يتزودوا للحياة بتربية اسلاميـة تمكنهم من اداء واجباتهم التـي ورثوهـا عن سلفهـم .

ويسر مجلة « دعوة الحق » ان تتحف قراءها المحترمين بمقدمة هذا الكتـاب التي دبجها فضيلة الاستاذ البحاثة الثبت السيد محمد بن تاويت الطنجـي ..

فرض الله على كل مصل ان يقرأ سورة « الفاتحة » في صلاته ، فـ « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » (✱) .

ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث علم الاعرابي كيفية الصلاة وقال له : « .... ثم افعل ذلك في كل ركعة »(✱) كان يعني ان كل مسلم يجب عليه ان يقرأ « الفاتحة » سبـع عشرة مرة في كل يوم ، بعدد ركعات الصلوات المفروضة عليه .

ولا مجال للتردد في ان دين الاسلام ــ حين اختار سورة « الفاتحة » دون ما سواها من سور القرآن ، واوجب على المسلم، كلما توجه الى ربه يناجيه في صلاته (✱) ، قراءتها ، قد عنى ــ فيما عناه ــ انها تشتمل على معنى رئيـي من معاني الاسلام الكبرى ، يجب على المسلمين ان يلتزموه ويتمسكوا به ، وحكمة بالغة من حكمه ، عليهم ــ كذلك ــ ان يتمثلوها ويهتدوا بهديها

✱) رواه البخاري (1 : 148 ، فتح الباري 2 : 200 ، ومسلم (مع شرح النووي 2 : 11) .
✱) شرح النووي على صحيح مسلم 2 : 15 ، فتـح الباري 2 : 201 .
✱) صحيح البخاري 1 : 108 .

وحديث مسلم عن ابي هريرة (*) الذي يقول : « سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : قال الله عز وجل : قسمت الصلاة (*) بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، فاذا قال : « الحمد لله رب العالمين » ، قال الله تعالى: حمدني عبدي ، واذا قال : « الرحمان الرحيم » ، قال الله تعالى : اثنى علي عبدي ، واذا قال : « مالك يوم الدين » ، قال : مجدني عبدي ، او فوض الي عبدي ، فاذا قال : « اياك نعبد واياك نستعين » ، قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل ، فاذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ، قال : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل » .

هذا الحديث يحدد — باعتباره تفسيرا للفاتحة صادرا عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — المعنى الذي قصد الاسلام لفت نظر المسلم اليه ، وتنبيهه على اهميته ، ويشير الى الحكمة في تكرار قراءتها ، فالحظ الذي تعود ثمرته مباشرة الى المصلي من آياتها هو قوله داعيا ضارعا : « اهدنا الصراط المستقيم » ، اما بقية آياتها فهي ثناء وتمجيد وتفويض لله سبحانه ، ثم اعتراف بوحدانيته التي من اوائل آثارها انه وحده مصدر العون والهداية .

الاستقامة واتباع « الصراط المستقيم » — اذن — هي حظ المصلي من سورة الفاتحة ، وهي عسيرة المنال ، عزيزة المطلب، فلا بد للبشر من تقصير يقف بهم دون درجة الكمال ، او ملال يصرفهم ، او يقطعهم ، عن متابعة السير .

ومن هنا جاء الالحاح في طلب الهداية اليها ، وكرر المصلي دعاءه وطلبه — كلما وقف امام الله — ان يلهمه اتباع سبيلها ، ويمده بالعون ، ويجنبه سبل الضلالة والغي .

وهذه الاستقامة — التي تعني تقويم النفس، وحملها في جميع تصرفاتها على القصد والتوسط ، ومجانبة التفريط والافراط ، ورياضها على التزام ذلك حتى تمرن عليه وتألفه ، وتصدر عنها افعال الخير في يسر وفي سهولة ، كأنها سجية من سجاياها ، وخلق جبلت عليه من اخلاقها .

نقول : هذه الاستقامة تشغل حيزا واسعا من تعاليم الاسلام ، وقلما يجد المتأمل في اسرار التشريع الاسلامي قاعدة من قواعده لا تتصل من قريب او من بعيد بسبب « الاستقامة » وآيات القرآن ، واحاديث رسول الله (ص) ، التي تشير الى تقرير معناها وتحض على التزامه ، قد بلغت من الكثرة بحيث يعسر استقصاؤها هنا ، غير ان ايضاحا تنويها آخر لمكانة « الصراط المستقيم » في تعاليم الاسلام ، ولأهميته . يحسن — فيما نرى — ان نضيفه الى ما سبق ان قلناه ، روى ابن ماجة (*) عن جابر بن عبد الله انه قال : « كنا عند النبي، صلى الله عليه وسلم ، فخط خطا ، وخط خطين عن يمينه ، وخط خطين عن يساره ، ثم وضع يده في الخط الاوسط فقال : هذه سبيل الله ، ثم تلا هذه الآية : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (*) .

★ ★ ★

وتوجيه الانسان الى « الصراط المستقيم » ، وهدايته اليه، ودلالته عليه ، وحمايته من شعب الضلال وبنيات الطريق — هو هدف الاسلام الذي ما فتئ يسعى الى تحقيقه ، ويوجه اليه جهده ، ويختصه ببالغ عنايته .

وسلوك المسلم وافعاله التي اتخذها هذا التوجيه الاسلامي ميدانا له ، اما ان يكون سلوكا يصل الانسان بربه ، وتلك هي العبادات ، واما ان يكون سلوكا يتصل فيه بأخيه الانسان في معاملاته المختلفة فردا كان او جماعة .

ومن هنا انحصرت هداية الاسلام في الاتجاهين التاليين :

اولهما : توضيح الصلة التي بين المسلم وبين ربه ، وتتمثل في الواجبات الدينية الشخصية ، من عقائد وعبادات ، فيحددها ، وينظمها ، ويوقف المسلم على حقيقتها ، وكيفيتها ، ويعين له الزمان ، والمكان ، والمقدار ، ان احتاج فهمها وتحقيقها الى بيان ذلك وتعيينه .

هذا الاتجاه — في كلمة موجزة — يتولى هداية المسلم الى « الصراط المستقيم » في علاقاته الشخصية بالله .
والاتجاه الثاني : يعني بتنظيم صلته :

بالانسان :

ينظم سلوكه ، مع اسرته في بيته ، ومع قرابته في محيطه الخاص ، ومع اخوانه المسلمين في المجتمع الاسلامي الكبير ، ومع اخيه الانسان في المحيط الانساني الاوسع .

(*) صحيح مسلم (مع شرح النووي) 2 : 15 ، عن ابي هريرة

(*) المراد بالصلاة ، هنا : « الفاتحة »

(*) سنن ابن ماجة 1 : 5 .

(*) سورة الانعام 153 .

وبالكـــون :

يدله على انه ــ بسمائه ــ وبارضه ، وبما بينهما ــ قد سخره الله له ، فيأمره بالاستفادة منه ، وبتسخير مواهبه ومعارفه لاستخلاص خيراته والانتفاع بها ، وايصالها الى سائر بني جنســــه .

وبالحيـــاة :

يحثه على ان يحيا الحياة الكريمة ، وان يتمتع بزينة الله التي اخرجها لعباده وبالطيبات من الرزق ــ دون ان يبسط يده كل البسط فيسرف ، ودون ان يجعلها مغلولة الى عنقه فيقتر ، بل ينهج في قبضه وفي بسطه النهج الوسط ، بحيث لا يخرج عن « الصراط المستقيم » في سلوكه وتصرفاته .

★ ★ ★

تلك هي الخطوط الرئيسية الكبرى التي يعنى الاســـلام بهداية المسلم اليها ، وارشاده الى سبل الخير والنجاة فيها .

★ ★ ★

والحديث الذي صدر به القاضي عياض كتابه ، واتخذه اساسا لتقسيم مباحثه وفصوله ، يتضمن اركان الاسلام وقواعده التي عليها يقوم بناؤه ، وهي ، كما في الحديث ، عقيدة يعتقدها الانسان بقلبه ، وعمل تؤديه ــ على الوجه الذي حددته تعاليم الاسلام وشريعته ــ جوارحه .

وهو مشتمل على الاتجاه الاول لهداية الاسلام ، الذي مر ان شرحناه ، وعلى بعض مسائل الاتجاه الثاني لها .

أمـا العقيـــدة :

فانها تقوم ــ اول ما تقوم ــ على التوحيد الخالص لله سبحانه ، بحيث لا يقبل اي لون من الوان الشرك ان يشوبه ، وبحيث ينفي نفيا باتا شاملا كل من عداه او ما عداه ، ان يضع نفسه او يضعه غيره موضع الوسيـط او الشفيـع ، بين المسلم وبين ربـــه .

فلا مكان في عقيدة الاسلام للاصنام ــ من النـاس ومن الجماد ، مهما كان الوضع الذي تتخذه ، ترفضها معبودات مستقلة ترجى وترهب لما لها من التأثير على حياة الناس ، ولا تقبلها شفعاء تتوسط للمتقرب بها عند الله ، وتردها كذلك اذا ما اتخذت وسيلة من وسائل التقريب او التمثيل او الرمز .

فالله ــ وحده ، وبدون واسطة ــ هو الذي يتقرب اليه المسلم بعبادته وبخضوعه .

ومن الله ــ وحده ، ولا واسطة ايضا ــ يستمد المسلم العون ويطلب الهداية .

هذا هو المعنى الذي يعنيه ، او الذي يجب ان يعنيه ، المسلم كلما قرأ قول الله سبحانه :

« اياك نعبد واياك نستعين »

على هذا الاساس المتين الواضح من صراحة التوحيد ، وخلوصه من شوائب الشرك ، تقوم صلة المسلم بربه في الاسلام، وعلى هذا الاساس نفسه ــ فيما يقرر الاسلام ــ قامت دعوة الديانات السماوية قبله ، واليه دعا جميع الرسل والانبياء اممهم منذ كانت الرسالة والنبوة .

والقرآن جد حريص على ان يذكر المسلمين بان ما شرعه الله لهم من الدين ، قد شرعه ، منذ الازمنة البعيدة ، للامم السابقـــة .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (✶) .

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وانه في الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه اسلم ، قال : اسلمت لرب العالمين ، واوصى بها ابراهيم بنيه ، ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ، ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا : نعبد الاهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الاها واحدا ونحن له مسلمون »(✶)

« واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء » (✶) .

والذين يختارهم الله لتبليغ اديانه الى الناس وتبيينها لهم ، وتطبيقها على حياتهم ، وهم الانبياء والرسل ، هم اول من يؤمن بالايمان بعقيدة التوحيد ، وتفهم حقيقتها .

« قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ، ولا تكونن من المشركين » (✶) .

(✶) سورة الشورى 13 .

(✶) سورة البقرة 130 ــ 132 .

(✶) سورة يوسف 38 .

(✶) سورة الانعام 14 .

« قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به ، اليه ادعو ، واليه مآب » (*) .

« قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ، ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين»(*)

حتى ما اذا ما ملكت هذه العقيدة عليهم سمعهم وابصارهم، وامتلأت بها قلوبهم وعقولهم ، ومثلت لهم واضحة بينة ، صدعوا بما امروا به ، وقاموا يدعون الناس اليها « مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (*) .

وعلى سنة الله هذه ، جرى رسول ، صلى الله عليه وسلم ، فقضى ما شاء له ان يقضيه في تأملاته وخلواته يتبين معالم المهمة التي كانت عناية الله تهيؤه لادائها ، « وحبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث (يتعبد) فيه الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء » (*) ووضحت له معالم هذه المهمة ، فنودي من قبل الله جل شأنه .

« يا أيها المدثر قم فأنذر » (*) .
« وانذر عشيرتك الاقربين » (*) .
« يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك » (*) .

فصدع بالحق ، وجهر بالقول الذي ارتفع ــ ما امتدت به السنون ــ على كل الاقوال ، وبلغ الناس عن ربهم قوله :
« يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : ان لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » (*) .
« واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا (*) .
« ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (*) .

فكان ما امر به ــ عليه السلام ــ في نفسه ، وما امر بتبليغه للناس ، صورة بلغت الغاية القصوى في صفاء التوحيد ونقائه ، والبعد به عن شوائب الشرك وعوارض التشبيه ، وفهم الالوهية وتقديرها حق قدرها ، وانزالها منزلتها بعيدة عن البشرية وعوارضها .

ورسول الله (ص) ، حين انتدب لتبليغ رسالة الاسلام التي تحتل منها حقيقة التوحيد هذه المكانة ، قد حددت حقيقته وبشريته ، فالقرآن قد عنى في كل مناسبة بان يزيل كل لبس او اشتباه من شأنه ان يعلق بحقيقة الالوهية او بحقيقة النبوة فيسيء الناس ــ كما اساءوا قبل الاسلام ــ فهمهما ، او يسيئون فهم حقيقة التوحيد الذي هو اساس الاسلام » .

ومن هنا كانت « بشرية » الرسول موضوعا عنى القرآن ببيانه وتأكيده ، فرسول الاسلام ولد وعاش تحت اعين التاريخ وسمعه ، معروف الاب والام والاسرة ، ومعروف الشرف والمكانة بين قومه ، وحياته ليست ظلالا يكتنفها الابهام، ويخفي قسماتها الغموض ، بل هي تاريخ حقيقي واضح المعالم، لا مجال فيه للخيال والتفسير والتاويل .

وقد حظيت حياته ــ عليه السلام ــ من المسلمين الاول بالعناية البالغة ، فدونوا دقائقها وتفاصيلها بصورة لم تحظ بها حياة نبي من الانبياء قبله ، ولها ــ فوق هذه العناية ــ في قلوب المسلمين صور حية ، وذكريات ناضرة مشرقة ، تتفاوت درجاتها قوة وضعفا ، تبعا لحظ كل مسلم من تمثل رسول الاسلام ، ومبادئ الاسلام والانتصار بها .

وما يمضي على المسلم ، في اي بقعة من بقاع الارض المسلمة ، يوم بليلته دون ان يسمع المؤذن خمس مرات في اليوم يذكره برسول الاسلام ، وبأكبر تعاليم الاسلام .

واختاره الله للرسالة ، وهي اثقال لا ينوء بحملها الا ذوو القوة والعزم من صفوة البشر ، ومبادئ دعوته غريبة على الناس مخالفة لما تأصل في نفوسهم من عقائد وعادات وتقاليد ، واغرب ما فيها ان مبلغها اليهم ، والداعي اليها : رجل معروف منهم ، بينهم نشأ وربى ، وابتغى سبل العيش مثلما ابتغاها

(*) سورة الزمر 11 .
(*) سورة الزمر 63 ــ 64 .
(*) سورة النساء 165 .
* صحيح البخاري 1 ــ 7 .
(*) سورة المدثر 2 .
(*) سورة الشعراء 214 .
(*) سورة المائدة 67 .
(*) سورة آل عمران 64 .
(*) سورة النساء 36 .
(*) سورة النساء 48 .

غيره . فكيف ، وهو مثل بقية الناس ، يكون رسولا مبلغا عن الله رسالته ؟ وهكذا اصبحت وساطته بشرا رسولا بين الله وبين الناس موضوعا احتدم فيه الجدال وطال .

وما كان للنبي الكريم ان يلبس في امره على الناس ، او يتقول على الله الذي ارسله ، فيضفي على شخصيته لباسا غير لباس الرسالة ، فانه نفسه الذي بلغنا عن الله هذا الوعيد القاسي الذي وجه ليه

« ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين » (*) ، ما كان له ــ عليه السلام ــ وقد عرف بين قومه قبل مبعثه بالامين ــ الا ان يقول في وضوح لا رمز فيه ولا التواء : « انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الاهكم الاه واحد » (*) .

وضل الناس ايضا في فهم طبيعة رسالته ، وتصوروا مهمتها على غير حقيقتها ، فطلبوا منه ــ بناء على ما فهموا من مهمة النبوة ــ الخوارق للعادات ، والمعجزات التي ليست من صنع البشر ، فصحح الوضع في فهم النبوة والرسالة في الاسلام ، انها هداية الضمير الانساني الواعي المدرك الى الصراط المستقيم .

وقال : وما اجل ما قال :

« سبحان ربي ، هل كنت الا بشرا رسولا » ؟ (*) .

هكذا كان فهمه لمهمته ، وعلى ضوء هذا الفهم قدم نفسه للبشرية ، وهكذا ايضا كان يفهم مهمة الانبياء والرسل قبله ، فهذا نوح عليه السلام قبله يقول لقومه : « ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك » (*) ، وهؤلاء قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم قد طلبوا من رسلهم معجزة تؤيدهم في دعواهم وتسند اقوالهم ، فكان جوابهم ان « قالت لهم رسلهم : ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله » (*)

وما كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليخرج عن صفات الرسل قبله : « انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيئين من بعده » (*) ، ولا ان يبتدع شيئا لم يأت به سلفه منهم : « قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ، ان اتبع الا ما يوحى الي » (*) .

وهذا الفهم الواضح الدقيق لطبيعة الرسالة على انها وساطة بين الحق والخلق لا تمنح الوسيط صفة تخرجه عن بشريته ، ولطبيعة الرسول على انه انسان اختير للرسالة فأوحى اليه من غير ان يفقد صفاته البشرية .

تقول هذا الفهم ، قد فرضته طبيعة التوحيد في دين الاسلام، فما لله ــ عز وجل ــ من قدرة عامة على المعجزات والخوارق ، وما له ــ سبحانه ــ من علم محيط شامل ينفذ الى المغيب والمحجوب ، يجب ــ في منطق التوحيد الخالص ــ ان ينفرد به الله ، ولا يشركه فيه الانسان ، فهو ــ وحده ــ القادر على كل شيء ، وهو ــ دون غيره ــ عالم السر والعلانية :

« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » (*) ، « عالم الغيب فلا يظهر (*) على غيبه احدا الا من ارتضى من رسوله » (*) ، فيطلعه الله على ما شاء من غيبه بتعليمه اياه ، ووحيه اليه به .

« تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا » (*) .

★ ★ ★

وفهم طبيعة الرسالة والرسل على هذا النحو من الوساطة ، يسلمنا الى الحديث عن الوحي وعن اتصال الانسان المادي بالعالم المجرد عن الماديات ، وتلقيه التعاليم والشرائع عنه ــ في صورة تقربه ، بقدر الامكان الى افهام الناس .

(*) سورة الحاقة 44 ــ 46 . والوتين : عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه .
(*) سورة الكهف 111 ، وفصلت 6 .
(*) سورة الاسراء 90 ــ 94 .
(*) سورة هود 27 ــ 33 .
(*) سورة ابراهيم 10 ــ 11 .
(*) سورة النساء 163 .
(*) سورة الاحقاف 9 .
(*) سورة الانعام 59 .
(*) يظهر : يطلع .
(*) سورة الجن 25 ــ 26 .
(*) سورة هود 49 .

والوحي في معناه الديني — هو : تلقى الرسول شريعته وتعاليمه عن الله ، وهذا التلقي — كيفما كانت صورته — ينقل الرسول المتلقى من عالم مادي محسوس اعتاده والفه ، الى عالم آخر مجرد عن المادة غريب عنه مخالف لما عهد ان يراه ويسمعه ويحســـــه .

ولأجل هذا كان لا بد له من مرحلة وسط بين عالمه الذي عهده ، والعالم الذي تفرض عليه طبيعة التلقي للوحي ان ينتقل اليه ، فهذه المرحلة تمهد له وتنقله بصورة تدريجية من هذا العالم الذي انس به وتعوده ، وكانت حواسه فيه تكفيه لان يدرك ما حوله — الى عالم آخر لا عهد له به ، ولا اثر للمادة فيه ، تتخلى فيه حواسه عن الادراك والمعرفة ، وتقوم بافهامه وتعليمه وسائل اخرى ، لم ترها في عالمه المادي عينه ، ولم تسمعها اذنه ، ولا خطرت فيه على قلبه .

ففي اثناء هذه المرحلة يألف هذا العالم الغريب ، ويتقوى على مواجهته ، ويتثبت في الذي القى اليه ، ويعيه قلبه ، ويبلغه الى الناس في لغتهم المعهودة كما تلقاه وكما امر .

ومن هنا — فيما نرى — كانت الرؤيا ، يراها الرسول في منامه ، اولى مراحل الوحي ، وكان « اول ما بدىء به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح » (✱) .

فالحواس — في حالة النوم — متوقفة عن الادراك ، معطلة عن العمل ، وبذلك تصبح النفس في عزلة عن هذا العالم الخارجي عالم الواقع ، ويبقى المجال فسيحا لمجموعة من القوى الباطنية ، فتعمل وتدرك ، وهي في نشاطها بعيدة عن ان تتقيد بحدود الحواس ، وعن ان تخضع في تصوراتها وادراكاتها للانسجام مع العالم الخارجي ، لقد اصبحت هذه القوى ، في حريتها وسعة مجالها ، قادرة على ان ترى النائم مرئيات لم يألف ان يراها في يقظته ، واتخذت من الرمز والاشارة وغيرهما — وسائل للتعبير على الاشياء والحقائق والمعاني التي تريد افهامها للنائم ودلالته عليها .

وبهذا انتقل الرائي الى عالم لم يألفه ، ومكن له ان يعتاد رؤية ما لا يراه ، وعلم ما لا يعلمه في عالم اليقظة والشعور ، وان يتدرج في فهم اسلوب الرمز في التعبير والشرح والدلالـــة .

وكان تعبد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في غار حراء (✱) ، وانعزاله فيه ، وبعده عن الناس الليالي ذوات العدد المرة تلو المرة — كأن ذلك نقل الى تهيئة اخرى في حالة اليقظة ، وتمكين للفكر — بعيدا عن عالم الاصوات والالوان والابعاد والاجسام — ان يستعرض تلك المعاني والرموز والاشارات التي رآها في رؤياه ، ويجيد فهمها ويحدد دلالتها تحديدا يبدد كل ابهام او غموض يحيط بها ، ففي اعقاب مرحلة التأمل والانفراد هذه ، جاءه الحق في غار حراء ، وانتقل الى مرحلة تتلوها ثالثة — تلقى فيها اوامر الله عن الملك مباشرة ، واتصل به ، سواء تمثل له في صورة رجل ، ام جاءه في اي صورة اخرى له .

اما الآن ، وقد تهيأت نفسه بما مر به من تجارب ، فقد اصبح بحيث يمكنه ان يتلقى الوحي من الله سبحانه ، وهي الحالة التي غلب عليه ان تلقى فيها الوحي .

ومن حسن الحظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الذي تولى شرح الكيفية التي كان يتلقى عليها الوحي في هذه المرحلة، فما كان لغير رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ان يجيب عن معنى الوحي ، ان الذي تكرر الوحي اليه ، فعقل معناه ، واتضحت له كيفيته هو — وحده — الذي يمكنه ان يتحدث للناس عنه ، ويشرح لهم حقيقته ، وكيفية حصوله له ، وهو كذلك وحده ، الذي يمكنه ان يجد الكلمات المناسبة للتعبير عما وجده في نفسه، لان الوحي تجربة شخصية وجدانية ينفرد بها الذي جربها ، ووجدها ومر بها ، فهي حالة قاصرة عليه لا تتعداه الى غيره ، ولا يفهمها ، ولا يوضحها سواه .

لقد سأله الحارث بن هشام المخزومي فقال « يا رسول الله : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس (✱) وهو اشد علي (✱) ، فيفصم (✱) عني وقد وعيت عنه ما قال » (✱) .

(✱) فلق الصبح : ضوؤه وانارته . والحديث في صحيح البخاري 1 — 67 ، فتح الباري 1 — 20 — 22

(✱) حراء بكسر الحاء : جبل من جبال مكة ، وحديث الغار في صحيح البخاري 1 — 7 ، وفتح الباري 1 — 21 — 22 .

(✱) الصلصلة : صوت الحديد اذا وقع بعضه على بعض ، والجرس : الناقوس ، وهو يحدث اصواتا ملاحقة شديدة .

(✱) جاءت شدته من حيث انه كان يقتضي من الرسول ان يتخلى عن عمل حواسه فيعطلها ، وان يستجمع قلبه ليكون اوعى لما القى اليه .

(✱) فيفصم : فيقلع عني وينجلي ما يغشاني .

(✱) صحيح البخاري 1 — 6 ، فتح الباري 1 — 19 — 20 .

وروى ابن سعد (*) من طريق عبد العزيز بن عبد الله ابن ابي سلمة الماجشون عن عمه انه بلغه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « كان الوحي يأتيني على نحوين: يأتيني به جبريل فيلقيه علي كما يلقى الرجل على الرجل ، فذلك يتفلت مني ، ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي ، فذاك الذي لا يتفلت مني » .

وفي حديث « غار حراء » : « فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما انا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني (*) حتى بلغ مني الجهد (*) ثم ارسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما انا بقارئ ، فأخذ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني فقال : اقرأ ، فقلت ما انا بقارئ ، فأخذني الثالثة ثم ارسلني فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » (*) الخ .

فهذه الاحاديث تشير جميعا الى حقيقة واحدة هي :

ان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، كان — كما في التجارب السابقة — يوحى اليه بعد ان تعزل حواسه الظاهرة عن الادراك ، وتقف عن العمل ، ويحال بينها وبين ما ترى وما تسمع ، وبذلك يتم لقلبه الاتجاه التام الى جهة الحق الذي يصدر عنه الوحي اليه ، والاتصال بالملأ الاعلى والاقبال الكلي عليه ، فيتلقى ما يتلقى من امر الله .

ولم يكن هذا الانعزال بالامر الهين عليه ، بل كان يلقى منه شدة بالغة ، احوجته الى المعين الخارجي يقويه على هذا التوجه ويسنده ، فكان ضغط الملك الشديد المتكرر له ، ينبه قلبه ويوجهه الى حيث الاشعاع والفيض ، وكانت الاصوات المجلجلة الشديدة المتلاحقة التي تشبه صوت الجرس — تملأ عليه حواسه جميعا وتمنعها من العمل ، فيتفرغ القلب للادراك فيخالطه الوحي ويثبت في فؤاده .

هكذا اوحي الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بتعاليم الاسلام التي بلغها الى امته ودانوا بها فكانت :

عقيدة اجملت القول في المهم من اهدافها ، وتولى تفصيلها القاضي عياض في كتابه « الاعلام » .

وعملا يتقرب به المسلم الى ربه وهي : صلاة وصوم وزكاة وحج .

(يتبع)

محمد بن تاويت الطنجي

(*) طبقات ابن سعد 1 — 197 ، وعنه فتح الباري 1 — 18 .

(*) غطني : ضمني اليه وعصرني .

(*) الجهد : النصب والاعياء .

(*) صحيح البخاري 1 — 7 .

الدنيا تفسد الأخوة

حكي ابن قنفذ في « انس الفقير وعز الحقير » عن الشيخ ابي مدين رضي الله عنه قال : جاء رجلان الى ابي عبد الله التاودي وكان رجلا صالحا من صلحاء فاس — يزورانه فابصرا بين يديه هرين جعل كل واحد منهما رأسه على الآخر ، فقالا له : هكذا ينبغي ان تكون الاخوة « فأخذ التاودي لقمة من خبز ورمى بها اليهما فوثب كل واحد منهما على الآخر ليأخذ اللقمة فقال أبو عبد الله : « هكذا كانت الاخوة حتى دخلت الدنيا فافسدتها » .

مثل كريم

كان امير المومنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ينظر ليلا في شؤون الرعية في ضوء سراج فجاء غلامه يحدثه في شأن من شؤون بيته ، فقال له عمر: اطفىء السراج ثم حدثني ، لان هذا الدهن من بيت مال المسلمين ولا يجوز استعماله الا في صالحهم .

وعد الله الذين آمنوا منكم

للأستاذ : عبد الله الجراري

يقول الله تعالى من سورة النور :

« وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر من بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » ؟

بعد ان بين الله تبارك وتعالى من اطاع الرسول فقد اهتدى الى الحق ومن اهتدى الى الحق فجزاؤه دار النعيم ـ أردف ذلك بوعده الكريم بانه سيجعل المؤمنين المطيعين له ولرسوله خلفاء في الارض ، ويؤيدهم بالنصر والاعزاز ، ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو امنا فيعبدون الله وحده وهم ءامنون ، ومن جحد هذه النعم من بعد ذلك فقد عصى ربه وكفر انعمه .

وعد الله الذين ءامنوا . ووعده حق واقع « ولن يخلف الله وعده » .

فما حقيقة الايمان ايها المسلم المؤمن ؟ ـ ان حقيقة الايمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة مقدسة تستغرق النشاط الانساني كله ، وتوجه النشاط الانساني كله فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء وانشاء موجه كله الى الله لا يبغي به صاحبه الا وجه الله ، وهي طاعة لله واستسلام لامره في الصغيرة والكبيرة لايبقى معها هوى في النفس ، ولا شهوة في القلب ، ولا ميل في الفطرة الا وهو تبع لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من عند الله .

فهو الايمان الذي يستغرق الانسان كله بخواطر نفسه ، وخلجات قلبه ، واشواق روحه ، وميول فطرته ، وحركات جسمه ، ولفتات جوارحه ، وسلوكه مع ربه في اهله ومع الناس جميعا يتوجه بهذا كله الى الله ـ يتمثل هذا في قوله جلت عظمته في نفس الآية تعليلا للاستخلاف والتمكين والامن : « يعبدونني لا يشركون بي شيئا »

ونحن نعلم ان الشرك مداخل وألوان ، والتوجه الى غير الله بعمل او شعور هو لون من الوان الشرك بالله .

والايمان يتضمن كل ما امر الله به ؛ ويدخل فيما امر الله به ـ توفير الاسباب ، واعداد العدة ، والاخذ بالوسائل . والتهيؤ لحمل الامانة الكبرى في الارض ـ امانة الاستخلاف .

انها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم ، انما هي هذا كله ، على شرط استخدامه واستعماله في الاصلاح والتعمير والبناء ، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه ، وتصل عن طريقه الى مستوى الكمال المقدر لها في الارض ، اللائق بخليقة اكرمها الله .

ان الاستخلاف في الارض معناه : القدرة على العمارة والاصلاح ، لا على الهدم والافساد ، والقدرة على تحقيق العدل ، ونشر الطمانينة ، لا على الظلم والقهر ، والقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري لا على الانحدار بالفرد والجماعة الى مدارج الحيوان .

هذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وعدهم الله ان يستخلفهم في الارض ـ كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم ـ رغبة في تحقيق النهج الذي اراده الله ، ويقرروا العدل الذي اراده الله ، ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم انشاها الله .

فاما الذين يملكون فيفسدون في الارض ، وينشرون فيها البغي والجور ، وينحدرون بها الى مدارج الحيوان ـ فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الارض ، انما هم مبتلون بما هم فيه او مبتلى بهم غيرهم ممن يسلطون عليهم .

واية هذا الفهم لحقيقة الاستخلاف قوله تعالى: « وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم » وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب ، كما يتم بتمكينه في مجريات الحياة وتدبيرها .

فقد وعد الله الانسان ان يستخلفه في الارض ، وان يجعل دينه الذي ارتضى له هو الذي يهيمن على الارض ودينه يامر بالاصلاح ، ويامر بالعدل ، ويامر بالاستعلاء والترفع عن شهوات الارض التي هي الى البهيمية امس منها بالانسانية الكاملة ـ يأمر بعمارة هذه الارض ، والانتفاع بكل ما أودعه الله فيها من

ثروة ، ومن رصيد ، ومن طاقة ـ مع التوجه بكل نشاط فيها الى الله .

« وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ذلك انهم كانوا خائفين لا يامنون ، ولا يضعون سلاحهم ابدا حتى بعد هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى قاعدة الاسلام الاولى بالمدينة ـ قال الربيع بن انس عن ابي العالية في هذه الآية : كان النبي عليه السلام واصحابه بمكة نحوا من عشر سنين يدعون الى الله وحده ، والى عبادته وحده بلا شريك له ، سرا وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى امروا بعد الهجرة الى المدينة ، فقدموها فامرهم الله بالقتال ـ فكانوا بها خائفين ، يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح ، فصبروا على ذلك ما شاء الله لهم ان يصبروا . ثم ان رجلا من الصحابة قال يا رسول الله : ابد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ اما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع عنا السلاح ؟ فقال الرسول الاكرم صلوات الله عليه : « لن تصبروا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم ليست فيه حديدة » وانزل الله هذه الآية ، فاظهر الله نبيه على جزيرة العرب فامنوا ووضعوا السلاح . ثم ان الله تبارك وتعالى قبض نبيه عليه الصلاة والسلام فكانوا كذلك ءامنين في امارة ابي بكر وعمر وعثان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فادخل الله عليهم الخوف فاتخذوا الحجزة والشرط وغيروا فغير بهم .

« ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » الخارجون على شرط الله ووعد الله وعهد الله لقد تحقق وعد الله مرة ، وظل متحققا وواقعا ما قام المسلمون على شرط الله « يعبدونني لا يشركون بي شيئا » لا من الالهة ولا من الشهوات ، ويؤمنون ـ من الايمان ـ ويعملون صالحا ، ووعد الله مدخور لكل من يقوم على الشرط من هذه الامة الى يوم القيامة .

انما يبطيء النصر والاستخلاف والتمكين والامن لتخلف شرط الله في جانب من جوانبه الفسيحة او في تكليف من تكاليفه الضخمة .

وها هو تعالى يعقب على هذا الوعد بالامر بالصلاة والزكاة والطاعة وبالا يحسب الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وامته حسابا لقوة الكافرين الذين يحاربونهم ويحاربون دينهم الذي ارتضى لهم قال سبحانه : « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماواهم النار ولبيس المصير » .

فهذه العدة التي يجب على المؤمن الكامل والمسلم الصادق أن يعدها بين يديه تلك هي الاتصال بالله ، وتقويم القلب باقامة الصلاة ، والاستعلاء عن الشح ؛ وتطهير النفس والجماعة بايتاء الزكاة وطاعة الرسول والرضى بحكمه وتنفيذ شريعة الله في الصغيرة والكبيرة ، وتحقيق النهج الذي اراده للحياة : « لعلكم ترحمون » في الارض من الفساد والانحدار والخوف والقلق والضلال وفي الآخرة من الغضب والعذاب والنكال .

فاذا استقمتم على النهج فلا عليكم من قوة الكافرين فما هم بمعجزين في الارض وقوتهم الظاهرة لن تقف لكم في طريق ، وانتم اقوياء بايمانكم ، اقوياء بنظامكم ، اقوياء بعدتكم التي تستطيعون وقد لا تكونون في مثل عدتهم من الناحية المادية ؛ ولكن القلوب المؤمنة التي تجاهد تصنع الخوارق والاعاجيب « ان لم يكن فبقوة الايمان » الا وان وعد الله قائم ، الا وان شرط الله معروف ، فمن شاء الوعد فليقم بالشرط ، ومن أوفى بعهده من الله.

وقد اصبح مدلول هذه الاي الكريمة يتحقق اليوم في غير ما قطر من اقطار الاسلام المستقلة الشاعرة بما دب في نفوس ابنائها من وعي ويقظة ، وشعور بالحاجة الملحة نحو التمكن من الارض ـ والعمل جديا على اصلاح اطرافها وترميم ما انصدع من اجزائها ولم شعث ما افترق من جموعها وانطمس من معالمها ، والضرب على ايدي الفتانين والمشاغبين .

ولا ادل على هذا الفحوى الفاخر السعيد مما اخذ يجري في مغربنا الحر من فلح الاراضي وتوزيع موات قطعها وهكتاراتها في رجالها العاملين على الاستثمار والانتاج بعد ما كان الانتفاعيون والاقطاعيون واعوان الاستعمار يستغلونها في مصالحهم الخاصة ؛ اضف الى هذا ما اخذنا نراه ينشا من ءاونة لاخرى من بناء وتاسيس قرى ومدن وشق طرق وتعبيد حزون وتنمية الاقتصاد ، والعمل بنوع خاص على تربية النشء وتهذيب النفوس . كل هذا وما اليه قد اصبح المغرب الفتي الجديد يعمل له بكل ما يملك من طاقة ويتوفر عليه من جهد ـ جمع الله القلوب ، وهدى الكل لربط الاواصر ولحم الوسائل بالمقاصد ، حتى يصبح هذا الشعب المغربي الكريم يسير وقد استنار بنبراس القرءان ، واستضاء بدستوره وهديه الصالح المقدس .

الداعي للترابط والوحدة ـ في تعاون واخاء تحت ظل رمز هذه الوحدة الملك الشاب الحسن الثاني ايده الله .

الرباط : عبد الله الجراري

أمهات المومنين

للأستاذ : أبو العباس أحمد التيجاني

جاءني بعض الطلبة الى منزلي ، وامارات القلق والامتعاض تبدو على وجوههم ، وبعد تبادل التحيات، قال لي احدهم « فلان » انك تكتب في المجلات الدينية، لذلك جئناك نرغب منك ان تكتب لنا بما علمك الله في سر تعدد الزوجات فيما يخص نبينا عليه الصلاة والسلام . فقلت للسائل : لاباس أن تخبرني عن الداعي الى هذا السؤال . فاجاب بان الداعي هو ما نشرته بعض الجرائد في موضوع تعدد الزوجات . فشكرتهم على هذا الشعور الديني الذي دفعهم الى المجيء ، ودعوت الله لهم أن يزيدهم توفيقا على ما هداهم اليه من فتح باب للحوار في موضوع هو من اشرف الموضوعات عند جميع المسلمين . والجواب :

ان الجمهور يفهمون من كلمة الزواج حتى في حقه عليه السلام ما يفهمونه في العرف الجاري ولا يفكرون فيما وراء ذلك من المقتضيات والاسرار وشرح الحال فيما يخص امهات المومنين :

1) اما السيدة خديجة زوجته الاولى فالامر فيها واضح تزوجها عليه السلام على المتعارف اذ ذاك وجدت فيه الشاب الذي استوى فيه السر والعلانية ، طاهر القلب جميل الظاهر ، اطمأنت اليه نفسها وسكن اسمعته قلبها في زمان لا زال الاسلام يلتمس فيه طريقا بين ادغال الشرك ، وفوضى الجاهلية المطبقة .

2) بعد وفاتها عقد على سودة بنت زمعة ، توفى عنها زوجها بعد الرجوع معها من هجرة الحبشة الاولى فلم يبق لها سبيل للالتحاق باهلها لانهم باقون على كفرهم فكفلها عليه السلام وكافاها احسن مكافاة بهذه المنقبة العظمى التي تضمن لها سعادة الدارين ، لقائل ان يقول هلا زوجها للبعض من خاصته ؟ الجواب ان تزويجها للغير ناقص من جهة لانه ضمان فيه فيما اذا توفى عنها الزوج كيفما كانت منزلته وربما بقيت تحت رحمة تكاليف الحياة وتقلبات الزمن بخلاف دخولها في حظيرة رسول الله فان حاضرها ومستقبلها مامونان معا لامجال فيهما للحيرة ، لايضاجعها فيهما هم ولا حزن ، ما هنالك الا السعادة في اوسع واكمل معانيها وهذا يقال في حق جميع الامهات الطاهرات .

3) بعد شهر عقد على عائشة بنت الصديق صاحبه في الغار والحكمة في ذلك كالحكمة في تزوجه بنت الفاروق حفصة بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة في غزوة بدر اكراما لصاحبيه ووزيريه كما اكرم عثمان وعليا ببناته عليه السلام وهؤلاء اعظم اصحابه واجلهم في خدمة دينه .

4) زينب بنت جحش ، الحكمة فيما يخصها تعلو كل حكمة الا وهي ابطال تلك البدعة الجاهلية بدعة التبني ، التي يقول فيها سبحانه : ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم — وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم — فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا — فكانت رضي الله عنها السبب في القضاء على بدعة التبني اعلاما بالمبادىء والاسس الاجتماعية التي جاء بها الدين الجديد ومن اجل هذه المبادىء طهارة النسب وقداسة صلة الرحم : (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام —

واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله . الرحم معلقة بالعرش تنادي كل صباح اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني) .

5) جويرية المصطلقية ، كان المسلمون اسروا من قومها في غزوة بني المصطلق مائتي بيت بالنساء والذراري فراى عليه السلام ان من صالح الاسلام وهو لا يزال في طور التاسيس والبناء ان يعتق المسلمون اولئك السبايا فتزوج بسيدة من سيداتهم جويرية ، عند ذلك قال المسلمون اصهار رسول الله لا سبيل الى سبيهم واعتقوهم فاسلم لهذا العفو العام الذي هو الاول من نوعه قومها واصبحوا عونا وانصارا كغيرهم من المسلمين بعد ان كانوا حربا من الد الاعداء للاسلام والمسلمين ، وهذا من السياسة التي لاينهجها ولا يهتدى اليها الا من يتلقى من احكم الحاكمين امثال ما يلي من الغرر والدرر : (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ـ وانك لعلى خلق عظيم ـ وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) ، تلكم سياسة من كان جادا في بناء مجتمع ما لبث ان تعانق فيه الشرق مع الغرب من الهند الى المحيط الاطلسي شهد له بهذه العبقرية حتى علماء العجم في مختلف العصور اخص منهم بالذكر الفيلسوف لامرتين في كتابه تاريخ تركيا وها نص ما قال : (ما فعلته الدولة الرومانية في مآت السنين بملايين الجيوش وقناطير الذهب فعله نبي العرب في عشر سنوات بشرذمة من اتباعه ولكن بمشعل الايمان) .

6) زينب بنت خزيمة ، تزوجها بعد مقتل زوجها في احد كانت تدعى ام المساكين ماتت في حياته عليه السلام . افلا تكون زوجة من مات زوجها في احد يوم الفرقان يوم التقى الجمعان جديرة بهذه الصيانة والحيطة في حظيرة البيت النبوي .

7) ام سلمة واسمها هند ، كان زوجها ابو سلمة اول من هاجر الى الحبشة وكانت تحبه وتجله حتى ان ابا بكر وعمر خطباها فامتنعت ، ولما قال لها رسول الله (ص) : سلي الله ان يوجرك ويخلفك خيرا قالت ومن يكون خيرا من ابي سلمة من هنا تعرف مصاب هذه المراة ، فراى عليه السلام انه لاعزاء لها الا به فخطبها فاعتذرت بانها مسنة وام ايتام فتزوجها خصوصا ما سبق منها من حسن الراي بعد صلح الحديبية وذلك انه عليه السلام دخل عليها وشكا اليها ما لقيه من الناس حين امرهم ان يحلقوا وينحروا بعد ان صدهم المشركون من الدخول الى مكة امتنعوا لما بهم من الغيظ امام ما تضمنه عقد الصلح مع سهيل ابن عمر مثل الفصل الذي قضى على ان من لحق من قريش بالمسلمين يرد اليهم ومن لحق من المسلمين بقريش لا يرد اليهم فقالت ام سلمة يا رسول الله اخرج اليهم ولا تكلمهم وانحر واحلق فانهم اذا راوك قد فعلت لن يخالفوك وكذلك كان حلق ونحر عليه السلام وتبعه الناس لم يتخلف منهم واحد .

8) ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان كانت عند عبيد الله ابن جحش وهاجرت معه الى الحبشة الهجرة الثانية فتنصر هو هناك وبقيت هي على اسلامها ايمكنها الجمع بين البقاء على الاسلام والرجوع الى بيت ابيها سفيان وهو من هو في عداوة الاسلام والمسلمين امن الحكمة ان تذهب هذه المسلمة ضحية بين فئتين فئة مسلمة وفئة كافرة ، هذا مع ما كانت عليه الحال الاجتماعية من سوء الحال وعدم الاستقرار .

يستخلص من هذه التراجم المختصرة لامهات المومنين ان تزوجه بهن عليه السلام كان في ظروف تقرب من حالة الطواريء التي يلجا فيها الى الاحكام الاستثنائية المبنية على قاعدة تقديم المصلحة الراجحة على المصلحة المرجوحة .

بقي الآن التعليق على ما جاء في الجريدة في حق الرسول الاعظم وانه يحب النساء والمرح والغناء بهذه العبارة التي هي هتك لحجاب التعظيم والتوقير الذين امرنا بهما بنص الكتاب العزيز : لتومنوا بالله وتعزروه وتوقروه . عبارة استوى في استنكارها كل من سمعها او قراها اشد الاستنكار وابشعه حسبي فيما يخصني ان اكل امر هذه العبارة الى من نسبها مع من نسبت اليه على اني استبعد كل الاستبعاد ان يصدر مثل هذا الكلام من شريف في حق عنصر الشرف ومعدنه ، وتكون الرواية على حد ما قيل : فما آفة الاخبار الا رواتها او كما يقول احد علماء الافرنج : « اعطوني اربعة سطور من كتابة من شئتم وانا اتكفل لكم بشنقه » ، يريد ان ياخذ من تلك السطور من هنا ومن هنا حتى يستخرج ما يصح ان يطلق عليه اسم جريمة يقدم صاحبها الى المحاكم .

وكيفما كان الحال قالها او لم يقلها من نسبت اليه فان الرسول الاعظم او كان يحب النساء بالمعنى

الذي جاء في الجريدة لكان اختياره ينساق بحكم الطبيعة البشرية الى الابكار ومن يا ترى من لا يسارع الى اجابة مثل هذا الخاطب العظيم القدر في عشيرته وعند املاك من اختاره لحمل رسالته .

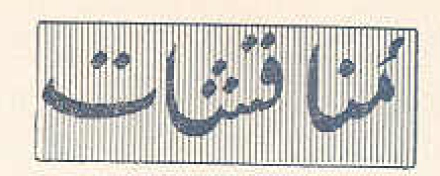
وكيفما كان الامر فيما يرجع للمسئولية فان النعوت المنسوبة اليه عليه السلام بتلك العبارة وذلك الاسلوب لا يستسيغها مسلم له وعي ، ان الكلام في حق الرسول له منهاجه الخاص بينته الآيات تصريحا او تلويحا : (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ـ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون) ، معناه لا تجعلوا مخاطبته بينكم لخطاب بعضكم لبعض ولكن كلموه وتكلموا فيما يخصه بتوقير وتعظيم وكامل التواضع . كما قال جل ذكره : (لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) ويقرب منه قوله عليه السلام : (أحبوا الله لما يغذيكم به من النعم واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي) على هذه المبادىء المقدسة قامت واستقرت التربية الاسلامية على توالي الاجيال والقرون .

بقيت ملاحظة اخرى لها مكانتها من التقدير والاعتبار وهي انه صلى الله عليه وسلم ارسل للناس كافة : (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ـ قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) .

الرباط : ابو العباس احمد التيجاني

« الاستقامة ، حفظ اللسان »

« روى الزمخشري في « الكشاف » : قال سفيان بن عبد الله الثقفي ، قلت : « يا رسول الله ، اخبرني بامر اعتصم به . » قال : « قل : ربي الله ، ثم استقم » فقلت : ما أخوف ما تخاف علي ؟ ؟ فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه ، فقال . هذا . . . . !



نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 2 -

3 ـ قوله : اما تطوير الايمان بسيطرة الغريزة فهو يجتاز ازمة عميقة في بلداننا العربية ، نتيجة العلم الذي بدا يشرح بعض الظواهر الطبيعية الغامضة، والتي ساد الاعتقاد الخاطيء انها وظيفة الله .

تقدم الرد على صدر هذه العبارات ، وبقي عجزها ، وهو قوله (والتي ساد الاعتقاد الخاطيء انها وظيفة الله) . هل هذا الكاتب لايعرف اللغة العربية، ولا ندري هل يعرف اللغات العجمية أم لا ، ويضاف الى جهله باللغة العربية عدم الاخلاص في البحث والدرس وسوء القصد وارادة الاستفزاز باطلاق العبارات الخارجة عن الموضوع ليرضي بها من اشلوه للعض والنباح ، والا فكيف يطلق على الله خالق السموات والارض ومدبر شؤونهما ، أن له وظيفة . قال الفيروزابادي في القاموس و (الوظيفة) كسفينة ما يقدر لك في اليوم من طعام او رزق ونحوه والعهد والشرط . ج وظائف ووظف بضمتين . والتوظيف تعيين الوظيفة ، انتهى . فكل موظف بالفتح له موظف بالكسر ، وهو الذي يقدر له وظيفته ، والله رب العالمين وخالقهم ورازقهم ، وهو الذي يحيي ويميت بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، ويحكم ولا يحكم عليه . ولولا سوء القصد والجهل باللغة العربية لقال بدل تلك العبارة ، لقد كشف العلم امورا كان بعض الناس يظن انها خاصة بالله لا يقدر عليها غيره ، وذلك كالقضاء على بعض الامراض المعدية، كالجدري وحصر الاوبئة في مكان معين ، ثم القضاء عليها بالعلاج ، والتزود بالهواء والطعام والالات التي تصل بالمراسلة والمحادثة الخارج من جو الارض باهل الارض . وهذه الامور نفسها هي من فعل الله ايضا ، لانه هو الذي خلق العقول التي اخترعتها ، وهو الذي وهب الحياة والقدرة للقائمين بها . وقد ظهرت امور كثيرة ، كالراديو والتلفزيون والطيران والمكالمات التلفونية ، كان الناس يظنونها من خوارق العادات ، ثم اصبحت عادية . ولا يوجد فى الكتاب ولا فى السنة ما يدل بأي نوع من انواع الدلالة على ان تلك الامور خارجة عن طاقة الانسان . بل جاءت الاشارة الواضحة اليها فى الكتاب العزيز في قوله تعالى فى سورة النحل8 (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لاتعلمون) يعني ويخلق ما لاتعلمون من المركوبات كالطائرات والسفن الهوائية والبواخر المواخر للبحور والسيارات والقطر . ومما قد يذكره أمثال هذا المهوس، ما كان العامة يظنونه ، من ان الارض غير كروية وينسبونه للقرآن في قوله تعالى فى سورة الغاشية 20 (والارض كيف سطحت) هذا لا يعتقده الا العامة . اما العلماء كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، والغزالي ، وابن رشد ، والنيسابوري ، فقد صرحوا واقاموا الحجج على ان الارض كرة . وقد يذكر بعض المهوسين ، اكتشاف دوران الارض على نفسها وحول الشمس ، ولم يتعرض له القرآن بنفي البتة ، بل اشار اليه في قوله تعالى فى سورة يس بعد ذكر الارض والشمس والقمر ، (وكل فى فلك يسبحون) 40 . اما ما صرح القرآن بأنه خاص بالله تعالى كخلق السموات والارض بانسانها وحيوانها ونباتها وما اودع في ذلك من الاسرار ودقة الصنع والتدبير الذي يستحيل عند كل من كانت له ذرة من العقل أن يكون وليد المصادفة والاتفاق . قال الله تعالى فى سورة الحج فى الرد على المشركين 73 : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ، ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب » هذا هو

التحدي المخزي ، فهل وجد في هذه القرون الطوال منذ نزول هذه الآية الى الآن من استطاع ان يخلق ذبابا فضلا عن غيره . وقال تعالى في سورة الانبياء 35 « كل نفس ذائقة الموت » فهل استطاع العلم المزعوم ان يخلد احدا من الناس او من الحيوان او من النبات . وقال تعالى في سورة الانعام 59 : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » وقال تعالى في آخر سورة لقمان « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام : وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي ارض تموت ، ان الله عليم خبير » قال الامام ابن كثير في تفسير هذه الآية :

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها فلا يعلمها احد الا بعد اعلامه تعالى بها ، فعلم وقت الساعة، لايعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، لايجليها لوقتها الا هو ، وكذلك انزال الغيث ، لا يعلمه الا الله ، ولكن اذا امر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه . وكذلك لا يعلم ما في الارحام مما يريد ان يخلقه تعالى سواه ، ولكن اذا امر بكونه ذكرا او انثى او شقيا او سعيدا ، على الملائكة الموكلون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه . وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها واخراها . وما تدري نفس بأي ارض تموت في بلدها ام في غيره من اي بلاد الله كان ، لاعلم لاحد بذلك . وهذه شبيهة بقوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو) الآية . وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب .

اخرج البخاري بسنده الى ابن عمر قال ، قال رسول الله (ص) : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله . ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي ارض تموت ، ان الله عليم خبير » .

فهل يستطيع العلم المزعوم ان يعلم شيئا من هذه الخمس ؟ لعل قائلا يقول ، ان الناس في هذه الايام يعرفون ان المطر سينزل غدا او لا ينزل ،وان السماء ستكون مصحية او غائمة . فأقول : ان هذا العلم مكتسب بآلات وامارات ، ولو سألنا العالم الفلكي عن وقت نزول المطر بعد شهر من يومنا الحاضر لايستطيع ان يجيب بشيء . اذن لايعلم متى ينزل المطر الا الله ، وعلمه لا يحتاج الى آلات ولا امارات ، فهو يعلم متى ينزل المطر ، والمقدار الذي ينزل من المطر بعد عشرة آلاف سنة ، بل علم سبحانه اوقات نزول المطر ومقاديره قبل ان تخلق الارض الى ان تفنى . وسيقول قائل ، ان الطبيب يعرف ما في بطن الحامل اذكر ام انثى ، والجواب عن هذا كالذي قبله ، انما يعلم ذلك بالاشعة او بامارات ، ولو سألناه عن طفلة في العاشرة من عمرها ، ماذا ستلد من الاولاد ، بعدما تبلغ وتتزوج لما وجد جوابا . وهكذا يقال في كل امر اخبر الله سبحانه انه استأثر بعلمه او بخلقه في كتابه العزيز او على لسان نبيه الكريم (لاتبديل لكلمات الله) واظن أن هذا القدر كاف لتكذيب دعوى الحبشي المدعي انه عربي ، ولا تعترف به الحبشة ولا العرب ، لان الحبشة نصارى ، والعرب اكثرهم مسلمون ، وقليل منهم نصارى ، ولا يستطيع ان يصرفهم عن دينهم الدساسون المجهولون ، فهم يضربون في حديد بارد .

4 ــ قوله : ان الايمان بشخص بشري ، او بالله ، يستهدف طلب الكائن الذي يستحق هذا الايمان . الخ

هذا كلام ركيك فاسد لا طائل تحته . وقد انحط في الركاكة والتعمية الى حد لا يستحق أن يقرأ ولا ان يجاب عنه ، وعلى ذلك تجاريه فنقول ، ما معنى الايمان بشخص بشري ؟ ، هل معناه ان يعتقد فيه أنه الله كما يدل عليه قوله ، يستهدف صلب الكائن، فكأنه يعرض بعقيدة النصارى في الاقانيم الثلاثة ، وعقيدة الصلب والفداء . فان كان الامر كذلك نترك الجواب عنه للمسيحيين ، لاننا معشر المسلمين لا نعتقد في البشر كلهم ، الا انهم مخلوقون لله ومفتقرون اليه ، والله غني عنهم ، ليس له ند ولا كفؤ ولا شبيه ولا نظير ، ولا نعتقد صلبا ولا فداء .

5 ــ قوله : فالمتعالي بالنسبة للغريزة هو المجهول والمغلق . وكلما زاد خوف الغريزة من امر ، ازداد اعتقادها بانه يستحق الايمان .

قوله ، فالمتعالي بالنسبة للغريزة هو المجهول والمغلق ، كلام فاسد لامعنى له ، لان المتعالي صفة لايتعين موصوفها ، فان اراد به اسم الله تعالى ، فان من اسمائه المتعالي ، فانه ليس مجهولا الا عند الجهال امثاله ، ومن عرفه حجة على من لم يعرفه . واذا كان يجهله ، فكيف يحكم عليه ، فان الحكم على الشيء فرع تصوره . فهو وصف شيئا بالتعالي ، ولم يعين الموصوف ، ثم حكم عليه بانه مجهول ومغلق . والصفة في اللغة العربية وفي غيرها تدل على امرين ، على

عين متصفة بصفة . فمن السخافة تصور شيء ، وصفته بالتعالي ، ثم الحكم عليه بانه مجهول ، وما معنى الاغلاق هنا ، انما يتصف بالاغلاق الباب ، والمعنى الغامض ، ولعله يريد هنا المعنى الاخير ، فان كان الامر كذلك ، ففكره هو المغلق ، وتعالى الله وتنزه ان يكون مجهولا او مغلقا ، وقد عرفه اهل السموات واهل الارض وشهدوا بربوبيته وكماله المطلق وهيمنته وقيوميته . ولماذا أبهم وهرب الى الصفة ، ولم يقل الاله او الله كما صرح بذلك فيما بعد بغاية الوقاحة والنذالة . وليس ذلك من شأن الباحثين ، لان الشتم والسفاهة سلاح الدساسين . وأي علاقة للغريزة بالاعتقاد ، فان الاعتقاد خاص بالعقلاء ، والغريزة مشتركة بين الناطق والناهق ، ولكن من فقد نصيبه من العقل وغلبت عليه الغريزة كالبهائم ينسب كل شيء اليها .

اما قوله ، وكلما ازداد خوف الغريزة من امر ، الخ . تقدم ان الغريزة لا شان لها بالاعتقاد ، وانما الاعتقاد يكون بالعقل ، والمعتقد هو الانسان . وصحيح ان الانسان اذا خاف من امر آمن به وعبده ، فعباد الاوثان والاصنام يعتقدون ان لتلك الاوثان والاصنام ارواحا متلبسة بها تضر وتنفع وتقضي حاجات من يخضع لها ويذبح لها ويطوف بها ويهتف باسمائها اذا حز به امر ، فهم يخافونها ويرجونها ، ولكن المؤمنين بالله ليسوا كذلك ، فانهم آمنوا بالله بعد ما نظروا في خلق السموات والارض ورأوا كل شيء من المخلوقات يدل دلالة واضحة قاطعة على خالقه .

وفي كل شيء له آية ※ تدل على انه الواحد

قال تعالى في سورة آل عمران 190 — 191 (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والارض) . وسأفصل القول فيما بعد في الادلة والبراهين القطعية التي تدل على وجود الخالق وربوبيته وعلمه وحكمته وتدبيره لمملكته العظيمة بحول الله وحسن عونه .

6 — ثم قال : فبعد ان افترضنا ان فكرة الله يجب ان تشرح كل ما يبدو لنا غامضا ومغلقا في ظواهر الطبيعة ، وبعد ان راينا العلم الحديث يشرح هذه الظواهر عينها ، شاع الاعتقاد بأن ذلك انما هو انتصار للعلم على الايمان الديني .

هذا الكاتب ليس من اهل العلم ولا من اهل الدين ، فهو جاهل بهما جميعا . ولو كان من طلاب المعرفة لعرف واعترف بأن الانسان لايزال في غاية الجهل بنفسه وبما حوله من حيوان ونبات وجماد ، ولم ينكشف له من اسرار ذلك الا شيء ضئيل جدا . فما يعلمه بالنسبة الى ما يجهله كنقطة في بحر ، فهو لا يعلم على الحقيقة والتدقيق مستقر العقل والادراك الذي فضل به الانسان على الحيوان الاعجم . والادراك انواع ، فأين يستقر كل نوع منها ، كالحفظ والنسيان والذكر والذهول والتفكير ، وأين خزانة المعلومات من جسمه . وأين تستقر الحياة ، وما هي الحياة ؟. وابن يكون عقله حين ينام ؟ وهل هناك عقلان ، عقل باطن وعقل ظاهر ، وهذه الامور التي يراها في المنام باي قوة يراها . ؟ ثم ان العلم بأمراض الانسان وعلاجها لايزال ضئيلا ، والمجهول منه اكثر من المعلوم ، والمعلوم منه يقينا اقل من ذلك . ثم ما هي جاذبية الارض التي تؤلف بين اجزائها ، وتجذب اليها كل ما هو في الغلاف الهوائي المحيط بها ، واين هي هذه الجاذبية ؟ . ومن ادعى العلم بكل شيء فهو جاهل بكل شيء . ثم ان العلم والايمان بالله متلازمان ، لاينفك احدهما عن الآخر ، اذ لا يمكن ان يعرف الانسان دقائق المصنوعات وأسرارها وعجائبها ويشتد اعجابه بها ، وهو يجهل الصانع جهلا تاما ، بل ينكر وجوده .

7 — ثم قال — فض فوه — وعاش من يجفوه — ما نصه بالحرف : وان الله لن يلبث ان يتقهقر يوما بعد يوم حتى ينبذ نهائيا . وبما أننا نسبنا الى الله وظيفة ليست له . الله ليس ظاهرة لا متناهية الصغر ، او متناهية العظمة . اردنا ان نصلحه هو بانكاره نهائيا ، بدلا من ان تصلح ذواتنا . انتهى هذيانه .

« البراهين العقلية التي تضطر كل عاقل ان يؤمن بالله »

قبل ان ابدا في سرد البراهين اريد ان انقل كلاما لبعض العلماء المعاصرين الناصحين لامتهم الذين هم سرج هداية وهداة الى الحق . قال الاستاذ محمود صالح الفلكي في مقدمة كتابه (العلم يدعو للايمان) ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد يبدو غريبا أن رجلا درس العلوم الاقتصادية والمالية وشغل منصب وكيل وزارة المالية والاقتصاد ، ومركز نائب المحافظ لصندوق النقد الدولي بواشنطون . والان هو سفير مصر في باريس ، يعمد الى ترجمة كتاب كهذا الكتاب ،

يتكلم في الفلك والجيولوجيا والطبيعة والكيمياء والطب وعلم الوراثة ، ومثل ذلك من العلوم ، التي لاتمت الى عمل المترجم ، ولا الى دراسته ، بسبب من الاسباب .

ولكن الواقع اني حين قرات هذا الكتاب اثناء اقامتي في امريكا ـ ضمن ما قراته من كتب في موضوعات شتى ـ قد اعجبتني الغاية السامية التي توخاها المؤلف الكبير من تاليفه ، الا وهي اثبات وجود الله ووحدانيته بأدلة من العلم المادي الحديث .

وكان العهد بدعاة الالحاد أن يحتجوا لدعوتهم بادلة يحسبونها علمية ، حتى لقد ظن البعض أ ن العلم والايمان نقيضان لا يجتمعان . بل الف احد العلماء الغربيين ، وهو جوليان هكسلي ، كتابا في ذلك سماه (الانسان يقوم وحده) (Man stands Alone) زعم فيه ان العلم ينكر وجود الله . ولكن ها هو ذا عالم من اكبر العلماء الامريكيين ، وقد شغل حينا مركز رئيس المجتمع العلمي في امريكا ، قد تصدى له ورد عليه ، وبين له وللناس جميعا ان العلم الحديث يثبت وجود الله وينتهي الى الايمان به وبوحدانيته بما لا يحتمل الشك او الجدل . وقد سمى كتابه (الانسان لايقوم وحده(Man does not stand Alone) اثبت فيه بمختلف العلوم ان الله باريء الكون وهو خالق كل شيء .

لذلك وحده عنيت بترجمة هذا الكتاب لعله ينتشر بين قراء العربية كما انتشر في امريكا حيث كان له اثر كبير في صد موجة الالحاد وتثبيت قوة اليقين

وقد وجدت كثيرا من آيات القرآن الكريم تؤيد ما ذهب اليه المؤلف فوضعتها في مواضعها من فصول الكتاب . والله الهادي الى اقوم سبيل .

التعريف بمؤلف كتاب : الانسان لا يقوم وحده

وضع العلامة الامريكي كريسي موريسون هذا الكتاب للقاريء العادي ، سواء أكان شابا ام شيخا ، رجلا ام امراة . وبينما يعالج مسائل علمية جديدة ، تراه يطلعك على غرائب في الكون ما كانت تخطر لك ببال .

وهو كتاب علمي قبل كل شيء ، اذ يعالج مسائل تختص بالفلك والجيولوجيا والطبيعة والكيميا والطب وعلم الاحياء ونحوها . ولكنه بسط هذه المسائل العلمية لدرجة تقربها الى ذهن كل قاريء . ومن عجب ان يستوعبها كلها في هذا الحيز الصغير ، وان يعرضها بشكل جذاب .

اما ما كشفه المؤلف في هذا الكتاب من حقائق جدير بأن يثير خيال الانسان ، غير ان النتائج التي انتهى اليها هي ثمرة (تكييف) الانسان ، كي يلائم الطبيعة بشكل ظاهر ، كما هي ثمرة تكييف الطبيعة لتلائم الانسان بشكل خفي أدعى الى الدهشة . ولا ريب ان هذا الكتاب سيكون موضع التقدير من جميع المفكرين الذين يروقهم أن يجمعوا التامل والتفكير الى الايمان والدين .

وقد برهن المؤلف بالبراهين القاطعة على ان عجائب علاقات الانسان بالطبيعة ، ووجود الحياة نفسها ، تتوقف كلها على وجود الخالق سبحانه وتعالى، وعلى وجود قصد من خلق الكون ، ويتمثل هذا القصد في اعداد روح الانسان للخلود .

وهذه الغاية التي توخاها المؤلف هي غاية جليلة بلا ريب ، ولا تعارض بينها وبين الاديان على اختلافها، بل انها على العكس تؤيدها ، اذ تثبت الايمان بالله الذي هو اساس كل دين . ومن ثم يروق هذا الكتاب العالم العصري ، والعالم الديني ، والواعظ ، ويرضي المتدين ، كما يقنع الذي بنفسه شك .

ولا ريب ان الموضوع الذي عالجه هذا الكتاب هو موضوع اليوم . فقد انتشرت فكرة الالحاد في كثير من البلدان ، وزعم الملحدون انهم ينكرون الايمان على اساس من العلم . ولكن ها هو ذا عالم كبير يؤيد الايمان ببراهين من أحدث العلوم .

هذا والعلامة كريسي موريسون ، هو الرئيس السابق لاكاديمية العلوم بنيويورك ، ورئيس المعهد الامريكي لمدينة نيويورك ، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة ، وزميل في المتحف الامريكي للتاريخ الطبيعي ، وعضو مدى الحياة للمعهد الملكي لبريطانيا العظمى .

وقد قرظت هذا الكتاب صحف ومجلات امريكية عدة . ومن ذلك ما نشرته مجلة (هارتفورد كورانت) ضمن مقال طويل ، اذ قالت :

ان المؤلف الذي هو رئيس سابق لاكاديمية العلوم في نيويرك ، قد اشتق الوقائع من مختلف

العلوم ، وجمعها معا في هذا الكتاب الذي يفتح الاذهان ويضيئها بشكل يدعو الى العجب ، مثله في ذلك مثل صانع الساعة الدقيقة الجميلة ، اذ يبحث عن عجلة صغيرة او ترس هنا وهناك ويضم اداة دقيقة الى مسمار ، حتى يتم صنع تلك الساعة .

وقد استعان المؤلف بامثلة من علم الفلك والجيولوجيا وعلم الحشرات وعلم النبات وعلم الاحياء وعلم الطبيعة وعلم النفس والفلسفة . وقد جمع هذه المادة بعناية بالغة ، وعرضها بدقة وبراعة .

واشتق من هذه العلوم المختلفة المتشابكة ، حقائق عجيبة مرتبطا بعضها ببعض في انسجام كامل بشكل يؤدي بالضرورة الى ايمان كل انسان مفكر سليم الفكر بوجود الله .

ان بعض المؤمنين يؤمنون على اساس الشعور ، والبعض الآخر على اساس تعاليم يحفظونها دون تفكير . ولا يصلح هذا الاساس ولا ذاك ، وانما يصلح الايمان القائم على العقل ، ليقي الانسان في هذا العصر الذري المدهش .

ومن كلام الشيخ احمد حسن الباقوري في الاعجاب بالمؤلف المذكور :

وبعد ، فهذا المؤلف ثمرة عقل كبير ناضج ... عقل وسع ثقافة العصر واحاط بالكثير من دقائقها ، حتى صار صاحبه رئيسا للمجمع العلمي بامريكا ، وذلك منصب لا يرقى اليه الا العباقرة الافذاذ من العلماء .

وغاية المؤلف من هذا البحث ، الوصول الى الله عن طريق العقل وما يتكشف له بالعلم والمعرفة من أسرار الكون وعجائبه . فكلما تكشفت له حقيقة من الحقائق هتف من اعماقه ، سبحان الخالق المبدع ، اعترافا منه بأن الانسان وما سخر له العلم والمعرفة من وسائل القوة والاقتدار ، أضعف من أن يبلغ من أسرار هذا العالم شيئا مذكورا .

« يا ايها الناس ضرب لكم مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ـ ضعف الطالب والمطلوب » لم يكن المؤلف عالما وحسب، ولكنه كان أيضا شاعرا ، كلما تناول عقله حقيقة من الحقائق اشرق قلبه بها ، فسرت في كيانه هزة الاكبار والاجلال لخالق الكون ومبدعه ، وتلك هي دعوة الفطرة السليمة الى الله وطريقها اليه . ومن هنا كان هذا البحث جديرا بان ينظر فيه المسلم بعين الاعتبار ، وأن يجعل من مباحثه دروسا نافعة يرى من خلالها قدرة الله وعظمته ، فيقوى يقينه ويزداد ايمانه .

كلام الدكتور احمد زكي مدير جامعة القاهرة سابقا في التعريف بهذا المؤلف :

في الاشتغال بمطالب العيش ، والاغتمار في غمرة الحياة ، ينسى الناس ان يفكروا فيتساءلون : من الغاية من هذا الوجود ؟ وما اشتغال بعيش ، وما اغتمار حياة ؟ وقد ينتبه الناس من غفلة ، أو يستيقظون من نومة ، اذ اصابهم مرض ، أو أصابهم عجز ، او نابتهم نائبة . وشر النوائب عندهم الموت ، ينزل بقريب او ينزل بحبيب . ففي هذه الفترات السوداء ، البارقة في سوادها ، يتوقف الناس يستخبرون ، من أين جئنا ، والى اين المصير ؟ ولكنها فترات لاتطول . فحوافز العيش تعود فتحفز ويشتد حفزها ، والحياة تعود تهتف بحاجاتها ويشتد هتافها. والانسان منا يلبي جبرا لا اختيارا ، ويتركز على يومه، وينسى أمسه الذي كان ، وينسى يومه الذي سوف يكون ، الا من حيث ما يطعم ، ويلبس ، ويلذ ، ومن حيث ينعم أو يشقى بالحياة .

ولكن مع كل هذا ، فمن تحت صخب النهار ، ومن بين الاصوات الصارخة في معركة العيش ، يحس الانسان منا صوتا خافتا يحاول دائما ان يصل الى الآذان . وهو يصل اليها عندما يتعب القائم فيحتاج الى القعود ، وعندما يجهد الجاهد فيتصبب عرقا، فيأوي الى ركن هادىء يجفف عن وجهه عرقه الصبيب . او هو يصل اليه في هدأة من الليل ، وهو قاعد في العراء ، يرعى اشياء هذه الارض ، ويرعى على الاكثر اشياء هذه السماء .

وهو اذ يرعى هذه السماء ، يرعى اشياءها ، يرعى نجومها . يزداد هذا الصوت الخافت في آذانه ثم يزداد ، حتى يصير صراخا . هذه السماء ما هي ؟ وهذه النجوم ما اعدادها وما ابعادها ؟ وما فتات من النور مبعثر في هذه القبة البلقاء ، بعثرة الرمال في الصحراء ؟ وكيف تحور هذه القبة وكيف تدور ؟ وما شروق لها وما غروب ؟ وما نسق وانساق تجري عليها ومواعيد تضربها فلا تختلف ابدا ؟ .

ويأخذ ينعم النظر رافعا بصره ، وهو اذ يملأ بالذي يراه عينا ، يملأ به فكرا ويملأ به قلبا . وعندئذ

يرى تلك الصور وهي تجري في ازمة يجمعها آخر الامر زمام واحد ، ويرد تلك المعاني ، وهي مختلفة كاختلاف الوان الطيف من احمر واصفر وازرق ، ثم تجتمع كما يجتمع الطيف ، فيكون منه لون ابيض واحد ، ويرد كل هذه المعاني ، ويرد كل هذه الصور وكل هذه المباني ، الى يد صناع واحدة ، تحركها ارادة عاقلة منسقة هادية واحدة .

فتلك يد الله ، وتلك ارادة الله .

على هذا جرى الاقدمون واهتدوا الى كشف حقيقة الله . وما اعسره كشفا كان ، عند قوم ، لانه كشف مخلوق تستتر وراء مخلوقاته ، وما ايسره كشفا كان ، عند اقوام ، لانها مخلوقات عجيبة رائعة ، ما اسرع ما رقت فنفذ اليها الفكر الانساني العاقل ، فشفت عما وراءها . وكان الفكر احد اعاجيبها .

ثم جرى الزمان فجاء العلم ، اشرق على الناس العلم الحديث منذ ثلاثة قرون . وهو بعد ما بلغ الضحى .

وكشف العلم عن عجيب ما صنع الصانع . كشفه في النبات ، وهو صنوف لا عداد لها . وكشفه في الحيوان ، وهو اجناس لاحصر لها . وكشفه في الانسان ، اسمى حيوان . وكشف عن اتساق واحدة في كل هذه الصنوف والاجناس جميعا . وكشف عن قوى في كلها تعمل واحدة ، على اختلاف في درجات، ولكن على اتحاد في غاية . وهدى ، وهدى المنطق ، وهدت الفطرة ، الى ان صاحب هذه الاتساق لابد واحد ، ومجري هذه القوى لتعمل على هذه الاساليب الواحدة ، لابد واحد . ونسق العلم ما بين الارض الجامدة وما عليها من احياء . ونسق ما بين الارض ، جامدها والحي ، وبين هذه الشمس وذاك القمر ، واثبت ان المعدن واحد ، والاصل واحد ، واثبت ان الذي صمم عين الانسان بعدستها ومائها ، وما وراء الماء من شبكة تلقي عليها الصور ، هو هو لابد الذي صمم هذه الشمس واخرج منهاتلكالاشعة ووجهها الى الارض . فهذه العين تكون عبثا لولا هذا الضياء .

وجاء العلم ، وجاء العلماء بالف الف دليل على وحدة الارض ، وما عليها ، ووحدة السماء . ومن هذه الوحدة درج الناس والعلماء الى وحدة رب هذه الارض ورب السماء .

ومع هذا بقيت في العلماء بقية تقول بالخلق والتخلق طبعا ، وتنكر وجود الله . ومن هذه البقية العالم الانجليزي ، جوليان هكسلي فكتب في ذلك كتابا اسماه (الانسان يقوم وحده) (Stands Alone) وهو في ذلك يسير على درب سار عليه جده من قديم . فجده توماس هكسلي 1825 — 1895) ، صاحب دارون وناصره في القرن الماضي .

وظهر هذا الكتاب لهذا العالم فانبرى له عالم آخر ، فكتب كتابه هذا ، الذي بين يدينا ، واسماه (ان الانسان لا يقوم وحده) (Man does not stand Alone) اراد بذلك ان يقول انه يقوم في هذه الدنيا ومعه الله .

والكتاب يعدد ، في ايجاز جميل ، هذه الانساق التي تجمع بين الخلائق جميعا ، وبين الحي والحي ، وبين الحي والجامد . وعبر حدود الارض ، واتجه الى السماء ، يربط ما بينها وبين الحياة على هذه الارض. وهو يدلل من صفات هذا الشيء وهذا الشيء ، على ان صانعها لابد واحد ، فهما كالمفتاح وقفله اتساقا ، لايمكن ان يكون ابتدعهما ودبرهما الا عقل مبتدع مدبر واحد .

فالكتاب عون على الايمان الذي عماده الفكر والفطنة : كبير . ا هـ .

قال محمد تقي الدين : فتأمل ايها القارىء النبيل في كلام هؤلاء الجهابذة الذين هم اقطاب الادب العربي والاوربي معا كيف اقاموا البراهين القاطعة على مقام الربوبية الاعلى وحاجة المخلوق الى خالقه المتعالى . وسيرد عليك في المقالات الآتية بحول الله وقوته ما يثلج صدرك ، ويملأ قلبك يقينا وايمانا ، فتغمرك سعادة المؤمنين ، وتنقشع عنك سحائب الغافلين . واين هؤلاء الفحول من ذلك الكويتب المجهول (ريني الحبشي) هيان بن بيان ، وضل بن ضل .

وابن اللبون اذا ما لز في قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس

وموعدنا المقال التالي . بحول الله وقوته .

الدكتور تقي الدين الهلالي



ثقافتنا الإسلامية المعاصرة

للأستاذ: الحسن السائح

نجد انفسنا امام مشكلة تحديد كلمة « الثقافة » وكلمة « الاسلامية » فلم يعد من السهل وقد اتسعت مدلولات الكلمات الادبية وتنوعت الالفاظ المعبرة عنها ان تعطي بسهولة تحديدا جامعا مانعا لكلمة ثقافة ، وكلمة اسلامية ، فما هي الثقافة اليوم؟ وقد حاول كثير من الكتاب ان يعطوها تحديدات دقيقة فعجزت المقالات واضطروا الى كتابة تآليف في موضوع الثقافة ، ولعل آخر ما ظهر هو كتاب Bodin الذي نشره في سلسلة ما ذا اعرف ؟

ثم ما هي الاسلامية التي نعيشها الآن ، هل الاسلامية السلفية او الاسلامية بعد شرحها في عصور النهضة الاسلامية او الاسلامية في العصور المظلمة ، ام الاسلامية في العصر الذي نعيش فيه وهي تقف تائرة حينا لها موقف صارم وتارة ملاطف من التيارات الفكرية التي ظهرت في العالم الجديد .

لعل اختلاف هذه المفاهيم يوجب ان نحدد الثقافة ، ونحدد الاسلامية ، قبل القاء النظر على ثقافتنا الاسلامية المعاصرة .

فما هي الثقافة التي نعيشها ؟ ، يظهر ان تحديد الثقافة يجب ان يبدأ من نقطة انطلاقها فقد عاش الانسان الاول في تجربة دائمة ، انصهرت عن واقعه الذي يعتمد على تفكيره العقلي ومشاعره العاطفية ، كانت هذه التجربة زاخرة بحركة المفاجآت وما تعوده فانتهت الى ان يكون له رأي او حكم في كل موضوع عالجه ، كما انتهت في تعبيره عما يذكره او يعاهده اما بطريق الرسم او التصوير او التعبير السمعي ، فبدأت الثقافة التي تطورت الى مجموعة من المدارك الحسية والمعنوية المسيرة لسلوك الفرد عند ما يعيش في ذاته ، ولسلوك الجماعات عند ما يتحد فيها مجموعة من الافراد .

وكان هذا السلوك يحدو الانسان نحو البقاء والخلود ، او نحو المثل العليا القادرة على بقائه وخلوده ، والتي تعطيه مفهوما لكل عمل وتوضح كل غاية ، وهكذا اصبحت (الثقافة) نتيجة عمل الانسان ، واصبحت في نفس الوقت هي الخلق الحر المنتج المتسلسل ، تخلق التفكير المنتظم وتخلد شخصية الانسان في عمله ، واذ فقد تولدت الثقافة عند الانسان عند ما استعمل فكره لمعالجة مقتضيات الحياة ، وتفهم مظاهر الطبيعة والكون ، محدده بالبيئة وزمان الانتاج ثم لم تلبث ان اصبحت تتطور بما يمدها بهالشخص الانساني من تجربة وراثية ومقتضيات فسيلوجية وما يمدها به ايضا بالتاريخ — من خبره لانه مركز تسلسلها سواء في الماضي وما فيه من تجربة ، او الحاضر ، وما فيه من طاقة وحيوية او المستقبل الذي يعتبر هدفها الحافل لنمو العقل والتفكير .

وبذلك اصبحت الثقافة تصميما خلاقا مبدعا ينطلق منه الانسان لتحقيق الاهداف الكبرى ، واصبحت تتناول شؤون الفكر والعاطفة وتبرز في كل عملية فكرية ، في فهم الانسان للدين ، وللعلم ، وللتقنية ، وللفن .

وعنها نشأت الحضارة التي هي ثمار التفكير المثقف ، فالحضارة وليدة الثقافة ، ولا نعرف عنها فأية حضارة الا وهي نتيجة الثقافة .

وكما تنحرف الحضارة تنحرف الثقافة ، غير ان الحضارة تظل منحرفة اما الثقافة فأصالتها هي المثل الاعلى ، وسرعان ما تاخذ طريقها لان الثقافة تمس الفرد وتمس الجماعة ، اما الحضارة فهي عمل الجماعة ويسهل ان يعود الفرد لصواباته ، اما الجماعة فيقتضي ذلك تغيير الجذور الاولى ، فالاصل صلاحية الفرد المثقف ، والعرب اصدق الشعوب حين عبروا عن المستقيم غير المعوج في فكره وذوقه (بالمثقف) من التثقيف اي تقوم الرمح ، فهي عملية داخلية في الانسان ، اما الغربيون الذين استعاروا كلمة (كيلتور) Culture لأداء « الانتاج » الفكري للانسان .

ومن هنا يتضح لنا ان الثقافة ليست مجرد قواعد ومفاهيم اذا ادركها الانسان وتعلمها اصبح مثقفا .

وانما هي في اسلوب التفكير والتعبير والحياة المعاشة متجهة لتكوين اجتماعي يتقدم دائما ، وحتمية الارتباط بين الانسان وثقافته هي الوسيلة الوحيدة لانماء الذاتية والسمو بها الى قمة الانسانية . ولا يمكن لاية حضارة ان تسمو الا على اساس تسلسل ثقافتها المحلية ولذلك كان المستعمرون عندما يغزون حضارة ما ان يحاولوا جهدهم لاجتثات اصولها ، وقد عشنا هذه التجربة كما عاشتها اغلب البلاد المغلوبة على امرها وكادت الصلات ان تنقطع بين الماضي والحاضر ، وقد يكون من نتيجة قطع الصلات الثقافية او تقادم عهدها ان يعيش الانسان في الفترات الاولى من الاستقلال في ادراكات ليست صحيحة ، وليست سليمة عن حضارته وثقافته العريقة بعد ان بعد عنهما وبذلك يعبر بناء ثقافة وحضارة معاصرة الا بعد عملية تفهم الثقافة الاصلية واحياء تراثها .

ولا يمكن لاية امة ان تبلور ثقافتها وحضارتها في الوقت الذي تكون فيه مغلوبة على امرها لان « الحرية » ضرورية لاظهار الصورة الحقيقية للثقافة والحضارة .

فحرية الفرد والشعب ضرورية للتعبير عن مقتضيات الثقافة .

ولا يمكن ان تفهم الثقافة على وجهها الصحيح الا عند ما تكون تعبيرا صادقا حرا عن طبيعة الفرد والشعب واذا استعبد الفرد او الشعب ، فمن العسير ان يعبر عن ثقافته بصدق ، لان القوى الموجهة الخارجة عنه ترغمه ان يفكر مقلدا او منحرفا نتيجة مرض مركب النقص الذي تكونه العبودية ، ومن طبيعة المغلوب الخضوع لنظام الغالب كما يقول ابن خلدون حتى في تفكيره واسلوب معالجته للمقتضيات ... واذن فالحرية ضرورية لشحذ الثقافة وهي بدورها ضرورية لتقديم الحرية .

وقد اتضح في تاريخ الاستعمار سعيه لمحاربة الثقافة المحلية التي تحول دائما دون سيطرته ، واهم مظاهر هذه الحرب اهمال الثقافة الجماعية لذلك فقد انكر المستعمرون ثقافتنا وحاربوها في شتى المظاهر ، وفي مظاهر هذه الحرب ايضا التقليل من شأنها وتحريف الثقافة المستوردة .

ولتحقيق هذا الهدف ، يفرضون لغتهم الاجنبية على المواطنين ، وبالاخص الذين يختارون تعلم اللغة الاجنبية وايثارها على لغتهم وثقافتهم الاصيلة فيحرمون انفسهم من ميراث امتهم الروحي والاجتماعي الذي لا يمكن الاتصال به الا عن طريق اللغة .

وهكذا يستطيع الاستعمار ان يذوب الثقافة القومية التي عند ما تضعف وتمحي تذوب معها الشخصية وتمحي ايضا ، ويستطيع في هذا الفراغ ان يخلق عالما جديدا مستوردا من ثقافته اجنبيا عن التفكير المحلي ، ويستطيع به ان يصير الامة المغلوبة على امرها فاقدة لذاتيتها وشخصيتها ، وما دامت الشعوب المغلوبة على امرها تتنكر لثقافتها اللسانية والذوقية فهي بعيدة عن اصالة شخصيتها وفضائل نموها ، وستظل طريقها غير مؤمنا بنفسها وتفكيرها وقوتها ، واذا تحررنا من الاستعمار ، وكان لزاما علينا ان نبني مستقبلنا فلا بد من الرجوع الى ثقافتنا الاولى الاسلامية وخطوطها البارزة لنبني عليها في المستقبل المؤمل ثقافة تناسب واقعنا الجديد ، لان عدم الرجوع الى اصول هذه الثقافة يجعلنا دائما ضالين السبيل الذي خطته ثقافتنا الجذرية الوطنية الانسانية بل سنظل فريسة لرواسب الاستعمار الذي يسعى الى ابادة ثقافتنا ، وكما تزدهر الثقافة وتنضج بالحرية فانها تنمو في رحاب تجديد قوة التفكير الانساني واستغلاله لمعارفه وتجاربه التلقائية والخارجية التعليمية والغريزية ... وليس من السهل ان نفهم اصول ثقافتنا اليوم كما يبدو ذلك اول وهلة لان عملية فصلنا عن ثقافتنا مدة نصف قرن ساعدت على تكوين فراغ نشأ فيه جيل اجنبي عن اصول حضارته .

والجيل والاجيال التي تنشأ في فترات الاستعمار تتكون من ثلاثة طوائف (الاولى) تتحجر على ثقافتها الاصلية وتصم اذنيها عن ما جريات التاريخ ، وهذه عيبها الجمود ، (والثانية) تنساق مع الثقافة والحضارة الجديدة وتنسى مكانتها وبيئتها وماضيها ، وهذه تصبح غريبة عن مجتمعها ، (والثالثة تحاول ان تاخذ من الطرفين ، وهذه اما تتجزأ شخصيتها او تظل في حيرة وقلق دائم .

لان الطريق الوحيد لنمو الثقافة هو الحرية ، ومن هنا نرى ان الامة المغلوبة على امرها لا بد ان تعاني ازمة الحضارة مهما حاول افرادها التغلب عن ذلك ، سواء بطريق الصمود او بطريق الفرار او بطريق مسك الحبل من طرفيه .

اما المستعمرون من جهتهم فهم يسعون بجد لبناء اسس ثقافتهم اما بطريقة نزيهة لتحل مكان الثقافة الاصلية او بطريقة توجيه مغلوط لخلق بلبلة فكرية وعقد حضارية .

وقد عاش العالم الافريقي بصفة عامة هذه الازمة الحضارية فقد لقن المستعمرون ثقافتهم الذاتية الكارتيزية للمغلوبين ، وكونوا اجيالا عارفة بحضارتهم جاهلة بحضارتها الاصلية او متمسكة بصورة مشوهة عن ايديولوجية البلاد وجغرافيتها الانسانية وتنظيمها الاجتماعي على اساس تقديس حضارة الغرب التي ينتقدها ابناؤها ... وتبعا لذلك فقد اهملوا الدراسات الاسلامية ، فجمدت وتحجرت ، لان الثقافة كالشجرة اذا لم تتعهدها بالري لا تلبث ان تتقلص اغصانها ، وتتساقط اوراقها وتفقد ثمارها وكادت افريقيا ان يتم فيها التفويت الثقافي والحضاري .

ويركز المستعمرون طريق الاجهاز على الحضارة بتحطيم القنطرة التي تصل الانسان بعمق حضارته ، والقنطرة هي اللغة المحلية ، او على طريق دفن المفتاح ، ومفتاح الحضارات هو اللغة ، وان الكلمة التي قالها احد علماء الاجتماع الانساني ستظل قوية لم تفقد بعد مدلولها فاذا استعبدت امة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها ... لان اللغة هي التي تكون الفكرة وهي التي تعبر عن الشيء ، والافكار هي التي تحدد العمل من قبل المفردة اللغوية المحددة للمعنى ، وفكرة الانسان وعمله لا بد ان يكون لهدف وان يكون معتمدا على سبق تجربة، ثم ان اي مواطن انما ينبت في الارض التي يعتبر مقدودا منها ، وتتكلم باللغة المركبة من حروف ابدعتها لهاته ، مناسبة لما يرى وما يسمع ، تصور افكاره بدقة ، وتعبر عن داخله بعمق وتطور شعبيته بوضوح ، ـ فالانسان ـ وقد تساعده الثقافة الاجنبية على خلق ثقافة محلية صنعها تاريخ اجنبي ومعطيات اجنبية كذلك ، واذا كان المستعمر يضع تاريخ دولة مغلوبة على امرها فذلك على اعتبار تبديد حضارته وتاريخه فهو يعمل عن وعي يمده به تاريخ بلاده لتصبح الدولة المستعمرة جزءا من تاريخ بلاده وحضارته وعلى طريقة تفكيره ، ولا يعرف غلطه الا حينما يقف المواطن الصادق المثقف فيضع حدا لتياره ، ويقول له انك غريب عني ويعرفه باخطاء احكامه وآرائه ثم يمحي الاحكام الاجنبية الخاطئة في اعماقه ويعوضها بربط الصلة الحقيقية بين ماضيه وحاضره .

والواقع ان انحراف الثقافة يثير النوايا السيئة ويزيف الاخلاق ، فيرتكب الانسان الفاسد على اعتبار انها اخلاق وكما يقول ايمانويل مونيه (ان كل خطيئة تاتي من التفكير السيء والمعيار الصحيح لوزن الثقافة هو مدى التزامها لخدمة الانسان والانسانية ، فليست الثقافة ترف انما هي التزام وكما ان الوردة لا تكون وردة الا اذا كانت متناسقة وذات رائحة فان الثقافة المأخوذة من ثقف لا تكون مجدية الا اذا كانت ذات رائحة اي مؤمن بها ملتزم لها فالثقافة المنحرفة المستعارة Pseudonyme اشد من الجهل ، وكما يقال الكاتب جونه : (اولى بكثير ان يكون ظلم من ان يكون اخلال بالنظام) فالثقافة المنحرفة هي التي لا تصل للانسان وتبرر الاغلاط تبريرا قدريا ولنهوض اي مجتمع كيفما كان لا بد ان يعتمد على ثقافته الخاصة ولذلك لا بد له من معرفة نوعية ثقافة الاصلية ومظاهرها ومصادرها الذاتية والخارجية كما انه لتخطيط مستقبل توجيهي لاية امة لا يمكن الاستغناء عن دراسة الماضي الثقافي وما يزخر به الانتاج المحلي من روائع الفكر ، ومبدعات الفن ولتحقيق توجيهالامة والافراد لا بد من معرفة دقيقة بمطالب البيئة وامكانية الفرد العقلية والعاطفية لاحداث تجاوب بين الشخص وبيئته وذلك لئلا يظل التوجيه عفويا بعيدا عن التخطيط المحكم والتناسق الطبيعي معطيات البيئة وشخصية المواطن فقد يكون من الممكن اذا دققنا عملية التاريخ ان يكون التوجيه اقرب الى الفروض الرياضية منه الى الصدق ، فالعملية اذن معرفة نوعية الثقافة التاريخية ، ونوعية الثقافة التوجيهية ، والبحث عن امكانيات تحقيق ذلك عن دراسة التاريخ السلالي واثره في تكوين طبيعة الفكر الفردي والجماعي وما يمكن ان يستجيب له من توجيهات تتفق وميوله وعواطفه وبفكره لان المثل العليا في كل شعب من الشعوب مستوحاة من مطالب البيئة واهداف استمرار الحياة ، وهذا المثل الاعلى هو العنصر المحرك لخلق صراع بناء للحضارات مناسبة البيئة والزمان وتطور الانسان .

ولكن قبل ان تساهم في الثقافة العامة ، والحضارة الانسانية ، يجب ان نعرف ثقافتنا بدقة ... ونؤمن برسالتها ايمانا قويا غير متعصب اعمى ، ينكر مزايا الثقافات الاخرى بل ياخذ عنها ويعطيها ، واحيانا لا ياخذ منها وانما يقدر عملها تاريخيا او في بيئتها الخاصة وقد اصبح الانسان المتمدن اليوم ليسهم في البناء الحضاري العام يهتم بثقافته هو فيضع لها مقاييس وتحديدات ويفرغها في عقول الناشئة ليرتبطوا بقوميتهم وانسانيتهم وتركزت هذه العملية تتابع مراحل النشوء من طفولته الى شبيبته في المدرسة والكلية ولهذا اصبح التعليم اليوم هو النواة الاولى للتكوين الثقافي وسياسة توجيه الامة جمعاء نحو المثل الوطنية والانسانية والاقتصادية ايضا .

ولا يمكن ان نعرف طريقة توجيه التعليم ومذهبيته الا بعد الرجوع الفاحص الى ثقافتنا التعليمية الاولى ، لان فيها تكمن نقطة الانطلاق .

فالتعرف على سيكلوجية الافراد والجماعات والادوات المادية التي حركت التاريخ ودرجة سمو العقلية الفردية والجماعية وعلاقة الشخصية ضرورية لتحديد التوجيه وتقريب الهدف .

والثقافة التي ينشدها المفكرون انما تنبعث من واقع الامة وتجديد ثقافتنا المغربية الاسلامية يقضي دراسة واسعة للماضي الثقافي الذي تبنى عليه ثقافتنا اليوم ، وهذه الثقافة هي نقطة الانطلاق اذ انها الحقيقة الشاعرة والحية المتكدسة في العقل الباطن والواعي ، وهذه الحقيقة لا تفخر الا بأداة اللغة القديمة التي عبرت عنها ، واللغة الحية المعاصرة ، ذات الكلمات المشروحة بالمعاني المشعور بها ، فاللغة كاداة لن تعبر الا عن شيء حي (وهو الثقافة) ولذلك فالثقافة هي التي تخلق اللغة الحية .

واذا كان للثقافة جانب حي متحرك يساير العصر الحديث فلها جانب تاريخي في حاجة الى الجلاء ليظل ممدا للفكر المعاصر النابض بالحياة ، والمشحونة بالمعطيات التي في حاجة الى الامداد التاريخي والامداد المعاصر في نفس الوقت واذا

كانت الثقافة اليوم واقعا وليست ترديدا فان هذا الواقع لن ينفصل بتاتا عن الماضي اذ الثقافة ليست مجرد حياة ، ولكنها معرفة الحياة والتأثر بها والتأثر عليها وهي وعي عميق للسلوك الحياتي والتعبير عنه بمختلف الادوات الفكرية والبيانية واليدوية ، فالشعب عند ما يعبر وهو غير مثقف يظل تعبيره باهتا وعند ما يعبر تعبيرا ثقافيا يكون وصل الهدف ، ولهذا فالثقافة القومية ضرورة لتطور تعايش الامم في الخلايا الانسانية بعد ان تكون لكل امة معرفة عميقة بشخصيتها .

ومن يكون الفكر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الا الثقافة ؟ وكيف يمكن ان تكون الثقافة متغذية من المبادئ العلمية الصحيحة والجذور العميقة الاصلية ، ومحصنة ضد العادات الخاطئة في التفكير اذا لم تكن مبنية على الاسس المتينة ، ان الثقافة القومية الحق هي التي تعتمد على الجذور الصحيحة العريقة وهي التي تربي الاحساس الشعبي وتسمو به الى قمة الانسانية المتعالية ، ان الثقافة عملية هضم وتمثل ولا تؤثر الدراسة فيها الا بمقدار ما تعطي من صقل للمدلول ووضوح للفكرة وابراز التعبير ، اما مجالها الحق فهو الحياة المعاشة الدائبة والحركة الاجتماعية المنطلقة ، هذه الحياة الصاخبة التي اذا مارس واقعها اي انسان يصبح اداة فعالة للفكر والحركة الدافعة فهي اذا لابد ان تكون تعبيرا عن (شيء) حي كيفما كان وضعه في المجتمع ، وليس من اللازم ان يكون (شيئا عظيما) او (شيئا تافها) لان العظمة والتفاهة انما تنبعث عن الانسان نفسه فهي نسبية المعنى .

اذ كانت الثقافة حسب تعبير احد الكتاب الفرنسيين هي ما يتبقى في الذهن بعد نسيان كل شيء فان هناك عقولا لم يكن في عقلها ما يتبقى ، ومع ذلك تمارس التجربة الانسانية بمهارة، فنسبية الثقافة ليست في اختزان المعلومات ولكن في عملية الخلق والابتكار ومواجهة المشاكل بداهة فالفوارق الطبقية الثقافية لا يمكنها ان تكون ذات اثر فعال في كينونة الثقافة وانما لها اثر واضح في الصقل والتنظيم واضافة تجربة التاريخ الى تجربة الذات ... فالثقافة تصبح اسلوب الحياة المعاشية وتقنية السلوك، والثقافة الحق هي اكتشاف الحياة كما يقول كلودروا Claude Roy اي التمازج مع الآخرين وعدم الانعزالية او الشعور بالتعايش الانساني وهذا التمازج من المفروض ان يكون امتزاج المعرفة الذي ينتج عنه التنافس الذي يحرك العقل ويقدم الانسانية الى الامام .

من خلال تحديدات الثقافة ، وضرورية محليتها يمكن ان نتساءل عن ثقافتنا وحضارتنا ، ومن السهل ان نقول ان حضارتنا عربية اسلامية وثقافتنا عربية اسلامية كذلك .

فما هو تحديد الاسلامية في موضوعها ؟ .

اننا جميعا نؤمن عن عقيدة وعن دراسة علمية ان (الاسلام) دين عقيدي واجتماعي اوحى به على النبي (ص) من عند الله تعالى فليس (الاسلام) مرحلة تطويرية ، ولكنه مع ذلك لم يكن منعزلا عن التيارات الفكرية الحضارية التي سبقته ، والتي عاصرته وانما كان عقيدة حية يساير عصره ويساير العصور التي تلت ظهوره كما كان ذا نظام اجتماعي وسياسي واضح الخطة سواء في بيئة او في البيئات التي وصلت اليها دعوته ، وكان يتأقلم بسهولة ومرونة فائقتين تظهران من معجزته وعند ما دخل العقل في شرح نصوصه والاستفادة منها اعرب عن تفتحه وقوته على المناقشة والاخذ والعطاء لا على حساب مبادئه الجوهرية وعقائده الثابتة ولكن على حساب النظريات الثانوية التي تشرح الاسس وتنظم المجتمعات ويمكن ان نصف الحركة الفكرية الاسلامية في القرن الاول والثاني والثالث بانها بلغت اوج التلاقح الحضاري في دمشق وبغداد وقرطبة ، والقيروان ، وفاس حيث استوعب الاسلام الفلسفات الاغريقية والرومانية والهلينية والتيوتونية الهندية والفارسية .

(يتبع)

((بستان الكتب))

اذا كان زهر البستان يجلو الابصار ، ويمتع بحسنه الالحاظ ، فان بستان الكتب يجلو العقل ، ويشحذ الذهن ، ويحيي القلب ، ويقوي القريحة ، ويؤنس في الوحشة ، (وخير جليس في الزمان كتاب)

ارتسامات حول اللغة العربية وفعاليتها في الحقل العلمي

للدكتور: المهدي بن عبود

ليست المسألة مسألة لغوية وانما هي مسألة نفسانية تتصل بنظرتنا الى وجودنا وكياننا وعقيدتنا وفلسفتنا في الحياة وايماننا بنفسنا وتحقيقنا للرسالة الملقاة على كاهل البشر الاحرار في موكب الحضارة العام السائر الى تحقيق حكمة الهية في الوجود ، وهو تغليب الحق بعد اظهاره على الباطل ، وفوز النور على ظلمات الجهل المركب في النفوس المنحرفة ، والتقريب بين المرء ونفسه وبين الفرد والكل ... والا لكانت قضية اللغة قضية تافهة لا تستحق هذا الوقت ، وهذا المجهود المكرس لها ، انه لمن اليسير ان تتغلب اي لغة كانت على الصعوبات اللفظية للحصول على مسميات ، مثل الآلات الميكانيكية والمواد الكيميائية والظواهر الفيزيائية والتعابير النظرية ولكن من الصعب جدا ان تقنع رجلا غافلا ان يهب من غفلته ويربح وقتا ثمينا يضيع سلبي ويدافع عموما عن لغة كتب لها ان تكون لغة حضارة ، ولغة رسالة عظيمة ، وثقافة معينة بها يزدهر التراث الانساني ، كما فعل في الماضي في تكوينها التاريخي على اسس الثقافات العظيمة ، والحضارات العميقة المدلول .

هذا هو الموضوع ولو كان شائكا متعقدا من الوجهة الفنية ــ خصوصا وانه جاء في مرحلة الانتقال التي تواجه الامم الناهضة حيث تتراكم المشاكل ، فلا اشد على الامم عبر تاريخها من اطوار الانتقال ، اذ لا يتمخض القديم عن الجديد ، الا بعد آلام وضحايا ، وعقبات ترثها الاجيال اللاحقة عن الاجيال السابقة ، وبما ان الزمان ليس الا صورة ذهنية لا وجود لها في الواقع ، فان القديم والحديث ما هي الا مرآة لقيمة الانسان فردا كان او مجتمعا .

عصر النهضة عبارة عن حالة نور اجتماعية يرتقي اليها الانسان ، وعصور الانحطاط ما هي الا حالة الانحلال والجهل المعنوي الذي يرد الانسان اسفل سافلين ــ وبين النهضة والاضمحلال تمتد مرحلة الانتقال ، كصراع طويل ، انكى ما فيه هو سوء التفاهم بين الناس .

وهذه النظرة الى التاريخ صادقة على الحياة البشرية جملة وتفصيلا ، اذ ان الوعي يشمل الامة في العادات والمعتقدات والصناعات،والانحطاط ايضا يظهر جليا فيها على صورة الاحوال والاقوال والافعال والمظاهر ومن بينها اللغة .

ولا ادل على هذا من تقدم اللغة او تاخرها لانها صورة للعقل والنفس ، فلما تقدم العرب تقدمت معهم لغتهم حتى صارت منتشرة الاستعمال في العالم الشرقي والغربي خصوصا في ميدان العلوم والتجارة ، ولما تأخروا وقف تطورها لكن من حسن حظها وحظ العرب انها كانت سابقة لغة حضارة خلفت لنا تراثا لغويا عظيما ، فلما وصل العالم العربي الى درجة التخلف الذي تركهم فيه الاضمحلال كانت الشعوب العربية احط مستوى من لغتهم المحفوظة في الذخائر العلمية والادبية والفقهية وخصوصا في القرآن الكريم الذي جعل منها لغة سمو عقلي وروحي لا يعاد له اي انتاج بشري .

الى حد ان مسألة لا في الميدان العلمي ولا في غيره مسألة لغة في واقع الامر وانما هي مسألة امم ، عليها ان تنهض بنفسها ، وتستعمل التراث المدفون بين ايديها وتضيف اليها ما يتطلبه تطور كل لغة عربية كانت او غير عربية فانه لا يوجد على وجه الارض لغة لا تتطور من شعوبها على مر الزمان .

ولكن نظرا للعوامل المختلفة التي تؤثر على حياة اللغات فان الاتهامات التي تلحق لغة الضاد هي في الحقيقة كما سنراه في غير محلها وينبغي بالاحرى ان توجه الى الجهلاء من ابنائها

وليس هذا الموضوع المقترح من طرف المكتب الدائم لمؤتمر التعريب بالبحث الهين الواضح الجوانب ، لا ولا هو في مأمن من الجدال الطويل ، فالخاص والعام على خبرة من تداوله على رؤوس الالسنة والخوض فيه في المجامع العلمية والدوائر المدرسية ، والهيئات السياسية ، منذ انبثاق الوعي في العالم العربي وقيام النضال ضد الاحتلال الاجنبي وخصوصا الاحتلال الفكري .

وليست هذه اول مرة نسمع باللغة العربيـة تشتكـي من خصومها الاجانب الذين لا زال جيشهم الثقافي يوطد الاحتلال المعنوي حسب الستراتيجية القديمة من عهد بدايـة الاستعمـار والمبنية على قتل الشخصية العربية الاسلامية بمحاربة اللغة ومحاربة الكتاب الحافظ لها وهو القرآن ، وذلك لغزو الافكار تمهيـدا للاستغلال الاقتصادي واستعباد العقول ، وليست هذه اول مرة نشاهد فيها التنكيل باللغة العربية حتى من طرف ابنائها انفسهم مبررين بذلك آمال الاستعمـار من جهـة ومخاوف الامـة على الثقافة الاصيلة ، والحضارة العربية التي بحمد الله استطاعـت وحدها ، وبفضل تعاليم الاسلام الثابتة ان تميز بين الاحـرار والعبيد والسيد والمسود ، وليست هـذه اول مـرة نسمع بعض المثقفين بلغة اجنبية شبوا عليها حسب تخطيط الاستعمار وجهلوا بذلك لغتهم جهلا يكاد يكون كاملا يصدرون حكما قاسيا وزعما جائرا على عجز لغتهم عن اداء رسالتها العلمية وحتى غير العلمية فيقعون في خطأ مركب مزدوج : خطأ من يحكم على الشـيء وهو لا يتصوره لجهله به وخطأ من يصدر حكما في حد ذاتـه حكما خاطئا سواء كان له علم بالموضوع ، او لم يكن وذلك ايضا من اثر نفوذ الاجنبي على العقول .

واخيرا ليست هذه اول مرة نـرى الاحرار من العـرب يشمرون على سواعدهم ويحاولون جمع شتات الافكار بهـذا الصدد ويطرحون على بساط البحث مسألة اللغة بالنسبة لحياة المجتمع كوسيلـة من وسائـل النهضـة العامة لمـايـرة الزمان والتطور ، وللمحافظة على شخصية الامة وكيانها وعبقريتهـا واستمرار رسالتها وتواتر حضارتها واتـساع ثقافتها حتـى لا تذوب الامة ومآثرها في شخصيـة الغالب وتصبح من الاتباع المغلوبين عليهم اقتصاديا ومعنويا .

ولكن هذه اول مرة تنتصب الامة العربية كرجل واحـد تجمع شملها وتوحد جهودها من اقصى الشرق الى اقصى الغرب مؤمنة بان قيمة اللغة صورة لقيمة الامة وان حياة اللغة تابعـة لوعي الفكر في المجتمع وان مواتها نتيجة لموت الامة كشخصيـة معينة ذات رسالة في الوجود بفضل استقلال العقول منبع حريـة الافراد . غير ان هذه النهضة العامة التي تبرز ايضا في ميدان اللغة لا زالت تلوح عليها بعض علامات التشكك وضعف الثقة بنفسها في بعض الاحيان وفي بعض الدوائر، لا سيما بعض الحركات السياسية منها بوجه اخص ، ومن جملـة تلـك الاعـراض ، التساؤل عما اذا كانت اللغة العربية ذات فعالية في الحقـل العلمي ، وهل هي صالحـة لاداء رسالتها فيـه والقيام بالوظيفة المنتظرة منها في مختلف العلوم والصناعات ، وما يتجـدد من نظريات فيزائية وكيمائية وطبيعية ونفسية وطبية واجتماعية الى غير ذلك من انواع المعرفة والتطبيق الداخلة ضمن مدلول كلمة العلوم بالمعنى الحديث ؟ ؟

فموضوع فعالية اللغة في الحقل العلمي مسألة ذات وجهين: وجه مبدئي ووجه عملي .

1 الوجه المبدئي معناه هل اللغة العربية قادرة كلغة متمدنة على ان تكون لغة علوم بالمعنى العصري ؟ فالجواب بسيط وهو ان السؤال هذا ينبغي ان يوجه للامة لا للغة ، لما كانت اللغة العربية لغة امة ذات رسالـة حضـارة استطاعـت ان تقوم بوظيفتها في سائر الميادين العلمية والعلمية وغيرها مثلما نراه في شخص اكابير العلماء كالبيروني وابن الهيثم وابن سينـا وغيرهم حتى تتلمذ العالم اذ ذاك عليهم ، ولما انهـارت الى المستوى الذي تبع تلك العصور الذهبية انحط كذلك قدر اللغـة في نفوس الاعداء والخصوم واصبـح القصـور الفكري وضعف الشخصية الاجتماعية هو مسألة المـائل وصارت اللغة سجينـة نطاق ضيق في استعمالها الادبي والفقهي والتاريخي وفي بعض العلوم كالحساب البسيط والنجوم وهلم جرا ، كما عهدناه في العصور المتأخرة في بلادنا .

ففي ايام النهضة والازدهار ترتفع اللغة الى مستوى يوازي رقي الامة وغزارة الفكر والعلوم فيها ، وتكون لسان حال تلك النهضة اذ تبرز كصورة صادقة للدرجة العظيمة التي ارتقت اليها الجماعة في سلم الحضارة ، فتكون اللغة في نفس الوقت منبـع الافكار ، وترجمان المعرفة ، وسجل الانتاج الثقافي ، وتكون ايضا نتيجة لتلك الافكار ، وتلك الحركة الخصبة الدالـة على الحيوية الفكرية للامة وعلى ابتكار القرائح الخلاقة .

وبما ان النهضة يمكن ان تعتبر كائنا حيا ذا وحـدة لا تتجزأ فانها عند ما تظهر في عصورها جلية ، فان ذلك يكون في سائر مرافق الحياة وجزئياتها : تظهر في الروح الجبارة القادرة على الخلق والابتكار والاستقامـة والتضحيـة والعـدل واحترام القانون والشورى وحسن التدبير والنظافة والتعمير ، وازدهار العلوم والصناعات واستقلال النفس ومهابة الدولـة والتاثير في الغير ... الخ ..

واذ ذاك تكون قيمة اللغة وقدرتها او فعاليتها كقيمـة الامة ومسيريها سواء بسواء ، فالقول المأثور عن الامام علي كرم الله وجهه : « ان المرء مخبـوء تحت لسانه » يمكننـا ان نطبقه على الامم والحضارات كذلك ، وهذا بالضبط ما وقـع للغة العربية في عصر الازدهار العربي .

جاء في كتاب (اثر العرب في الحضارة الاوربية) لعباس محمود العقاد ما يلي : (... كان شيوع التعليم بالعربية سببا لاهمال اللاتينية والاغريقية وخطوة لا بد منها لاحيـاء اللغـات الشعبية وتداول الشعر والبلاغة والعلم من طريـق غير طريـق القسوس والرهبان المنقطعين للمباحث الدينية . ويروي لنـا دوزي في كتابه عن (الاسلام الاندلسي) رسالة ذلك الكاتـب الاسباني ـ الفارو ـ الذي كان ياسى اشد الاسـى لاهمال لغـة

اللاتين والاغريق والاقبال على لغة المسلمين فيقول (ان ارباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الادب العربي فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها ، وساء ذلك معاصرا كان على نصيب من النخوة الوطنية اوفى من نصيب معاصريه فاسف لذلك مر الاسف وكتب يقول : ان اخواني المسيحيين يعجبون بشعر العرب واقاصيصهم ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون ، ولا يفعلون ذلك لادحاضها والرد عليها بل لاقتباس الاسلوب العربي الفصيح · فاين اليوم من غير رجال الدين من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والانجيل؟ واين اليوم من يقرأ الاناجيل وصحف الرسل والانبياء ؟ وا أسفاه · ان الجيل الناشيء من المسيحيين الاذكياء لا يحسنون ادبا او لغة غير الادب العربي واللغة العربية ، وانهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة باغلى الاثمان ، ويترنمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية في حين يسمعون بالكتب المسيحية فيأنفون من الاصغاء اليها محتجين بانها شيء لا يستحق منهم مؤونة الالتفات ·

فيا للاسى · ان المسيحيين قد نسوا لغتهم فلن تجد فيهم اليوم واحدا في كل الف يكتب بها خطابا الى صديق · اما لغة العرب فما اكثر الذين يحسنون التعبير بها على احسن اسلوب ، وقد ينظمون بها شعرا يفوق شعر العرب انفسهم في الاناقة وصحة الاداء ···) انتهى كلامه ·

نرى من هذا الوصف الذي لو طبق في ايامنا هذه على ظروفنا وابدلنا في هذا النص اللغة العربية باللغة الفرنسية والبلاد الاسبانية بالبلاد العربية كان صادق المدلول كامل المطابقة حيث التاريخ يعيد نفسه ·

ونرى ايضا من هذا انه ليست حالتنا الحاضرة حيث يتهافت الجيل الفتي على لغة الغالب وينظر الى لغته بعين الاهمال والتنقيص هي الحالة الاولى من نوعها في التاريخ، بل نستخلص مما سبق ان التاريخ يفيدنا ببعض القواعد كدروس لا بد ان نستفيد منها ونعتبر بها كاثمن عبرة في حياتنا :

1) الاولى هي ان الروح البشرية لا تتجزأ ، فخصائص رقيها او انحطاطها وخذلانها يتجلى دفعة واحدة في سائر مظاهر الحياة وخصوصا في اللغة كما سبق لنا الكلام عنه ·

2) الثانية ان اللغة العربية كانت كما لا زالت لغة حضارة منذ قرون عديدة فلا يصدق عليها ما يقال عن اللغات البدائية مثل اللهجات الافريقية او بعض اللهجات الاسيوية المختلفة او غيرها · فهي لغة رسالة سماوية ولسان حضارة بفضلها قامت القارة الاوربية من غفلتها ، وهي احدى اللغات التي تناط بها وتسمى بها الثقافات الكبرى مثل الانجليزية للثقافة الانجلوسكسونية واللغات اللاتينية للثقافة اللاتينية وهلم جرا ،

فالعربية هي لغة الثقافة العربية الاسلامية وعقلية الامة الاسلامية في سائر القارات لا سيما في الوطن العربي حيث علاوة على ذلك لقد قام الدليل في سوريا مثلا على ان اللغة حية يجري بها العمل في سائر فروع التعليم والادارة والعمليات العامة ·

3) الثالثة ان اللغة روح ووعاء للحضارة فمن اراد ان يرتقي سلم الرقي لا بد له ان يحافظ على لغته في الآداب والفنون والعلوم على السواء لان اللغة واحدة والادواج شيء سطحي ومؤقت واصطناعي لا اساس له في التاريخ ولا في النفوس عند مجموع الامة ·

فاللغة وعاء للحضارة والشخصية وهي كبطاقة تعريف للثقافة وللامة بحضارتها وثقافتها فاذا غلبت عليها لغة اخرى ذابت شخصية الامة وذهبت ريحها · وهي كروح اهم من كونها وعاء للحضارة او وسيلة تعبير ·

فانها ما سميت باللسان تقريبا عند كثير من الامم الا لانها ترجمان العبقرية الخاصة بالامة وبمشاعرها ونظرتها للوجود وهوية نفسها وقيمة الهيكل الاجتماعي باكمله ·

ثم انها كروح هي اجلى واوضح صورة لبشرية الامة بلطفها وصفائها ونورها حسب مفردات عمر ابن الفارض التي تتميز بها روحانية الاجيال سابقها ولاحقها ، فعبقرية الامة وروحانيتها سر يكشف على الدوام لزخارة الحقائق ومرونتها ورقيق معانيها ولطفها وتجديد مفاهيمها المستمر في ابتكار متواصل وتطور مستمر وحركة لا تنقطع عن طريق الادب والفلسفة ·· الخ ···

كل هذا كامن في النفس لا ينقب عنه الا سابر اللغة الاصيلة التي تكون وحدها قادرة على التبليغ بامانة ونفوذ وتوافق مع المعنى ·

ولهذا ترى الناس يدافعون عن لغتهم بنور بصيرة اذا كانوا من زمرة المتبصرين بادراكهم لعظمة الدور الذي تلعبه اللغة في هذا المضمار ·

فهم يحنون اليها لانها تتكلم وتختلج مع نفوسهم والتذاتهم وارواحهم وبفضلها يلمسون الوجود ذوقا وادراكا ·

فاللغة الاصيلة نقطة وصل بين الانسان والوجود اصدق واتم من اي لغة اجنبية دخيلة التي تفيد طبعا علميا وعمليا ولكن لا تصلح الا لربط العلاقات لا كصلة روح بروح ، ومن جهة اخرى يقول كالينين احد رؤساء الجمهورية السابقين في الاتحاد السوفياتي في كتابه المسمى (حول التربية الشيوعية) متوجها الى التلاميذ في الصف التاسع والعاشر : (يجب قبل كل شيء ان تتقنوا معرفتكم للروسية · انني ارى ان معرفة : اللغة الروسية عامل مهم لتطور الانسان العام وذلك لان جميع العلوم التي

تستطيعون ان تدرسوها ، ولا سيما اذا دخلتم في المعاهد غير التكنيكية ، وجميع نواحي النشاط الاجتماعي ، تتطلب معرفة جيدة للروسية ...

ان دراسة اللغة القومية الاصيلة مهمة جدا وان اسمى منجزات الفكر البشري واعمق الافكار واشد العواطف ستبقى مجهولة اذا لم يعبر عنها تعبيرا واضحا مضبوطا بالكلمات ...) انتهى كلامه .

فهو يوصي اطفال الاتحاد السوفياتي بثلاثة اشياء : 1) قبل كل شيء اتقان اللغة القومية الاصيلة 2) ثم الرياضيات 3) ثم الرياضة البدنية ، وهو يعلم ان اللغة القومية هي الوسيلة الحية الغير الدخيلة لجعل الافكار والمشاعر مفروغة في قالب صادق واضح .

4 والفائدة الرابعة التي نجنيها من عبر التاريخ هي تنازع البقاء بين اللغات . كلما احتلت امة ارض امة اخرى يسعى الغالب في تقويض كيان المغلوب وتحطيم شخصيته تحطيما يفنى معه وجود المغلوب ، فيصبح عبدا مكسوبا لسيده الظافر الذي يفرض تدبيره ولغته ونظرته للكون .

ولا يألوا الغالب جهدا لا في الحسيات ولا في المعنويات حتى يستولى عليها كلية .

ففيما يتعلق ببلادنا ، جاء المستعمر فحاول ان يمحي اثر اللغة والدين ،لارغام الناس على نسيان شخصية قومهم واندماجهم في شخصية الغالب ،فقر رأيه على تكسير وحدة البلاد بهدم الدين الذي لا يتم هدمه الا بمحاربة القرآن ، وذلك كان هو السبب الاساسي للسياسة البربرية التي ما زال الى يومنا هذا يطمع في نجاحها من وراء الستار .

فاستولى على التعليم بعد ان نشر نفوذه السياسي والعسكري على البلاد ، وحارب اللغة العربية بنفس الروح التي تأصلت من الحروب الصليبية التي افتضح وجودها لما اجاب وزير الخارجية الفرنسي السابق جورج بيدو بعد ان مثل لما نفي الملك محمد الخامس بقوله : (لن اسمح للهلال ان يتغلب على الصليب)

والغاية من ذلك هو استمرار الاستغلال الاقتصادي واحتلال المراكز الستراتيجية في العالم ونشر النفوذ المعنوي واللغوي القاتل لشخصية المغلوب والمعبد لطريق القوة والتمتع المــــــــادي .

وهنا يتميز الرجل الحر ، من العبد الراضي عن سيده الذي يدخل في زمرة المقرضين الجبناء فمن كان له شعور بكرامته وباستقلال شخصيته وحرية روحه وقيمة عقله لا بد ان يثور على القاهر الجائر ويعاكس خططه ويحافظ على لغته التي ليست لقيطة مرتجلة بل لغة رسالة عظيمة في الوجود الكوني .

وبهذا الصدد يقول الحافظ ابن حزم في كتابه (الاحكام في اصول الاحكام) : « ان اللغة يسقط اكثرها ويبطل بسقوط دولة اهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم او بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم ، فانما يقيد لغة الامة وعلومها واخبارها قوة دولتها ونشاط اهلها وفراغهم . واما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة اعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم ونسيان انسابهم واخبارهم وبيود لغتهم ، هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة » انتهى كلامه .

كل ما مر بنا يكفي لاقناعنا ان الناحية المبدئية من مسألة اللغة تتلخص في كلمة واحدة : الارادة . فاللغة كسائر العوامل الاجتماعية يعادل وزنها وقيمتها وزن الامة وقيمتها في حظيرة الامم . فان اللغة العربية لا تحتاج الا لشيء واحد لا في العلوم ولا في الفلسفة ولا في الاداب وهذا الشيء الواحد هو الاستعمال فهي موجودة لكن الامة معنويا مفقودة ، اذا صح هذا التعبير التقـــريبـــي .

فالاعتزاز باللغة دليل على عمق الفكر وبعد النظر ، ومعرفة حكمة التاريخ ، وصدق النية وروح الغيرة ، ورفض الاستعباد ، والذل والشعور باستقلال الشخصية ، وجمال اللغة الاصيلة وسهولة متناولها على النشء مثلما فعل اليابان والصين وروسيا واليونان وشعوب اوربا الوسطى وحتى ما يسمى اليوم باسرائيل حيث الاعتزاز بالنفس والدفاع عن الشخصية التي يرغب في تكوينها الصهيونيون فيدفعهم الى احياء لغة ميتة من قبرها وهم يستعملونها في كل عمل من اعمال الحياة في الشؤون اليومية والانتاج الفكري ، والعلوم التطبيقية والتدريس في الجماعات رغم كونهم اقلية ضئيلة لا زال اكثرهم مقطعين في الارض ، كل هذا بفضل ارادة اصحابها .

واليابانية رغم صعوبتها وانحصارها ضمن حدود بلادها لا غير صارت مع مر الزمان وقطع مراحل التطور الى ما صارت اليه اليوم لغة شعب بلغ من التقدم والرقي ما جعله يزاحم سائر الدول الصناعية الكبرى بل واصبح من ناحية التدبير والعمران مرجعا من اثمن المراجع يقلده الامريكان وغيرهم في بعض الميادين خصوصا في التعمير واساليب التجارة .. الخ . هذا من الناحية المبدئية .

2) اما الناحية العملية فانها ترتكز — اذا امعنا النظر — كلها على الناحية المبدئية ، لان اللغة العربية لا تحتاج اول الامر وآخره الا الى شيء واحد كما سلف وهو ايمان ابنائها بها وتشبعهم بروح الحرية التي لا غبار عليها ولا نفاق فيها

حتى يعتزوا بشخصيتهم بواسطتها ويحافظوا بفضلها على معنويتهم وثقافتهم وخصوصا برسالة الحياة التي تضمنها القرآن الكريم وعبر عنها ببيان اللغة العربية وعبقريتها .

فالايمان بها يرجع في الواقع الى الايمان بالنفس، وهنا يتميز الاحرار من العبيد كما وجدنا هذا المعنى جليا عبر التاريخ

وهذا الايمان بدوره يخلق ارادة قوية لاستعمال اللغة في الحقل العلمي والعملي على السواء من ارادة ومعاملات كما هو الحال في ليبيا مثلا في المغرب العربي ومنها الى سائر الدول العربية خصوصا سوريا حيث وصل التعريب الى درجة قامت برهانا على الفائدة العظمى للارادة والعزم وروح الشرف .

بل لم يضع هذا المجهود العربي وانما جاء رصيدا ثمينا ساعدت على الاحتفاظ به الذخائر المدفونة في التراث القديم من طب وكيمياء وفيزياء ورياضيات وما اضيف الى هذا التراث القديم .

فاللغة العربية لغة حضارة عريقة كانت ولا زالت حية يسهل استعمالها بفضل استمرار العمل بها لانه كما يقول بعض المفكرين : « ان افضل وسيلة لتعلم الضرب على العود هو الضرب على العود نفسه » .

الاستعمال يكشف عن قدرة اللغة وعن حيويتها وغزارة ثروتها المجهولة ، اننا نرى اللغات الاوربية العالمية مثل الانجليزية والفرنسية موضوع اعتناء ابنائهما بهما بكيفية لا تنقطع لا يعرقلها توان ولا هوادة ولا كبرياء بل ان الاصطلاح العلمي في اللغات الغربية كله مستعار تقريبا من اللاتينية واليونانية وبعض اللغات الاخرى ومنها العربية التي لا ينبغي ان يعتبرها الجهلاء محض لهجة ضعيفة .

فلا بد اذا من الاقتباس عند ما تدعو الضرورة اليه في الحقل العلمي اما بالتعريب وهو اقتباس المعنى واما باخذ الكلمات على ما هي عليه في الاصل وهذا ما قد جرى به العمل واصبح عاديا في الدول العربية .

ثم ان عدد القواميس والكتب الموجودة الان في الحقل العلمي والمستعملة في بعض الجامعات العربية لدليل على خصوبة اللغة وقدرتها على اداء رسالة وعلى استعدادها للتطور والتحسين وقبول الاقتباس والاضافة ومسايرة الحركة العلمية العالمية .

وهذه المجهودات في التاليف والترجمة مبادرة مباركة تشجع على مواصلة الاجتهاد والكد والمثابرة . وطبعا لا ينبغي لهذه المجهودات ان تبقى حبرا على ورق كخرافات التسلية ولكن من الواجب ان يجري بها العمل في التدريس الجامعي .

وكل ثورة من اجل الحرية لا تتم الا اذا ما استؤصلت الداء الاستعماري من جذوره الفكرية واللغوية والقضاء على السم في الدسم الذي يدسه من وراء الستار بواسطة البعثات والمستشارين وهم ثعابين موظفة ، يبثون القول لاعتناق فكرة ضرورة اللغات الاجنبية في الميدان العلمي وعدم صلاحية اللغة العربية التي يضمرون لها كلفة العروبة والدين ما قد صرح به قريبا احفاد الحروب الصليبية ، فدعاة الازدواج هم في الواقع يساعدون على سياسة الاستعمار الجديد اما عن علم واما عن جهل، وغفلة ، والنتيجة واحدة مع الاسف ، فمن المستحيل ان يتم تعلم اللغة واتقانها عن طريق استعمالها اذا ما اقتصر على تدريس نصفها الادبي والكلامي العادي وارغام الناس كرها على اقتناء العلوم بلغة اجنبية ، فان المآل هو طمس القرائح والجري على عكس مجرى التاريخ .

تصور طفلا ذكيا اهلته طبيعته الى الادب والانتاج فيه ، فانه لا محالة يجد لغته مشلولة عرجاء ناقصة يعوزها الالفاظ والتراكيب العلمية والتكوين الفكري العلمي لاستعمال هذا القسم العلمي من اللغة ، ونحن نرى من الان الصبيان في البيت ينطقون بجملة عربية ويدخلون فيها الفاظ الحساب والعلوم بالفرنسية وذلك في ابسط المحادثات اليومية .

وتصور طفلا آخر اهلته طبيعته الى التفوق في العلوم ، واراد ان ينتج فيها ويكتب او يقول محاضرة علمية للعموم بلغته العربية فانه يجد نفسه عاجزا عن ذلك متألما مجروح النفس كما يعبر عنه بكل صراحة بعض الناس في نوع من الجد والصدق والعمق المجروح المتألم .

وخلاصة القول ان مسألة اللغة في الحقل العلمي هي مسألة اللغة كلغة بتمام حذافرها وحياتها ، بجانب هذا ان وجوب تعلم اللغات الاجنبية شيء لا جدال فيه وهذا موضوع آخر فقد قيل كل لسان بانسان وان التقدم والتفاهم الدولي لا يتأتى الا باتقان اللغات الاجنبية المهمة ، هذا شيء مفروغ منه ، ان ما يهمنا هو ضرورة استعمال اللغة الاصيلة .

فقد اقام القدماء البرهان على كون اللغة العربية كما اسلفناه قادرة لا على ان تكون لغة علوم مثلما نراه في امهات الكتب الهندسية والطبية والجغرافية والفلسفية في عصور الازدهار فحسب وانما هي قادر على ان تكون لغة عالمية من جملة لغات الحضارة ايضا .

هي كلسان عربي نزل به القرآن مضمونة المستقبل رغم كيد الجهلاء ، فلقد تولى الله سبحانه حفظ القرآن وبواسطته حفظ اللغة العربية ولو كره الغافلون . وهي بفضل القرآن لغة رسالة حضارية ثقافية وصل وقتها وحان من جديد عصر ازدهارها نظرا لتطور التاريخ الى ترجيح كفة التعارف المعنوي بين الشعوب على كفة الاستغلال الاقتصادي .

ليست اللغة الا لسان العقل الحي ينشد الحقيقة والنور ، وهذا اللسان يقارن انتاج القرائح في العالم مع ما ينتجه ابناء اللغة الاصيلة ليتم سير التاريخ الى نشر النور والحق في الدنيا .

فالامر عظيم والمهمة جليلة وواجب العقول المستيرة هو الارتقاء الى هذا المستوى الرفيع الذي تمثله عبقرية اللغة الاصيلة .

سلا ــ الدكتور المهدي بن عبود

مصطفى صادق الرافعي

للدكتور: جمال الدين الرمادي

كان مصطفى صادق الرافعي اديبا رائعا بادق معاني هذه الكلمة واوسع مدلولات هذا اللفظ عاش في فترة كثر فيها الجدال الادبي واشتد فيه النقد حتى استحال الى نقد وتجريح واستطال الى لوم وتقريع واصبح وسيلة الى الشهرة ، وتحطيم الاصنام ، وبلوغ الرفعة وهدم الكيان ، ومن هنا اغمط حق الرافعي وغدا ادبه موضع الشك والارتياب حتى قال اديب كبير عن الرافعي وهو الذي كتب عشرات الكتب في الادب الرفيع انه لم يكد يكتب شيئا .

لم يكن الرافعي على حظ كبير من التعليم المنظم والدراسة ، بل عكف بنفسه على استيعاب امهات الكتب العربية ، وذخائر الفكر القديم ، ونشا في اول امره في الريف اذ ولد في يناير عام 1880 على الارجح في قرية بهيتم من اعمال مديرية القليوبية احدى مديريات الاقليم الجنوبي والتحق بكتاب القرية ثم انتقل الى احدى المدارس الابتدائية وشرع يستانف الدراسة الثانوية بيد ان لمرض الم به فلزم الفراش ولم يلبث ان ادركته حشرجة في صوته ولم هذا الصوت ان احتبس ، واذا هذا الصوت ينبعث خافتا باهتا فيه بحة ملحوظة وفيه انين مكتوم . وتشاء الاقدار بعد ذلك ان يصاب الرافعي في اذنيه فيدركه الصمم ، وتحول هذه الكوارث بين الرافعي وبين الدراسة المنتظمة في المدارس ولكن الياس لم يقعده عن التعمق في القراءة والتلهف على الانتهال من موارد العلم ، وفي هذا يقول صديقه الاديب الاستاذ محمد سعيد العريان : (وفي القهوة وفي القطار وفي الديوان لاتجد الرافعي وحده الا وفي يده كتاب وكان في اول عهده بالوظيفة كاتبا بمحكمة طلخا فكان يسافر من طنطا كل يوم ويعود وياخذ معه في الذهاب والاياب ملازم من كتاب اي كتاب ليقراها في الطريق وفي القطار بين طنطا وطلخا وبالعكس .. استظهر كتاب نهج البلاغة في خطاب الامام علي وكان لم يبلغ العشرين ....) .

وهكذا ظل مصطفى صادق الرافعي يطلع على ذخائر الكتب القديمة في الادب والفقه والدين حتى استطاع ان يهضم محصولا وافرا منها .

هذه كانت ثقافته العربية اما بالقياس الى ثقافته الاجنبية فالحق انها كانت محدودة اذ كان على حظ ضئيل من الفرنسية والانجليزية ولم يقرا من الادب الغربي الا ما ترجم عنه ، ولم يكن اغلب الكتب المترجمة في هذه الفترة التي عاش فيها الرافعي يتوخى الامانة العلمية والدقة المتناهية في ايصال المعنى الغربي الى القارىء العربي انما كان المترجم يضرب صفحا عن النص ثم يترجمه من ذاكرته وبمقدار ما انعكس على صفحة ذهنه من معان وافكار .

ولو ان الرافعي اوتي قدرا من الثقافة الاوربية للحق تارة بالكتاب الرومانسيين وتارة بالكتاب الرمزيين في اسلوبه وخياله ، على ان المعاني على حد تعبير ابي هلال العسكري مشاعة بين الفجمي ، والحضري ، والبدوي ، ولا نستبعد ان نجد في بعض رسائل الاحزان او السحاب الاحمر او غيرها افكارا رومانسية ، وتعبيرات رمزية ، ولا سيما ان الرافعي امتحن بالحب ، واكتوى بناره ، واصبح قلبه رائده وامامه في تفكيره وتعبيره وتصويره ، كما اولع برنين الالفاظ وجرس الكلمات .

الف الرافعي مجموعة قيمة من الكتب الادبية ، نذكر منها كتاب تاريخ آداب العرب ، الذي انقطع لتاليفه في منتصف عام 1909 الى آخر عام 1910 ثم نشره عام 1911 وهو في الثلاثين من عمره .

وقوبل هذا الكتاب بترحاب شديد في الاوساط الادبية ولا سيما ان طلبة الدراسات العربية في ذلك الوقت كانوا في مسيس الحاجة اليه لعدم وجود مراجع وافية كاملة في هذا الحقل الادبي ، وذكر استاذ الجيل احمد لطفي السيد في خطاب له الى الرافعي انه قضى اسبوعا يخطب عنه في مجالس العاصمة كما كتب عنه يقول : (ان الكتاب يدل على ان المؤلف قد ملك موضوعه ملكا تاما ، واخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا ، واما اسلوب الرافعي في كتابه فانه سليم من الشوائب الاعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا نحن العرب المتاخرين فكاني وانا اقراه اقرا من قلم المبرد في استعماله المساواة ، والباس المعاني الفاظا سابقة مفصلة عليها ، لا طويلة تتعثر فيها ولا قصيرة عن مداها تودي ببعض اجزائها) .

تلك كانت شهادة استاذ الجامعة ومديرها الاسبق في كتاب الرافعي حامل الابتدائية ، وانها لشهادة جديرة بالتسجيل ، تدل على علو كعبه في ميدان الادب وتاريخه وقد حققت الايام نبوءة الاستاذ لطفي السيد فظلت الجامعة القديمة وظل طلابها القدامى ، يتنهلون من هذا الكتاب انتهالا حتى قامت غير واحداث ، وكلف الطلاب دراسة غيره من الكتب، الا اننا لا بد ان نقولها كلمة للتاريخ وهي ان كتاب الرافعي هذا وكتاب جرجي زيدان مؤسس دار الهلال في تاريخ آداب اللغة العربية قد سدا نقصا كبيرا في هذا المحيط لا يمكن لمؤرخ الادب ان يغفله بحال من الاحوال .

وكتب الرافعي قصة حبه في (اوراق الورد) وهي مجموعة من الرسائل العاطفية المتدفقة التي تصور لواعج قلبه وتباريح هواه وتوضح اسلوبه ولهفته وصبابته ، وتعرض نفسه على القارىء ساطعة ناصعة لا تحجبها حجب ولا تواريها استار ، كما تبين المعاني الكامنة وراء لغة الحب في اللفتات والنظرات والابتسامات .

وسمى الرافعي كتابه (اوراق الورد) لان صاحبته كانت تحدثه دائما عن الورد وعمر الورد وتحذره ان تكون حياته متهدلة كالوردة وقد وضعت وردتها النادية على صدرها ولكن على معان في القلب كأشواكها .

وعلى هذا النحو كتب الرافعي (رسائل الاحزان) وتضم عواطف ثارت وقتا ما ليحدث منها تاريخ ، وسكنت بعد ذلك ليحدث منها شعر وكتابة ، ويؤخذ من رسائله انها من وحي رجل وامراة كانما كانا ذرتين متجاورتين في طينة الخلق الازلية ، وخرجتا من يد الله معا ، هي بروعتها ودلالتها وسحرها ، وهو باحزانه وقوته وفلسفته ، وقد سماها (رسائل الاحزان) لا لانها من الحزن جاءت ولكن لانها الى الحزن انتهت ، ثم لانها كانت من لسان كان سلما يترجم عن قلب كان حربا ثم لان هذا التاريخ الغريب كان ينبع كالحياة ، وكان كالحياة ماضيا الى قبر ..

وكتب الرافعي كتاب (السحاب الاحمر) وضمنه خواطر اخرى في الحب والمراة والقضاء والقدر كما كتب (تحت راية القرآن) وهو مجموعة من المقالات في الادب العربي والرد على كتاب (الشعر الجاهلي) للدكتور طه حسين وسجل في هذا الكتاب رايه في التجديد ودافع عنه في ارادة وتصميم .

وكتب الرافعي كذلك كتاب (المساكين) ونشر فيه فصولا عن الفقر وماهيته لا لمحوه ولكن للصبر عليه ، ولا من اجل البحث فيه ولكن للعزاء عنه ، وعن الغنى وما اليه ، لا رغبة في افساده على اهله ، ولكن لاصلاح ما يفهم منه غير اهله ، وقد تجلت روحه الرفيعة الرقيقة في مقالاته عن الشيخ علي والفقر والفقير وما اليها ، ومن نجواه الى القبر قوله :

« وواها ايها القبر لاتزال تقول لكل انسان مقالا ، ولا تبرح كل الطرق تفضي اليك فلا يقطع باحد دونك ، ولا يرجع من طريق راجع ، وعندك وحدك المساواة ، فما انزلوا ، قط ، فيك ملكا عظامه من ذهب، ولا بطلا عضلاته من حرير ، ولا اميرا جلده من ديباج ، ولا وزيرا وجهه من حجر ، ولا غنيا جوفه خزانة ، ولا فقيرا عاقت في احشائه مخلاة ...) .

ومن اروع آثار الرافعي ايضا كتاب (وحي القلم) وهو مجموعة من المقالات والقصص والاحاديث الدينية وكان قد نشرها في الصحف والمجلات مثل مجلة الرسالة والمقتطف ، ثم عن له ان يجمعها في كتاب ومنها ما يتناول مشاكل الاسرة والمجتمع او يتعرض للتاريخ او اوراق ورد لم يلحقها بالكتاب الاول .

والف الرافعي بعض القصص مثل (الدرس الاول في علبة كبريت) التي نشرها عام 1905 وقصة سعيد ابن المسيب التي نشرها في الرسالة عام 1934 .

ويؤخذ من هذه القصص ان اغلبها ذو اصل تاريخي او واقعي ، على انها تلتزم الفن القصصي

التزاما ، ويمكن الحاقها بالاثار القصصية الكبرى في الادب العربي ، بيد أن الرافعي في حديث لطائشة استطاع ان يجلو نفسية فتاة من فتيات الليل في صورة خلابة جذابة ، معجبة عجيبة ، استطاع ان يغوص الى اغوار نفس هذه الفتاة ، ويرسم للقاريء صورة عن هذه الحياة الآثمة التي انزلقت اليها هذه البريئة انزلاقا ، وجعل يستدر عليها الرحمة بدلا من أن يصب عليها اللعنات .

والواقع ان هذا اللون من الادب انتشر في اوربا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وظهرت هناك طائفة كبيرة من الكتاب الفرنسيين الذين يتخذون هذا اللون من النساء مادة قصصهم ويظهر ان هؤلاء الكتاب الفرنسيين ارادوا بذلك ان يردوا على القساوسة ورجال الدين الذين صبوا جام غضبهم على هذه الفئة من النساء .

ونظم الرافعي الشعر صبيا وشابا ، وعندما نشر حافظ ابراهيم ديوانه لاول مرة عام 1903 عكف الرافعي على كتابة مقدمة ديوانه ، وجلس في غرفة داره بعد ان تخفف من الملابس واقتعد البلاط بلا فرش ، وبسط اوراقه على الارض لكتابه وهو يقول لصاحبه : (اني لاحب ان احس الرطوبة من تحتي فتنشط جسمي) .

وقال الرافعي عن نفسه في مقدمة ديوانه ان هذا الشاعر ـ يقصد نفسه ـ يمتاز بولعه الشديد بالغزل ، وبلوغه فيه اسمى ما يبلغه النظم ، وله مزية اخرى وهي غوصه على المعاني في الاغراض التي لم تطرق وكثيرون يعدونه (شاعر مصر) .

ويبدو من مقدمة الرافعي انه اسرف في الاعتداد بنفسه ، والاعتزاز بشعره ، وكان حافظ ابراهيم لا يكاد يقول « انا » حتى يقول الرافعي « انا » و « انت » وذهب الرافعي الى انه شاعر الحس ، وبان حافظ لايقول في الغزل ولا النسيب .

وهذا القول يحتاج الى نظر طويل ، فمهما اوتي الرافعي من روح حساسة ، وشاعرية فانه لا يرقى في شعره الى مستوى حافظ ابراهيم ، صحيح ان حافظ لم يقرض الا طائفة معدودة من القصائد في الغزل ، بيد ان هذا لايجوز ان يكون دليلا على امتياز الرافعي على حافظ في الشعر ، فان التقصير في ميدان لايستوجب القصور في كل الميادين .

على ان الرافعي استطاع في كتبه ان يخلق لونا جديدا من رسائل الحب في الادب العربي ، ويصور فلسفة عذبة حلوة تمس النفس وتصل الى اغوار الفؤاد ، وهو لا يحب الا لثلاث : ليعرف ويحس ويتخيل ، ولا يملك للحب الا لثلاث : ليوجد في نفسه ويبقى في نفسه ويضم نفسه الى نفسه .

وكان يعتقد ان الحب ضرورة لقلب الفنان ، ومتى قدمت الجميلة على قلب الرجل اضاءته ، فيضيئها نوره بالوان من الحس لايراها ولا يدركها ولا يصدق بها الا صاحب هذا القلب .

وكان يرى ان تحية الفكر هي رد كلمة بكلمة وتحية النفس هز يد بيد ، وتحية القلب لمس شفة بشفة .

ومن اجل ذلك كتب الرافعي رسائل في (القبلات) اضفى عليها كوامن مشاعره ، وخلجات احساسه .

وكانت روحه الاسلامية تسيطر عليه في افكاره وكتابته حتى عندما يكتب عن الحب والهوى ، والعشق والجوى ، فقال في زجاجة العطر التي اهداها الى صاحبته : (ايها العطر لقد خرجت من ازهار جميلة وستعلم حين تسكبك هي على جسمها الفاتن انك رجعت الى اجمل ازهارك ، وانك كالمؤمنين تركوا الدنيا ولكن نالوا الجنة ونعيمها) .

وقد جاء الرافعي بكثير من المعاني الطريفة كقوله : (القمر نراه رفاف من الحس كانه اغتسل وخرج من البحر او كانه ليس قمرا بل هو فجر طلع في الليل فحصرته السماء في مكانه ليستمر الليل ، فجر لا يوقظ العيون من احلامها ولكن يوقظ الارواح لاحلامها) . وقوله : (واشعر بالقرطاس وكانه علم انه سيحمل اشواقي واسرار قلبي فلم يعد صحيفة ورق تموج بالالفاظ بل صحيفة صدر ملأها جو من التنهد) . واعجب الاديب سعيد العريان بتعبير طريف للرافعي هو قوله :

(واصبحت السماء صافية كأنما غسلتها الملائكة بالليل ....)

هذه نظرات في ادب مصطفى صادق الرافعي الذي انتقل الى جوار ربه في 10 مايو 1937 فترك فراغا كبيرا في الادب العربي بموته .

القاهرة : الدكتور جمال الدين الرمادي

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ : عبد الله كنون

المنجد في اللغة للاب لويس معلوف معجم لغوي شهير ظهر منذ اكثر من نصف قرن ولقي من الرواج والانتشار ما لم يلقه اي معجم لغوي آخر ظهر في العصر الحديث ، وذلك لاختصاره وجمعه وتزيينه بالصور والرسوم التي كثيرا ما تقوم مقام الشرح الطويل ، مع اعتماد الطريقة السهلة في ترتيب المواد اللغوية على الحرف الاول والثاني كما هو صنيع الفيومي في المصباح ... وهكذا سد المنجد فراغا في ميدان المعاجم اللغوية المتوسطة كان يشعر به الطالب والمعلم والصحفي وغيرهم ... ومنذ ظهوره واقلام العلماء والنقاد تتناوله بالنقد والتقريظ بحيث اخذ كفايته من الدراسة والوزن العلمي الصحيح .

وقد ظهر في السنوات الاخيرة ملحق له يسمى المنجد في الآداب والعلوم نحا به مؤلفه الاب فرديتان توتل منحى المنجد اللغوي في الترتيب على اوائل حروف الكلمة والاختصار مع توخي الفائدة وتزيينه بالصور واللوحات الموضحة وقصره على ما تهم معرفته من مطالب العلوم والآداب ليكمل غرض الباحث المستعجل في هذه الناحية التي لم يلم بها المنجد اللغوي ، وكان مؤلفه الاب لويس معلوف كثيرا ما يحدث نفسه بوضع ملحق له في ذلك على ما ذكر الاب توتل ، وقد طبع منجد الآداب والعلوم مع المنجد اللغوي ، فكان ذيلا له وتكميلا محققا لتلك الفكرة وموفيا بالمرغوب .

ان المنجد بهذه الضميمة اصبح يحكي فى العربية معجم « لاروس » الصغير فى الفرنسية ولا يبعد ان يكون هذا المعجم الفرنسي الشهير هو الذي اوحى بالفكرة لصاحبينا ، وهي على كل حال فكرة سديدة وخدمة جليلة للغة العربية وابناء العرب ولا سيما الناشئون منهم ، وبقدر ما يقتضينا من الشكر والاعتراف بالجميل لمنفذها الفاضل الاب توتل فانها تتطلب منا ان نقدرها قدرها ونضع معطياتها تحت منظار التقييم العادل الذي لا يجور ولا يحيف .

اننا نعرف حق المعرفة ما يتطلبه تاليف معجم من هذا القبيل ، من الجهود المضنية ، ومن المصادر الكثيرة المتنوعة ما بين قديمة وحديثة ، عربية واجنبية ، ومن التسلح بسلاح العلم والثقافة الواسعة، والاستعداد للنظر في المعلومات المستفادة من تلك المصادر وصهرها في بوتقة البحث والنقد النزيه حتى تصير صالحة لتقديمها الى الجمهور في معجم يوضع بين ايدي عموم الباحثين والناشئة المتعلمة بالخصوص، ولهذا فان عمل المعاجم قل ان يتعاطاه الا جماعة من اهل الاختصاصات المختلفة في ضروب المعرفة ليكون عملا تاما او قريبا من التمام ويحقق الفائدة المرجوة منه لكل طالب وكل راغب ولعل هذا هو السبب في قلة المعاجم الحديثة في اللغة العربية ، فاننا نرى العشرات من الكتب العلمية والادبية بل المئات التي تصدر في مختلف البلاد العربية ولا سيما مصر ، ومنها كتب قيمة حقا ، وذلك منذ فجر النهضة العربية الحديثة اي اوائل هذا القرن ولا نرى منها في فرع متن اللغة والمعاجم اللغوية بخاصة الا بضعة مؤلفات وغالبها من صنع علماء لبنانيين ، ما ذلك الا لتهيب الاقدام على هذا العمل الخطير من طرف رجال العلم والادب في حالة الانفراد ، وعدم اهتمام حكومتنا بجمع اهل الكفايات على مثل هذا العمل ، اللهم الا ما كان من هذه البادرة الوحيدة التي ظهرت على يد مجمع اللغة العربية بالقاهرة في اخراج المعجم الوسيط .

وبهذا الاعتبار فاننا اذا نظرنا في منجد الآداب والعلوم ورأينا انه بحاجة الى اعادة النظر في كثير من مواده ومعلوماته ، يجب ان لا ننسى انه عمل

فردي وانه مشروع كان يتحتم ان يقوم بـه جماعـة من أهل العلم ليخلو من المآخـذ ، وبذلك نكـون قـد التمسنا لمؤلفه من العذر ما يكافيء همته وشجاعته ، وفي نظرنا ان المسؤول عن الاخطـاء الكثيـرة التـي يحتويها هذا المعجم هو المصادر التـي اعتمـد عليهـا المؤلف ، فهي جميعا مصادر غير اصيلة لانها تتراوح بين مصادر أجنبية ومصادر محدثة ، واليك قوله في هذا الصدد :

« فأخذنا بالتاليف مستنديـن خاصة الى دائـرة المعارف الاسلامية لكبار المستشرقين مـع ترجمتهـا العربية (الى حرف الدال) ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس ومجاني الادب للاب شيخو وتاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان وتاريخ الآداب العربية لبرو كلمان (بالالمانية) وتاريخ الآداب العربيـة المسيحية لغراف (بالالمانية) والانسيكلوبيديات الغربية الكبـرى » .

فها نحن نرى انه ليس من بين هذه المصادر مرجع اصلي من الكتب العربية القديمة المعتمدة في كثير من المواد التي يشتمل عليها المعجـم ، اضف الى ذلك ان الترجمة من المصادر الاجنبية كثيرا ما يغير بها لفظ الشيء المترجم وخاصة اذا كان اسم محل او شخص غريب لا علم للمترجم به فلا ينفع في هذه الحالـة الا الرجوع للمصادر الاصيلة التي تورده على وجهه .

ولا يقال ان هذه هي اهم المصادر ، وثم مصادر لم يذكرها المؤلف ومن المحتمل ان تكون من الصنـف الاصيل ، لانه لو كان شيء منها معتمدا عنده لاشـار له او لبعضه على الاقل .

على اننا انصافا للمؤلف لا ندعي اننا سننظر في كتابه نظرة عامة فذلك ما ليس في طاقتنـا ، وانمـا سنلقي نظرة على المواد الاسلامية والعربية والمغربيـة منها بالخصوص ، وذلك ما نقدر انـه بحكم ثقافتـه المسيحية وبعده عن بلادنا يمكن ان يغلط فيه ، هـذه النظرة نفسها سوف لا تكون مستوعبة لاننا لسنا على احاطة بعلم هذه المواد كلهـا ، وغايتنـا هي التعـاون والتآزر على خدمة العلم وهذه اللغة العربية الشريفة كل بما يستطيع وعلى قدر جهده .

هذا وسنتبع ترتيب المؤلف فنسجل ملاحظاتنـا على مواد الحروف اولا بأول وابتداء من حرف الالف :

حـرف الألـف :

1 ـ في ترجمة ابن آجروم النحـوي المعـروف ذكر المؤلف ان المترجـم اخـذ عـن ابـن حيـان في القاهرة والصواب ابي حيان ، وللفائدة نقـول : عندنا ابو حيان التوحيدي الاديب العربـي الكبيـر ، وابو حيان النحوي الغرناطي نزيل القاهرة وهو المعنى هنا ، وابن حيان وهو مؤرخ اندلـسي شهيـر ، وزاد المؤلف قائلا : وآجروم بلغة القبائل معناها الصوفي، فاي قبائل يعني ؟ انـه ولا شك يتبـع الاصطـلاح الفرنسي في اطلاق القبائل على برابرة الجزائر وكـان الصواب ان يقول معناها بلغة البربر .

2 ـ اسفي ص 2 ضبطها المؤلف بسكون السين وهو النطق العامي ، وفيه اجتماع الساكنين فالصواب ضبطها بفتح السين ، وفي جغرافية الادريسي ما يلمح الى ان هذا الاسم مأخوذ من قولهم يا اسفي فهو مفتوح السين بكـل وجـه .

3 ـ في ص 3 ذكـر ابان بن عبـد الحميـد وابان بن عثمان مضبوطين معا بتشديد الباء ، وهمـا مخففـان .

4 ـ ص 4 ترجمـة لابراهيـم بـن عبـد الله العلوي المعروف بالنفس الزكية وهذا خطأ فان هـذا اللقب هو لاخيه محمد بن عبد الله القائم على المنصور العباسي وكان اخوه ابراهيم بمعيته وهو الذي ارسله الى اهل البصرة مستنجدا بهـم .

5 ـ ابرهـة الحبشي ص 4 جـاء فـي ترجمته ما يلي : حاكم اليمن ، حارب الفرس (570م) مستخدما الفيلة في القتال ، وتسمى سنـة هذه الحـرب عـام الفيل ، ومنها يؤرخون مولد محمـد ، واي مناسبـة بين محاربته للفرس وميلاد محمـد (ص) ؟ فالخطـأ متات من ان هذه الحرب التي استخدم فيها ابرهـة الفيلة كانت مع قريش عرب مكة ، والقصة معلومـة ، ومن ثم ارخ بها مولد النبي الكريم .

6 ـ ابوام او بوعـام ص 5 ذكـر المؤلف هـذا الاسم اولا على الشك في انه ابوام او بوعام وقال انه عاصمة تافيلالت الخ ثم عاد فقال وبالقرب من ابـوام قبر مولاي علي وهو مزار ، وهذا من ادلة ما قلناه من ان الترجمة كثيرا ما تحرف الاسم عن اصله ، فالاسم هو بوعام لا ابوام ، ثم ان مولاي علي الذي ذكر ان قبره يوجد بقرب بوعام هو مولاي علي الشريف ، جد الاسرة

العلوية المالكة بالمغرب وهو بدون هذا الوصف لا يتعرف لان اسم مولاي علي كثير في المغرب والمشرق، ومن العجيب ان هذا الوصف مذكور في دائرة المعارف الاسلامية التي يظهر ان المؤلف اعتمدها في هذه المادة ولكنه حذفه وقد وقعت الدائرة في خطأ التردد بين ابوام وبوعام ومنها سرى هذا الخطأ للمؤلف .

7 — في ص 6 جاءت هذه المادة ، « الاثر الشريف والذخيرة ، وهو بعض مخلفات يقال انها لمحمد مثل شعره واسنانه وقطع من ملابسه ونماذج من خطه وبعض ادواته وطابع اقدامه بنوع خاص ، وهذه الآثار مجموعة في بعض الاماكن يكرمها المسلمون . »

ونقف وقفة قصيرة عند هذه المادة فنقول اولا ان هذه المخلفات في جملتها لا وجود لها واذا كانت بعض شعراته (ص) توجد في زمن مضى عند بعض الناس فانها لم يبق لها اثر الآن ، فضلا عن اسنانه وقطع من ملابسه ، وبردته التي كساها كعب بن زهير ، وكانت قد صارت الى خلفاء بني امية ومن بعدهم الى بني العباس قد فقدت الآن ولم يبق لها اثر ايضا ؛ اما عن نماذج خطه فهذا ما لا يصدقه احد لانه (ص) كان اميا لا يكتب ولا يقرا وذلك معلوم عند المسلمين بالضرورة ، بقي تمثال نعله الكريمة وهذا موجود في بعض الكتب وهو مما لا خلاف فيه ، ونقول ثانيا اين هي هذه الاماكن التي توجد فيها هذه الذخيرة او الاثر الشريف كما ذكر المؤلف والتي يكرمها المسلمون ؟ انها اذا كانت موجودة فلا بد ان تكون معروفة وحينئذ كان على المؤلف ان يبينها لقرائه ، ونقول ثالثا ان مادة لغوية اسمها الاثر الشريف او الذخيرة لا وجود لها في معاجم اللغة العربية التي الفها المسلمون فاحرى من عداهم فكيف اقحمها المؤلف في كتابه ؟ ...

8 — ص 8 ذكر المؤلف احمد بن حائط (حابط) من المعتزلة ، قال بالتناسخ وبالوهية المسيح استنادا على القرآن ، واخذ على محمد تعدد زوجاته وغير ذلك مما دفع بعضهم ، ومنهم المقريزي الى اتهامه بالخروج عن الاسلام ، ليت شعري ما المراد باقحام هذه الترجمة في معجم مدرسي كالمنجد ، هذا مع عدم تحرير اسم صاحبها هل هو حائط او حابط ؟ ونسى المؤلف قولا آخر فيه وهو خابط الذي به ذكره ابن حزم ، اما استشهاده بالقرآن على الوهية المسيح فذلك من قوله تعالى (فتنفخ فيها فتكون طائرا) ونذكر الآية كاملة لحضرة الاب المحترم ليرى انه ليس فيها ما يشهد له فيخف تحمسه لهذا المعتزلي الخابط ، وها هي كما جاءت في سورة المائدة (اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير **باذني** ، فتنفخ فيها فتكون طائرا **باذني** ، وتبريء الاكمه والابرص **باذني** واذ تخرج الموتى **باذني** ، واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) (سورة المائدة الآية 110) . فمن الذي يقول بالوهية المسيح استنادا لهذه الآية وهي تعدد نعم الله على المسيح وتذكر في كل معجزة ءاتاه الله اياها انها انما وقعت باذنه تعالى ، وما قول الاب تونل في آخر الآية الذي يفيد انه عز وجل كف بني اسرائيل عن المسيح لما هموا به فلم يقتلوه ولم يصلبوه كما ينص القرآن في آية اخرى ، هل ياخذ ببعض الآية ويترك بعضها الآخر ؟ الغالب انه سيتركها جميعا وياليته فعل وترك هذا الخابط فلم يملأ به الفراغ الذي كان عليه ان يملاه بشخصية محترمة يزيد ذكرها في معرفة قاريء معجمه ، ولا بأس بذكر الآية على الوجه الذي وردت به في سورة اخرى وهي سورة آل عمران اذ قال تعالى : (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين (45) — ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين (46) — قالت ربي انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون (47) — ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل (48) — ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم ، اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طائرا **باذن الله** وابريء الاكمه والابرص واحيي الموتى **باذن الله** وانبئكم بما تاكلون ما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مومنين (29) — ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله واطيعون (50) — ان الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » (51) — فهل بعد قوله ان الله ربي وربكم من كلام ؟

اما اخذ هذا الخابط على محمد (ص) تعدد زوجاته فذلك كلام فارغ قد نفض الناس ايديهم منه بعد ان اثاره غير واحد من الطاعنين على الاسلام ونبيه عليه السلام وبينوا ما في ذلك من الحكمة الشرعية وانه ابعد ما يكون عن النزعة الجنسية ، وانه اذا عيب

على محمد (ص) فلان يعاب على من سبقه من النبيئين والمرسلين وفيهم من كانت له 99 زوجة اولى واحرى ولكن لماذا لم يات المؤلف بغير هذين الرايين القائلين من تخبطات ابن خائط او ابن حابط ؟ الانه يثبت باحدهما الوهية المسيح وينال بالآخرين من سيرة نبي الاسلام ؟ اذن فما احبط هذه الحجة التي يقدمها ابن حابط ... !

9 – في نفس الصفحة : ذكر المؤلف مدينة احمد اباد وقال عنها : انها اجمل مدن الهند بآثارها الاسلامية . ثم قال عقب ذلك : صناعة الاقمشة الحريرية المقصبة ، هكذا بدون ربط ولا ذكر ما يشعر بان ذلك مما تمتاز به ؛ وليس هذا من اساليب العربية وخصوصا في معجم .

10 – وقع في ترجمة الاخضري ص 9 تسمية كتابه او بالاحرى نظمه الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون بتحريف صدف الى صدق وقد يكون ذلك خطأ مطبعيا .

11 – في ترجمة الاخطل الشاعر ص 9 ايضا جاءت هذه العبارة عند ذكر ديوانه : واهتم في نشر مخطوطاته الاب انطون صالحي ، والصحيح واهتم بنشر ديوانه بالباء .

12 – في ترجمة ادريس الاول مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب ص 10 انه كان شيعيا وهو ان كان يعني تبعيته لمذهب من مذاهب الشيعة المعروفة فان هذا لا يصح ، وان كان يعني انه علوي قام بدعوة آبائه في المغرب ولقي من أهله الذين كانوا يتشيعون لهم نصرة ، فذلك صحيح ، ولم يذكر احد من المؤرخين المعروفين ان الادارسة كانوا شيعة ، على ان الثابت في تراجم وزرائهم وقضاتهم انهم من اهل المذاهب السنية وانه لما قامت دولة الفاطميين الشيعية حاربت الادارسة بكل قوة .

13 – في ترجمة ادريس الثاني بنفس الصفحة والعمود انه بويع في جامع اليلي وهو خطأ صوابه وليلى وهي مدينة فولوبيليس المعروفة بقصر فرعون، وكانت عاصمة الدولة الادريسية قبل بناء ادريس الثاني لمدينة فاس .

14 – ورد في ترجمة الادريسي الجغرافي المعروف بنفس الصفحة والعمود ايضا انه ولد في سبتة (الاندلس) ، ومدينة سبتة ليست من الاندلس بل هي من المغرب في شماله على شاطىء البحر الابيض المتوسط ولتنظر الخريطة .

15 – في المحل المذكور كذلك ترجمة للادريسي المغربي (احمد بن ميمون) تحتوي على اغلاط ، منها تسميته احمد والمعروف ان اسمه علي ويكنى بابي الحسن ، ومنها قوله من اصل بربري وهذا مما يتنافى مع ما وصفه به من النسب الادريسي ، والحقيقة انه شريف حسني من السلالة الادريسية ومنها قوله كان اميرا على بني رشيد (كذا) في جبل غمارة (المغرب) فتنازل عن وظيفته لعدم امكانه منع شرب الخمر في قبيلته ورحل من فاس الى المشرق ، وليس شيء من هذا بصحيح فهو لم يكن اميرا وانما كان قاضيا في مدينة شفشاون في ايام اميرها علي بن راشد ، ومن هنا جاء الغلط في جعله اميرا على بني رشيد ، وانتقل الى فاس لخلاف وقع بينه وبين هذا الامير وما نسب اليه من كتاب غربة الاسلام بواسطة صنفي المتفقهة والمتفقرة من اهل مصر والشام صحيح ، وهو يدل على ان ثورته كانت على الاحوال الفاسدة بالمشرق .

16 – في ص 12 ذكر اسم ابى عمرو بن الصلاح مصحفا الى ابن الصالح وهو تصحيف يفتقر الى التصحيح .

17 – في ص 13 ثبت لفظ القرباذين والمراد به علم الصيدلة بالزاي وهو بالذال .

18 – في ص 16 ذكر الازرقي مؤرخ مكة هو وجده باسم الازرق والمعروف انه منسوب الى جده الاعلى ابى عقبة الازرق الغساني كما لابن الاثير في اللباب .

19 – على ع ن من الصفحة نفسها في مادة ازمور ما يلي : فيه قبة سيدي (شعوب) وغيره من الاولياء فيه جرت الوقائع الحربية بين البرتغاليين وبني (مرن) في القرون الوسطى ، والصواب سيدي بوشعيب وبني مرين .

20 – في ص 17 ترجمة للشيخ خالد الازهري النحوي المعروف ، ذكر من تآليفه المقدمة الازهرية وتمرين الطلاب والمقدمة الجزرية ، وهذه الاخيرة ليست له بل هي لابن الجزري واسمها دليل على ذلك ولكن الشيخ خالد شرحها ، ولم يذكر من تآليفه التصريح وشرح الاجرومية وهما اشهر كتبه .

21 – في المحل المذكور ترجمة لاسامة ابن زيد ، جاء فيها انه من مواليد محمد ، ولعله يريد انه من

مواليه ، وكانت قريش تقـــول لزيد والد اسامـــة لا لاسامة : زيد بن محمد فنزلت الآية (ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله) فقيل له يومئذ زيد بن حارثة .

22 ـ على ع نى من هذه الصفحة تعريف باسبانيا ذكر فيه اسم مدينة مالقة هكذا (ملقــة) بدون الــف بعد الميم ولم تكتبه العرب الا بها حتى انهم الحقــوه بالاسماء القليلة التي جاءت على وزن فاعل بفتح العين.

23 ـ في ص 18 ع نى ترجمة لاسد بن الفــرات جاء فيها تولى القضاء في (قيروان) وحمل في الحرب على صقلية ، توفي في حصار سرقـسطة .. والصواب القيروان بالتعريف وان يقال فتح صقلية لان عبارتــه لا تفيد انه فتحها ، واما وفاته فكانت في حصــــاره لسرقوسة بصقلية لا بـسرقـسطة فان هذه في الاندلس وكان من المستحسن ان يقال انه مؤلف الاسديــة في الفقه وهي اصل المدونة المشهورة في فقه المالكية .

24 ـ في ص 21 ع ل ذكر الاسكندرون ، والاكثر ان يقال فيها الاسكندورنة على انها ميناء في تركيـــا على البحر المتوسط (25000) يعني من السـكان ولا زائد، والمعروف ان الاسكندرونة لواء عربي كان تابعا لسوريا واقتطعته منها فرنسا ايام الانتداب وسلمته الى تركيا ففي معجم عربي كان من المتعين الاشارة الى ذلك .

25 ـ على العمود نى من الصفحة نفسها في تعريف الاسلام ما يلي : واركانــه خمسة الصــلاة والصــوم والزكاة والحج والجهاد ، فحذف الركن المهم وهــو شهادة التوحيد : لا الــه الا الله محمــد رسـول الله ، وجعل بدلها الجهاد ، وهــو ليس بركـن ولا واجب عيني الا اذا فاجأ العدو البلاد .

26 ـ في ص 22 ع ل ترجمة لاسماء بنت ابي بكر الصديق وفيها انها لقبت بذات النطاقين لانها شقت (زنارها) قطعتيــن الخ . والزنـار هــو مما يختــص بالرهبان المسيحيين فلماذا العدول عن قولــه شقت نطاقها كما عند غيره وهو المناسب للفظ اللقب .

27 ـ في المكان المشار اليه ترجمة لمولاي اسماعيل ابن (شريف) والصواب الشريف بالتعريف ذكــر انه من سلالة العلويين والفيلاليين الحسينيين الثانيـــة والصواب القول انه من سـلالة العلويين الحسنيين فان نسب الفيلاليين انما هو لاقليم تافيلالت فلا يصـــح جعله في مقابلة نسب الاسرة ، وهؤلاء الاشراف هــم حسنيون اي ابناء الحسن بن علي لا من ابناء الحسين فلا يصح القول فيهم انهم حسينيون ، امــا قولــه الثانية فلم نعرف ما يقصد بــه .

28 ـ على ع نى من نفس الصفحة ترجمة للاسنوى جاء فيها : تعلم على ابن حيـان في القاهــرة ، ولعــل الصواب على ابى حيان الذي تقدم ذكــره ، ثم قال : من مؤلفاته رسالة في عدم استخدام وعدم (تبليتهم) عموم المسلمين ، ولا ندري معنى هذه التبلية ؟ !

29 ـ في ص 23 ع نى اثنـاء التعريف باشبيلية قوله : « فتحها العرب (712) واخذها عليهم فرديناد 3 (1228) » وهذا التعبير : « اخذها عليهم » غريب فلا هو فصيح ولا عامي فالصوب ان يقـال واخـذها او انتزعهـا منهــم .

30 ـ في المحل المذكور ترجمة الاشعث بن قيس ابن معد كرب ، والصـواب معدى كرب بالياء جاء فيها: ولقب بعرف النار لخيانته عليا ، والاشعث لم يخـن عليا وان اخذ عليه قبول التحكيم على ان هـذا اللقب لم نجد من ذكره من مترجميه .

31 ـ في المحل المذكور ايضا ترجمة لابي الحسن الاشعري جاء فيها انه مؤسس علم الكلام اي استعمال القياس بالجدال ، وهذا لا يصح فان علـم الكـــلام اسـس قبل الاشعري ؛ نعم هذبه الاشعري على اصول اهل السنة بالنسبة لاكثر الاقطار كخرسان والشــام والعراق واما بالنسبة لما وراء النهر فيرجع الفضــل في ذلك الى ابي منصور الماتريدي ويصح ان يقال ان الاشعري هو مؤسس مذهب الاشعرية في علم الكلام ، ثم ان علم الكلام ليس هو استعمال القياس بالجـدال كما قال المؤلف بل هو علم التوحيـد وعلم اصـــول الدين وانما سمي علم الكلام لان مسألة كلام الله تعالى من اهم مباحثه فهو من باب اطلاق البعض على الكل.

32 ـ ص 24 ع نى ترجمـة للاصفهانـي محمـد البغدادي يعني ابا بكر محمد بن داود الظاهري جـاء فيها انه شاعر له كتاب الزهـرة وضبطه بضم الزاي وسكون الهاء ثم قال جمع فيه 5000 شعر مع شروحها وفيها ابدع نشيدا (كذا) بذكــر الحب العــذري أو الافلاطوني ، وزيادة على عدم تعريف الشخص باسمه المتميز به فان وصفه بكونه شاعرا فقط فيه اجحــاف بحقه ، وقد كان من مشيخة العلم الكبار ثم ان الصحيح ضبط اسم الكتاب بفتح الزاي ، واما كونه ذكــر فيه 5000 شعر فان ذلك مما يحتاج الى توضيح لان الشعر يصدق بالبيت الواحد وبالقطعة والقصيدة ، والمقصود

على ما هو مبين في مقدمة الكتاب البيت الواحد من الشعر ، على انه حسبما قال المؤلف يحتوي 10.000 بيت اذ ذكر انه استودعه مائة باب ضمن كل باب مائة بيت ، يذكر في خمسين منها جهات الهوى واحكامه وتصاريفه واحواله ، ويذكر في الخمسين الثانية افانين الشعر الباقية فهو ليس كله في الحب او ما يسمى بالغزل ، هذا ولا بد من التنبيه على ان قوله مع شروحها ليس المراد به الشرح المعلوم للابيات الشعرية من حيث تفسير الالفاظ اللغوية وبيان المعاني الدالة عليها وانما هو تنزيلها على الموضوع والملاءمة بين مضامينها في ذلك فعبارته موهمة ، واما قوله : وفيها ابدع نشيدا بذكر الحب العذري الخ فهو تعبير قلق كما لا يخفى ، ونزيد على ذلك بان شعر الكتاب ليس كله من باب الحب العذري او الافلاطوني كما ذكر .

33 — في المحل نفسه ذكر حركة الاصلاح الدينية المسيحية التي قام بها لوثر وكالفان وكانت سببا في ظهور المذهب البروتستاني فقال: حركة دينية اصلاحية باشر بها لوثر الخ ولم يذكر مفعولا لباشر فمراده قام بها او باشرها ، ونحن ننبه على هذه الاغلاط اللغوية لان ناشئتنا يرونها في معجم لغوي فينقلونها فتفسد اساليبهم ويخرجون بها عن الاوضاع العربية المتعارفة في التعابير الفصيحة .

34 — فى ص 25 ع ل ذكر المؤلف كتاب اصول الفقه للشافعي وقال اول مصنف وضع فى الاصول ، وهذا صحيح ولكن اسم الكتاب الرسالة لا اصول الفقه ، وتعرف برسالة الامام الشافعي في اصول الفقه .

35 — في ع نى من هذه الصفحة ذكر اسم اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ راغب الطباخ مضبوطا بهمزة مفتوحة ونظن ان الصواب كسرها على انه مصدر لأعلم لا جمع علم .

36 — فى ص 26 ع ل ذكر اسم اكادير المدينة المغربية المنكوبة بالزلزال منذ قريب ، مكتوبا بغين منقوطة ثلاث نقط من فوق ، وهذا هو السبب الذي يوقع اخواننا الشرقيين فى وهم قبيح فيجعلونها اغادير بغين خالصة ويظنون انها جمع غدير او نحو ذلك ، والصواب كتابتها بكاف منقوطة بثلاث نقط من فوق او بجيم .

37 — فى ع نى من هذه الصفحة ذكرت الاغواط على انها واحة في بلاد الجزائر وهي مدينة .

38 — فى ص 29 ع نى عند تعريف الاكاديمية قال : والاكاديمية البريطانية فى لندن لتشجيع دروس التاريخ والفلسفة (والالسنية) ولا ندري ما هذه الالسنية فهي وصف لماذا ؟ ثم هي نسبة للجمع وامرها معروف . والمراد من المؤلف الفاضل ان يراجع هذه العبارات فى طبعة كتابه القادمة ، احتفاظا على الاساليب العربية الصحيحة .

39 — فى ص 32 ع نى كلام على مدينة البيرة من اسبانيا جاء فيه : ازدهرت ثم خربت بالحروب الاهلية (1009) ولا يبقى منها الا الاطلال ، وهذه العبارة لاتليق بمعجم لغوي والصواب فيها ان يقال ولم يبق.

40 — على ع نى من نفس الصفحة تعريف بالفية ابن مالك انشد المؤلف ابياتا منها وقد جاء هذا البيت:

ترفع كان المبتدا اسما والخبر
تنصبه ككان سيدا عمر

محرفا الى « مكان سيدا » بالميم بدل الكاف ، وهو من خطا الطبع .

41 — فى ص 34 ع نى ترجمة لامريء القيس الشاعر جاء فيها : قتل ابوه فهم فى المطالبة بالثار وهذا تعبير عامي لا يليق بمعجم لغوي وصوابه ان يقال فاهتم بالمطالبة .

42 — فى ص 34 ع نى كلام على بني امية استطرد المؤلف فيه ذكر خلفائهم واحدا بعد واحد ولما ذكر عمر ابن عبد العزيز جعل عليه رقم 2 اشارة الى انه عمر الثاني كما جعل في يزيد والوليد منهم ولم يكن في الامويين من ولى الخلافة واسمه عمر الا ابن عبد العزيز ولعله رأى ما يوصف به من كونه ثاني العمرين في العدل الحاقا له بعمر بن الخطاب فوضع له رقم 2 بهذا الاعتبار ثم انه لم يذكر فى عدادهم مروان بن الحكم وان كان وضع على مروان بن محمد آخر خلفائهم رقم2 فلعل الاول سقط من الطبع .

43 — فى ص 40 ع ل ترجمة لابي اسمعيل الانصاري من الصوفية قال ان له كتابا اسمه مناجات هكذا بتاء مطلوقة والصواب ربطها .

44 — فى ص 43 ع نى تعريف بتفسير البيضاوي المسمى انوار التنزيل ، جاء فيه : لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالاعراب والمعاني والبيان ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ومن التفسير مايتعلق بالاشتقاق الخ . فاي تفسير هذا الذي اخذ منه مايتعلق بالاشتقاق . . . ؟ انه تفسير الراغب ، فصواب العبارة ومن تعبير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق ، هذا واصل التعريف لصاحب كشف الظنون .

طنجة : عبد الله كنون

نجيب محفوظ

أو الكاتب العربي الذي يكتب عن مجتمعه

للأستاذ : محمد زنيبر

- 3 -

جانب الف ليلة وليلة

اراد نجيب محفوظ أن يصور لنا حياة اسرة مصرية والتطورات التي طرات على اجيالها الثلاثة منذ بداية القرن العشرين حتى أواسطه . ورغم ان الموضوع عصري يتعلق بابناء زماننا ، فاننا نجد في ثنايا فصول الرواية نفحة من الف ليلة وليلة ، كما اشرنا من قبل الى ذلك .. ولعل بعض القراء يستغربون مثل هذا الاكتشاف ويستبعدونه ، محتجين بأن الف ليلة وليلة مجموعة من القصص تعتمد على الخوارق والغرائب والمصادفات العجيبة بينما نجيب محفوظ يظل قريبا من الواقع يستوحي احداث رواياته من الحياة اليومية العادية ويجتنب الانغمار وراء الخيال الراكض .

لكن هذا الاعتراض لا ينبني فى الحقيقة الا على نظرة سطحية وعجلى . فاذا سلمنا أن الف ليلة وليلة تحتوي على احداث غريبة بعيدة عن المالوف ، فاننا لا ننسى مع ذلك أنها تصور لنا جوا اجتماعيا تجري فيه تلك الوقائع . ففيها صور مختلفة عن تقاليد المشارقة ومشاعرهم ومثلهم ، بحيث نرى كيف يتصورون السعادة في الحياة وما هي الاخلاق التي يحمدونها في المرء وما هي العيوب التي يمقتونها ، وكيف يتصورون حياة الانس ، وما هو الحب الحقيقي، وما هي روح المخاطرة ، وما هو الكرم والشجاعة ، وما هو الغدر والخيانة ، الى غير ذلك من المعلومات التي لاتدخل تحت الحصر . فالف ليلة وليلة قبل ان تكون سرد احداث ، جو عميق ، ساحر ، قوي بألوانه وانغامه وعطوره .

وهنا لست أرى من غير المفيد أن أورد فقرة من فصل ممتع كتبه « اندري جيد » عن الف ليلة وليلة حيث يقول ،

« في الف ليلة وليلة ، كما في التوراة ، يبرز لنا شعب باكمله ويكشف لنا عن حقيقته ؛ والقصة ليس لها اي صبغة ادبية شخصية ، اللهم الا ما كان من الفقرات الشعرية التي تدلنا على ان رجلا كان يتغنى هنالك . فالقصة صادرة من صوت الشعب نفسه . فهي كتابه وكل كتبه . وهي أدبه وحاصل علمه » .

هذا الجو الخاص الذي تنقلنا اليه الف ليلة وليلة هو الذي نجد له آثارا واضحة في ثلاثية نجيب محفوظ . وحيث كان النقد الادبي يعنى بصورة خاصة بالبحث عن المؤثرات التي انطبع بها الكتاب فى مؤلفاتهم ، فلا بد لنا من الوقوف عند هذه الظاهرة نحللها ونقدم عنها امثلة ونبحث هل كان هنالك تأثر حقيقي ام تلاق فى خط واحد كما يحدث أحيانا .

عند ما تثير في نفوسنا قراءة الثلاثية اصداء من الف ليلة وليلة ، لا نشعر بأن الكاتب اندفع نحو المحاكاة والتقليد . بل انه يسير في اتجاه طبيعي ، تلقائي مرتبط مع حوادث القصة . ومن حين لآخر ينبع مشهد او حوار او تصوير يذكرنا بالف ليلة وليلة ، دون ان يكون التشابه ماسا بالجزئيات او بسير الاحداث ، ولكنه يتصل قبل كل شيء بالنوع والجو .

ونحن لو اردنا ان نبحث عن اوجه الشبه باحاطة واستقصاء ، لوجدنا لها مواطن كثيرة . ولكن سنقتصر

في هذا المقال على بعض اللمحات ، مكتفين بوضع الاساس لبحث يكون اكثر تدقيقا وشمولا .

يظهر لنا الالتقاء بين ثلاثية نجيب محفوظ والف ليلة وليلة في بعض الفصول الغرامية . ففي قصة السيد احمد عبد الجواد مع زبيدة العالمة ، مثلا ، ثم مع زنوبة العوادة ، ندخل في جو وحوار وشعور ومواقف تذكرنا آنا بقصة الحمال مع البنات وطورا بحكاية مزين بغداد وآخر بقصة دليلة المحتالة .

ولنورد هنا فقرتين تتعلقان بأول لقاء بين المتحابين في المتجر ، الاولى من الثلاثية والثانية من الف ليلة وليلة

ففي الثلاثية نجد التاجر السيد أحمد عبد الجواد جالسا في متجره اذ تقبل زبيدة العالمة أي المغنية بالاصطلاح الشعبي .

« وقطع عليه افكاره وقوف « حانطور » امام مدخل الدكان فمد بصره مستطلعا فرأى العربة وهي تميل ناحية الدكان تحت ضغط امرأة هائلة مضت تغادرها في بطء شديد على قدر ما تسمح طيات لحمها وشحمها وقد سبقتها الى الارض جارية سوداء . فمدت لها يدها لتعتمد عليها في اثناء نزولها . وكالمحمل وقفت مليا وهي تتنهد كأنها تستجم من عناء النزول ، وكالمحمل راحت تتمايل وتخطو الى ناحية الدكان بينما علا صوت الجارية في لهجة شبه خطابية لتعلن عن مولاتها :

ــ وسع يا جدع انت وهو للست زبيدة ملكة العوالم

وندت عن الست زبيدة ضحكة مسجوعة وقالت تخاطب الجارية بلهجة تنم عن زجر كاذب :

ــ الله يسامحك يا جلجل ... ملكة العوالم مرة واحدة ! .. هلا عرفت فضيلة التواضع !

وهرع اليها جميل الحمزاوي مفتر الثغر عن ابتسامة عريضة وهو يقول :

ــ اهلا وسهلا ، كان حق علينا ان نفرش الارض بالرمل ..

ونهض السيد وهو يتفحصها بنظرة تنم عن دهشة وتفكير ثم قال متمما تحية وكيله :

ــ بل بالحناء والورد . ولكن ما حيلتنا والحظ يقبل اذا ما اقبل غير مسبوق ببشير .

ورأى السيد وكيله وهو يتجه الى كرسي ليأتي به ، فسبقه اليه بخطوة واسعة بدت كالوثبة ، فتنحى الرجل جانبا وهو يداري ابتسامة . وقدم السيد لها الكرسي بنفسه وهو يومىء براحته مرحبا كأنه يقول لها « تفضلي » ...

وشكرته المرأة بابتسامة من وجهها الذي اسفر حسنه بغير حجاب . وجلست وهي تشع بزوافها وحليها نورا ، ثم التفتت الى جاريتها وخاطبتها قائلة وهي تعني بالخطاب غيرها :

ــ الم أقل لك يا جلجل انه ليس ثمة ما يدعونا للتخبط هنا وهناك لابتياع حوائجنا وعندنا هذا الدكان الفاخر ؟

فأمنت الجارية على قول سيدتها قائلة :

ــ صدقت كعادتك ، ياسلطانة ، لماذا نذهب بعيدا وعندنا السيد الكريم احمد عبد الجواد

فتراجع رأس الست كأنما هالها ما صرحت به جلجل والقت عليها نظرة استنكار ثم رددت عينيها بين السيد والجارية لتشهده على استنكارها وقالت وهي تداري ابتسامة :

ــ واخجلتاه ! ... حدثتك عن الدكان ، يا جلجل لا عن السيد احمد

وشعر فؤاد السيد الذكي بالجو الودي الذي ينفثه حديث المرأة ، فاندمج فيه بغريزته المتوثبة وتمتم باسما :

ــ الدكان والسيد احمد شيء واحد ياسلطانة .
فرفعت حاجبيها في دلال وقالت بعناد لطيف :

ــ ولكنا نريد الدكان لا السيد احمد ...

ــ قضى الله جلت حكمته ان يكون الجماد اسعد حظا من الانسان .

فقالت بلهجة ذات معنى :

ــ اراك تقالي ، لن يكون الجماد اسعد حظا من الانسان ، ولكنه كثيرا ما يكون اجل فائدة .. »

ويمضي الحوار على هذا النسق . فيذكرنا بدور الدكان والتاجر في كثير من مغامرات الحب التي تزخر بها الف ليلة وليلة . ويكفي هنا ان نورد الفقرة التالية المأخوذة من قصة الخياط والاحدب ، حيث

ترى شابا تاجرا اتى الى مصر ببضاعته وباعها للتجار بالنسيئة على يد الصيرفي وصار يأتي الى دكاكين التجار عند حلول اجل القبض . ولننصت اليه يروي لنا ما جرى له :

« ذهبت الى دكان تاجر يقال له بدر الدين البستاني فلما رآني رحب بي وتحدث معي ساعة في دكانه . فبينما نحن كذلك واذا بامراة جاءت وقعدت بجانبي وعليها عصابة مائلة وتفوح منها روائح الطيب . فسلبت عقلي بحسنها وجمالها ورفعت الازرار ، فنظرت الى احداق سود . ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها . فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبي . فقالت لبدر الدين :

« هل عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب ؟ فاخرج لها تفصيلة . فقالت للتاجر: « هل آخذها واذهب ، ثم أرسل اليك ثمنها ؟

فقال لها التاجر :

ــ لايمكن ، ياسيدتي ، لان هذا صاحب القماش وله علي قسط .

فقالت :

ــ ويلك ، ان عادتي أن آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم واربحك فيها فوق ما تريد ، ثم أرسل اليك ثمنها .

فقال :

ــ نعم ؛ ولكني مضطر الى الثمن في هذا اليوم . فاخذت التفصيلة ورمته بها في صدره وقالت :

ــ ان طائفتكم لا تعرف لاحد قدرا . »

ثم قامت مولية وظننت ان روحي راحت معها . فقمت ووقفت وقلت لها :

ــ يا سيدتي ، تصدقي علي بالالتفات وارجعي بخطواتك الكريمة .

فرجعت وتبسمت وقالت :

ــ لاجلك رجعت . »

ونجد موقفا مماثلا في نفس القصة في حكاية الشاب المقطوع الابهام وفي قصة علي بن بكار مع شمس النهار وغيرها من قصص الف ليلة وليلة .

ولا يقتصر هذا التشابه على قصة السيد احمد عبد الجواد مع زبيدة العالمة . بل هناك فصول أخرى تتعلق بمغامرات غرامية ثانية ، مثل قصة السيد احمد عبد الجواد مع زنوبة العوادة ، وهي تصور لنا كيد النساء على غرار ما نشاهد في قصة دليلة المحتالة وزينب النصابة . وكذلك المغامرات المتتالية التي عاشها ياسين مع ام مريم ، ومريم وزنوبة ، ففيها تحليلات نفسانية تذكرنا في كثير من الاحيان بما نقراه في الف ليلة وليلة من تصوير لنشوء عاطفة الحب في قلب بطل لازال في ريق شبابه .

بيد انه من الواجب الاعتراف بان نجيب محفوظ تناول موضوع الحب من جهات مختلفة ونظر اليه نظرة موسعة ومتنوعة ، فاذا كانت الامثلة التي اوردنا تنبيء عن تقارب مع الف ليلة وليلة ، فهنالك امثلة اخرى تنم عن تصورات اخرى لعاطفة الحب . ويكفي ان نذكر منها تلك القصة العجيبة ، التي افرغ فيها الكاتب مجهوده الفني ، قصة حب كمال مع عايدة . ففيها صورة لهذا الغرام العصري الذي بدا يعرفه الشاب الشرقي وهو في صراع بين التقاليد القديمة والنزوع الى الانطلاق والانعتاق .

على ان الالتقاء بين الثلاثية والف ليلة وليلة لا ينحصر في المواقف الغرامية وحدها ، بل انه يتجاوزها الى مظاهر مختلفة من الحياة . وهو يبدو في ثلاثة مواقف تبلغ في عمقها اختيارا ميتافيزيقيا .

واول هذه المواقف الاستسلام للقدر . فاذا القينا نظرة عامة على الف ليلة وليلة ، نجد ابطالها يعيشون في عالم كله اسرار وخبايا ، عالم متفتح على سائر الممكنات ، فهم لا يعرفون في صباحهم ماذا سيلقون في مسائهم . وهم يسيرون في طريقهم منقادين سلفا لما ستجابههم به الاقدار ، فلا الحادث السعيد يدهشهم كثيرا ، ولا المصاب الاليم ينزع عنهم الرغبة في الحياة . الصعود الى القمة السميكة او النزول الى الحضيض الاوهد كلاهما امر مقبول ومنتظر ، لان الحياة كلها ساعات تختلف عن بعضها ، وكل شيء يعاد فيها . فكم مرة عاين السندباد الموت ، وكم مرة اضاع كل شيء وعاد فقيرا ، وكم مرة عاد فركب البحر بعد ان قاسى من اخطاره واهواله ، ولكنه بعد كل هذا يدرك السعادة والالتقاء بالاحباب والغنى.

ونحن نجد شيئا من هذا الجو في ثلاثية نجيب محفوظ ، فهذه الجماعة التي تحيط بالسيد احمد

عبد الجواد وتسمر معه ، كلها تعيش في نوع من الاستسلام . انها قانعة مرتاحة من الكيفية الروتينية التي تعيش عليها ، لاتحاول ان تغير منها شيئا . وحتى اذا دبت في عروقها حمية الوطنية ، فهي لا يتجاوز شعورها حد الكلام والتعليق الساذج ، بل تظل ترقب الاحداث من بعيد في لون من الفضول البريء دون ان تحاول التأثير عليها . وامينة زوجة السيد احمد عبد الجواد هي ايضا تعطينا صورة فريدة من الاتكالية المطلقة في دؤوبها اليومي وفي التفكير في مصالح اسرتها وفي مواجهة الاحداث العائلية على اختلاف انواعها .

والموقف الثاني يتعلق بالاقبال على الملذات الحسية التي تهبها الحياة من طرب وشراب وهيام بالجمال . وما الف ليلة وليلة الا انشودة طويلة او ملحمة صيغت لتشيد بملذات الدنيا وزخارفها ، مما اكسبها شهرة جعلها مضرب الامثال في هذا الباب . وفي الثلاثية ، نرى حياة اللذة تملا خيال عدد من ابطالها فتصير هي هدفهم الاول ومفزعهم الاخير . فالسيد احمد عبد الجواد ورفاقه لايجدون انفسهم الا في تلك الساعات الليلية التي يخلون فيها لبعضهم، فيسمرون في طرب وشراب وتبادل النكت ، وكأنهم توصلوا الى غايتهم القصوى . ونخرج بنفس الانطباع ونحن نتتبع ياسين الابن الاكبر لاحمد عبد الجواد ، في مغامراته وحياته اللاهية .

والموقف الثالث يتمثل في التشبث بالدين والفزع اليه كلما الت مشكلة او نزلت شدة . بل ان الدين يقوم يوميا بدوره في تطهير النفوس من الخطايا والآثام المرتكبة . فهو يتيح للابطال المتدينين العودة في كل وقت الى بداية جديدة قد يرون فيها نقطة انطلاق نحو سيرة اكثر سموا وروحانية ، ولكن سرعان ما تخور العزائم امام المغريات ، فتتكون الصورة وهكذا دواليك . فالقاعدة الوحيدة التي تتصف بشيء من التحديد والمنطق في هذا العالم الذي تجرفه الاهواء والعواطف والشهوات ، هو الدين بأوامره ونواهيه . ولذلك تجده يحظى بحرمة لا تتناهى . ويترك الباب دائما مفتوحة للتوبة والعودة الى الصراط المستقيم ، مما يسهل على العاصي ان يوغل في عصيانه ، ما دام سيلتحق في يوم ما بركب المؤمنين التائبين . وفي هذا الباب ايضا نجد بعض التقارب بين الثلاثية والف ليلة وليلة . فالسيد احمد عبد الجواد عندما يجلس في بيته وبين ذويه يضع حياته اللاهية بين قوسين ويرجع للعبادة في خشوع وايمان واخلاص . ولا تشعر في هذا التقلب بوجود قطرة من نفاق او تصنع، بل هو عودة طبيعية الى سلوك يؤمن به ويجله وانما ينحرف به عنه كل يوم طغيان الهوى وسلطان الشهوة .

والواقع ان التشابه بين « الثلاثية » و « الف ليلة وليلة » يكمن في تصوير هذا الجو المليء بالمتناقضات الذي يتحرك فيه ابطال الروايتين . واذا كان التناقض البشري لا يخلو من اي رواية ، فانه هنا يكتسي صبغة خاصة ، لانه تناقض لا يخلق اي اي مشكلة داخلية او موضوعية لاصحابه . فهو تناقض بريء لان الذين يعيشون فيه لا يكادون يشعرون به ويتجاوزونه في هذا القرار الذي اجمعوا عليه بكيفية لا شعورية ، الا وهو ارادة الحياة .

تلك بعض اللمحات المقتضبة عن مواطن الالتقاء بين الف ليلة وليلة والثلاثية . ويحق لنا بعد هذا التحليل ان نلقي على انفسنا سؤالين : الى اي حد يمتد هذا الالتقاء في رواية نجيب محفوظ ؟ وما هو السبب الحقيقي لهذا الالتقاء ؟

في مقدورنا ان نجيب الآن على السؤال الاول تاركين الثاني الى مقال مقبل . اننا عندما نتحدث عن الالتقاء ، فلا ينبغي ان يفهم من ذلك تشابه كلي يجمع بين الروايتين في سلك واحد . بل ان التشابه ينحصر في نقط معلومة وفصول معينة وهي التي حللناها في هذا المقال . والثلاثية لا تقف عند هذا الحد ، بل هي تصور لنا اجواء واحداثا ومشاكل اخرى تبتعد بنا عن محيط الف ليلة وليلة لتعود بنا الى العصر الذي نعيش فيه . كما انها تقدم لنا نوعا آخر من الابطال لا ينسجم في شكله وصفاته مع ابطال الف ليلة وليلة؛ لانهم يمثلون هذا الجيل الجديد من شباب الشرق الثائر على القيم القديمة والمتعطش لقيم جديدة .

واذن ، فالتشابه نسبي ، ولكنه ، على نسبيته ، ذو اثر عميق .

سلا : محمد زنيبر

هل خير للعالم العربي أن يتجه الى العلم او الى الادب ؟

للدكتور : زكي المحاسني

بدات بالادب ثقافة الانسان ولم تبدأ بالعلم ، فهو منذ استهلال الخليقة ، حين سكب الخالق في اعصابه الشعور ، وفي عينيه النور ، استجاب لمفاتن الطبيعة ، فغنى كالطير بايدي النسيم ، وحين اخذ يفيد من شعوره ويحس بنوازع قلبه ، قال الشعر على انغامه التي ابتدعها . وبهذا يقول نقاد الادب المعاصرون في مولد الادب . ولا يخالفهم علماء الاجتماع الذين يتخذون من الامم البدائية العائشة في عصرنا اشباهاً ونظائر للامم البدوية الغابرة والسحيقة . فعند هذه الاقوام الجوالة البوهيمية آداب فيها شعر وقصص وفيها اساطير وفأل ، وفيها رقص عجيب وموسيقى بارعة . وقد راح الادب يغري الشعوب كلها في الشرق والغرب لانه كان سبيلا الى تفتح المشاعر ، وتألق الخواطر ، وكان مرآيا تنعكس عليها هواجس الافكار ، وسوانح القلوب .

اما العلم فان الفلاسفة يثيرون قضيته منذ بدء الخليقة ايضا ، فيقولون ان الانسان منذ كان على الارض التفت التفاتة علمية . اي تساءل عن علل الاشياء تساؤلا ساذجا . وكانت مرحلة هذا التساؤل بعد ان علل الانسان العوامل الطبيعية تعليلا دينيا واعتقاديا ، فنسب الى الآلهة ظواهر الحادثات في الكون . وبعد العلماء بدء العلم من اداة الاستفهام (لم ؟ كيف ؟ وماذا ؟) .

ان اداة الادب النظرة الطابعة والحس المنسرح والخيال المجنح ، واداة العلم العقل الواعي والفكر المبدع ، وقد اختلفا بالوسيلة فيسرها الزمن للادب ، حتى لم يكن للادب الا ان يغمس القلم بالمداد ، ويملأ الطرس بالسواد ، ليجيء منه الادب . وليس امام العالم هون ولا سهولة ، فلا بد من الحديد والنار ، والمرجل والدولاب . ونهاية جولة الادب استراحة في كتاب . ولا اجد للعلم نهاية يستريح فيها ، الا ضجيج المعامل ، وقرقعة الآلات .

ومضى الادب يشق طريقه خلال العصور ، مخلفا وراءه العلم في تاريخ المعارف الانسانية . ان اليونان عاشوا طويلا يقولون الشعر ، ويلعبون التمثيليات ويقلبون المعارف ، قبل ان يصلوا الى اختراع النار الفريغورية ، يرمون بها حصون اعدائهم، عن مقاذف المنجنيق .

وكذلك كان شأن سائر الامم التي تحضرت ، ورقيت ، ووصلت بعد ادبها الى آفاق العلم ، حتى ادركت القرن التاسع عشر . وكان هو وحده المصر الاعظم الذي حمل الانسانية مجموعة كبرى من الحضارة العلمية ، بوفرة ما اخترع فيه . بل كانت قوة البخار والكهرباء هي اجل الامور الحديثة ، في حياة العلم المعاصر ، حتى كان عصرنا هذا ، وانطلقت فيه القوة الذرية من معاقلها ، ليكون مصير العالم رهنا بها ، اما الى العمار ، واما الى الدمار .

اما اين يكون العرب من كل ذلك ، فهو ما اقول هذا المقال من اجله ، فهم قد وفوا قسطهم او زادوا عليه في حياتهم الادبية ، منذ اقدم شعر في الجاهلية الى ايام شوقي . وشاركوا في تراث الامم بالثقافة الروحية مشاركة شاملة حتى عد ادبهم من الآداب الحية الراقية ، بل كان في الرعيل الاول من الآداب الاممية الخالدة . ولكن اين علمهم ؟ ان لهم علما قديما افادت منه الامم في كبواتها ، يوم كان العرب في قمة مجدهم . فقد خدموا الطب والفلك والصناعات ،

وكانوا في ذلك من أساتيذ النهضات العلمية في اواسط العصور . لكنهم في عصرنا هذا الذي هو عصر التسابق العلمي بين الامم ، ما زال علمهم تالبا او تابعا ، بل أكاد أقول لا علم لهم ، بالمعنى المصطلح عليه في هذا العصر لكلمة العلم .

كان الفيلسوف امين الريحاني يرحمه الله اول عربي قال هذه الكلمة الواعية الثائرة في صدر هذا الزمان : « انا الشرق ، عندي فلسفات وعندي قصائد ومعلقات ، فمن يبيعني بها دبابات وبواخر وطيارات ؟ »

كذلك أثير قولة قالها الريحاني ، ذلك المفكر الذي انضم الى صف الادباء ، وكان يتوق ان يكون عالما ، لكنه كان مثل نطاسي وضع يده على جرح العرب في عصرهم الحديث . افهمهم بأسلوبه السافر اللاذع ، ان عليهم ان يستيقظوا ، فقد كفاهم التطواف في آفاق الادب ، وحدائق الشعر . وعليهم ان يجتازوا اليوم الى معامل العلم ، ومختبرات الصناعة .

واحسبهم الان ، مؤثرين لهذه الآفاق ، وتلك الحدائق ، لانهم وجدوها أقرب لارواحهم وأوفق لطباعهم الشرقية . ولقد استساغوا الادب بأشتات فنونه ، ومباهج تلاوينه . فلو احصينا عدد شعرائنا وكتابنا منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم ، لوجدنا كل مائة شاعر او اديب يقابلهم عالم واحد .

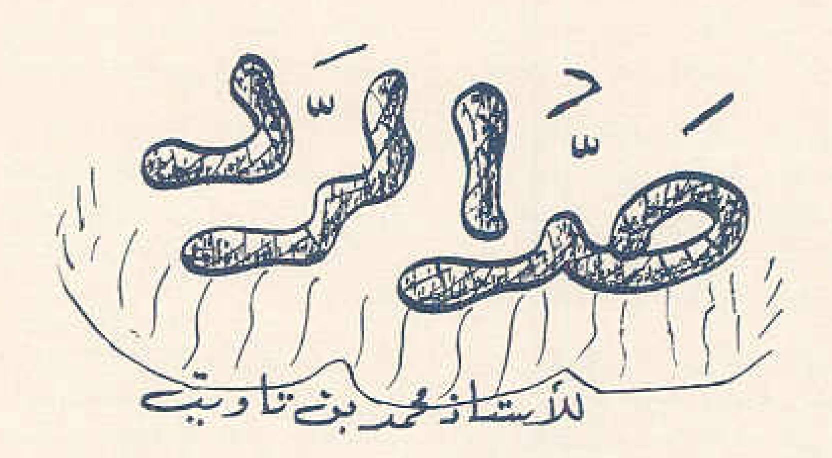
وهؤلاء العلماء لم يكن لاحد منهم حتى اليوم فضل في اختراع آلة عالمية ، الا ما ندر من براعة الاطباء بينهم ، فان لقليل منهم الفضل في اكتشاف عقاقير نافعة . ولا يجد المتبحر في علم الاجتماع مهما يغفل في تبحره ، تعليلا صحيحا لمحبة الشرق للادب وتفاني الغرب في العلم . هل هو امر من عوامل البيئة ؟ ما ارى ذلك . فان العرب الاندلسيين ، وكانوا في الشرق ، لم يغير الغرب منهم شيئا . بقيت مشاعرهم شرقية وبقي شعرهم أمويا وعباسيا . وهل هو الدم ؟ وكذلك لا اقول بالدم ، في هذا الامر ، فان الساميين ومنهم العرب ، اهل ادب ، وكذلك اجد الآريين . فهذه الهند وفارس والصين ، كلها تموج في محبة الادب والفلسفة ، وتكاد تكون هذه النوازع في أعراقها مخلدة . اذن لم يبق أمامي الا ان اقول ان على العرب ان يبدلوا تكوينهم العقلي ، ومزاجهم الروحي ، ان كان في طوقهم ذلك ليصلحوا لما صلحت له الاقوام الغربية العالمة ، مع رعايتها للآداب ، حملة مشعل العلم صعدا في تاريخ الانسانية الحديثة . ولا بد في ذلك من تغيير المفاهيم العقلية على نحو يتلاءم مع زماننا وما تقتضيه العصور القادمة . وأول ما ينبغي تبديله من مفاهيمنا العقلية ان لا ننساق مع طبائعنا ، التي الفت الخيال وتجافت عن الواقع . وان نفهم معنى القوة فهما مكشوفا .

وهو يتلخص في ان الارض يرثها الاقوى . والى هذا اشار القرآن الكريم في معنى الآية بأن الارض يرثها العباد الصالحون للحياة . وفي القرآن زواجر واوامر لو اتبعها العرب اتباعا حرفيا لكانوا اليوم سادة البر والبحر وبأيديهم مقاليد الهواء . ففي قول القرآن « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » أمر بالتسلح الحربي الدائم والسعي لتكون أمتنا في اول الامم قوة وعدة وسلاحا .

وما كان يجوز للعالم العربي ، وهو اليوم في بحران من المخاطرات والصدمات ان يغفل عن قيمة العلم الذي به وحده تكسب المعارك ، فلقد مضى الزمن الذي كان الادب فيه وسيلة الدفاع عن حوزة الوطن ، ولقد كان ادبنا يقف مشاهدا امام الحادثات ، فما عرف تاريخنا عهدا كان فيه ادبنا مجددا من اجل نهضة أو بعث ، بل كان على الدوام مثل مهر جميل مربوط ليجري وراء فرس السياسة .

وليست هذه دعوة مني الى هجران الادب واهماله ، والعكوف على العلم فحسب . فالادب حلاوة الاذواق الرفيعة وبلسم القلوب الكليمة . لكني ادعو الى الانبعاث العلمي الذي نحن بأمس الحاجة اليه ، ليستطيع العرب أن يجدوا لهم مكانا في صف الامم الكبرى التي تملك العالم . ولئن جاز لامريء القيس ان يقول في غابر الدهر ، وقد هم أن يغير مجرى حياته : « لا صحو اليوم ، ولا سكر غدا ، اليوم خمر وغدا أمر » فيجوز لي أن اقول : « لا علم اليوم ولا أدب غدا ، اليوم أدب وغدا علم » .

دمشق : الدكتور زكي المحاسني



لما قرات رد السيد الحلوي على (العناصر القرآنية في قصيدة قفا) خيل الي ان السيد من اولئك الذين يحسبون انهم يناضلون « تحت راية القرآن » كما حلى للرافعي رحمه الله ان يسمي كتابه، على حين ان ذلك ليس كذلك ، نضالا تحت راية القرآن: بل هو نضال مع اولئك الحاملين لهذه الراية المقدسة ، فاعجب لقوم يناضلون تحت راية حامليها والمستميتين في سبيلها (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا)

هكذا خلت الكاتب الفاضل ، مندفعا عن اخلاص حاد ، وغيرة شيبت النواصي واخذت بالاقدام ، وحب لا يرى ولا يسمع ، الا ما رآه وسمعه ، فتمكن من قلبه الخالي ، وعلى هذا فان نضاله لايتعدى ذلك الميدان الشريف ، وسيفه لا يسل الا تقربا من الله اللطيف ، لكني فوجئت حينما وجدت السيد يطاردني ويتعقبني — كما قيل — ايضا في « شواهد الانتحال فى شعر المهلهل » ، فادركت حينئذ ان الكاتب مخلص كل الاخلاص في دحض فكرة الانتحال من حيث هو انتحال او ادعي انه انتحال واجره على الله .

ومع هذا فاني حينما قرات هذا التعقيب او الرد ، شعرت شعورا قويا بحاجة بعض الناس او بحاجتنا نحن معظمين انفسنا ، الى « الموضوعية » . ومن قبل كان شعوري غير قوي فى هذا ، بل ما كنت افهم هذه « الموضوعية » فهمها الحق ، حتى قرات لصاحبنا الحلوي ما قرات ، وايم الله ، « وليس وراء الله للمرء مذهب » كما قالت الجاهلية ، زعموا ...

شعرت بذلك بعمق اولا وبأعمق من العمق نفسه اخيرا او آخرا ، وتخيلت السيد في هذا الرد بالذات « مفتيا » من أولئك « المفتين » الذين يطلبون الطول فى التسطير ، ويطيلون الانفاس فيما لا يستفيد منه الا هم ، وقد رضي عن صنيعهم « المستفتون » فرضوا هم ورضوا عنه ... اما غيرهم والحقيقة المجردة هدفهم ، والحق من ورائهم يحدوهم ، فلا يستفيدون الا صلصلة الكلام ، وجلجلة النقاش أن احتدم ، وما هو في الواقع بنقاش ولا هراش ، ونعوذ بالله من سجع الكهان ...

انا — مع الاسف — من اولئك الذين لا يعجبهم حتى جمال الانشاء ، ان كان هذا الانشاء الجميل قد عرض في غير معرضه . فمسالة العرض والوضع عندي مسالة جوهرية ، وان حسبها غيري عرضية ، واعتقد انها كذلك فى نظر بعض الناس ...

ولهذا فان مقدمة الحلوي ، كنت ارجو لها أن تكون من روائع الكلام ، لا أن تكون من كلام « الروائع » وكنت ارجو أن تقع مني في معرضها ووضعها الجميل، لاتمتع بهذا الجمال حق التمتع ، لا ان تتبرج امامي « تبرج الجاهلية الاولى » ...

وبالاختصار كنا نريد أن يكون لها محل من الاعراب والاغراب ، حتى يستفيد المستفيد وينتشي المنتشي ، وحتى نكون من هذه « الموضوعية » في محيطها او نحوم حوله على الاقل ، ولا نبتعد عنه فيحجبنا السراب .

ونحن في اطمئنان منا الى مدارك الناس ، واعتماد منا على اذواق ذوي الالباب ، وفيهم السيد الحلوي ، وقد رجع الى تلك « الشواهد » وقراها قراءة تثبت وامعان ، فلا يسجل حينئذ تلك « الملاحظات العابرة » الا بعد أن يستريح ويستعد للعبور ، ان اتعبه ذلك المرور .. — نجد انفسنا مع ذلك مضطرين الى العودة ، لنناقش لا لننافس السيد ...

فهل وضع حقيقة امامه قصيدة المهلهل ، وقابلها حقيقة مع قصيدة الخنساء ، وهي موضوعة امامه كذلك ؟

اما انا فقد فعلت ، واعود الآن فافعل ، ثم استسمح القاريء اذا ما رجوته مرة اخرى ان ينظر فيما بين هذه الابيات ، يقول المهلهل ، فيما زعموا :

اهاج قذاء عيني الادكار
هدوءا فالدموع لها انهمار

وابكي والنجوم مطلعات
كأن لم تحوها عني البحار

وبت اراقب الجوزاء حتى
تقارب من أوائلها انحدار

أصرف مقلتي في اثر قوم
تباينت البلاد بهم فغاروا

دعوتك يا كليب فلم تجبني
وكيف يجيبني البلد القفار

لدى اوطان اروع لم يشنه
ولم يحدث له في الناس عار

ابت عيناي بعدك ان تكفا
كأن غضا القتاد لها شفار

فلا تبعد فكل سوف يلقى
شعوبا يستدير بها المدار

وتقول الخنساء ، وليس في قولها مراء :

قذى بعينيك ام بالعين عوار
ام ذرفت ان خلت من اهلها الدار

كأن عيني لذكراه اذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرار

فبت ساهرة للنجم ارقبه
حتى أتى دون غور النجم استار

تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت
ودونه من جديد الترب أستار

يا صخر وراد ماء قد تناذره
اهل الموارد ما في ورده عار

تبكي خناس فما تنفك ما عمرت
لها عليه رنين وهي مقتار

لابد من ميتة في صرفها غير
والدهر في صرفه حول واطوار

وبعد هذا نسائل القاريء : الا ينظر هذا الشعر بعضه الى بعض ؟ ام الامر فيما بينهما من عفو الصدف؟ اما انا فاجيب ببلى ، في الاول ، وبكلا ، في الثاني. ولا يصل بي حسن الظن الى ان اقول بوقع الحافر على الحافر ، كما يقول القوم ، ولا ان ذلك وقع قضاء وقدرا ، كما يقول الاتراك ...

وانما أقول بما قلت به ، وبأن النظر كان من هذا « المتهلهل » الى الخنساء ، ولا يمكن ان يكون العكس، اذ الخنساء معروفة في التاريخ بهلعها الصادق ، وبشعرها الذي كان يقبل عليه حتى النبي عليه السلام ، ويستزيدها منه بهيه يا خناس ...

ولم تكن خناس هذه وهي الصادقة في حزنها ، لتبكي بدموع غيرها وتتظاهر بجزعه في تعبيراتها . ولو فعلت وكان حقيقة قد قيل ما قالت ، لما سكت عنها النقاد ، وفيهم عمر وحسان ، وعشرات من عمر وحسان وغيرهما من المشركين قبل المسلمين .

على ان ظاهرة السرقات لم تظهر تماما الا في اواسط العصر الاموي ، وازدادت قوة ظهور في العصر العباسي ، لان السرقة التي تدعو اليها الحذلقة انما تتجاوب اصداؤها في الحضارة التي يقلد فيها الناس وتجتر فيها الفنون ، اما في البداوة فلا . وما قصد القوم الى ذلك في قولهم : « ان هذا الا أساطير الاولين » ، ولا كانوا بتلك البداوة التي كانت عليها الخنساء واضرابها .

وبقي الرجوع الى الابيات المهلهلة والامعان فيها بما سبق ان امعنا به ، وباكثر مما امعنا به .

وما زلنا عند القول بأن « لا تبعد » من تعبير النساء في اصلها ، وانها تنافي صدورها عن رجل ، خصوصا في وقت عاشه المهلهل ، كما يقول اصحابه ، وقت ما كانت الكلمة حية في دلالتها ، فطرية في لغتها ، او قريبة من ذلك

كانت الزوج تقول لبعلها « لا تبعد » عندما يهم بمغادرتها في سفرة ينوي العودة منها ، ومن شأنه في الاسفار التي ينوي العودة منها ، ان يترك قعيدته في بيتها ، فتودعه « لا تبعد »

ولا شك ان السيد الحلوي متزوج ، ولا شك انه قد سمع شيئا كهذا من حليلته وهو يودعها في سفراته

نعم : هكذا كان التعبير في اول الامر ، ولما ارتقت الاذواق وعز على الازواج الفراق ، جنحن الى اعتبار هذا الفراق الابدي فراقا معتادا لهن في تطواف بعولتهن بهذا العالم وعودتهم اليهن ، فودعن من فارق

هذه الحياة الفانية وارتحل الى عالم البقاء ، بما كـن يودعن بـه في عالم الفنـاء ، « لا تبعـد » واصبحت الكلمة تقال في الموت ، وتقال من المراة للرجل خاصة ، وما سمعت لهذا ولا قرات « لاتبعـدي » خطابا مـن رجل او امراة لامـراة .

كما اني لا اتصور من رجل يقول لآخر فى وداعه ما معنى هذا ، واتصوره كل التصور ، وسمعته مرارا من غير الرجل للرجل ، وكنته وانا الرحلة النقلة .

وما بال السيد الحلـوي يغض الطرف عما ورد فى اختيارات أبي تمام لابيات حماسته ، ومنها البيت الـذي سكت عنـه عمـدا :

ما كان ينفعنـي « مقـال نسائهـم »
وقتلـت دون رجـالها لا تبعـــد

اما اولئك الرجال الذين اتى بهم الكاتب الفاضل، فاننا حتى لو سلمنا لهم ذلك التعبير ، وهم متاخرون عن عصر المهلهل بمآت من السنيـن ، فان كـل ما في الامر ان التعبير وقد استعمل فى وداع الميت تنوسي معناه الوضعي ثم التنزيلي المجـازي وفقدت العبـارة حرارة معناها أو كـادت فلاكها ابو حنش الهلالـي والرياحي وابو نواس وابو العتاهية والبحتري ، وادى لنا عنهم ذلك كاتبنا الفاضل والزمنا اياه ، وسكت عما عداه ، ولو استفتى ادراكه وأنصف مواهبه لـسكت عن هذا ايضا ، وكان سكوته انفع واجدى من سكوته عن ابي نواس وقد نسبنا اليه بيتا وهو منـه براء ، واذا كان الرجوع الى الصواب فضيلة فاننا نرى من هـذه الفضيلة ان ننبه القراء الى أن البيت الـذي سبق أن نسبناه لابي نواس وهو :

ليس مـن مات فاستـراح بميـت
انمـا الميـت ميـت الاحيـاء

ليس هو من أبي نواس في شيء ، ونسبتنا لـه كانت خطأ محضا ، بل البيت نسب لعدي الغساني

وتسائلني ياسيدي ، اذا كانت العبارة نسوية فى اصلها ، فكيف استعملها غير النساء فيما بعد ؟

والجواب على هذا فى منتهى البساطـة ، فان الامم في فطريتها تختلف تعابيرهـا بيـن الجنسين : رجالا ونساء ، وعلى حسب صعودهـا في مـدارج الحياة المتحضرة في مجتمعها ، تصير هذه الفـروق تختفي شيئا فشيئا ، حتى تلك التعبيرات التي كانت فيها ملحوظات خاصة بجنس دون جنس .

ونجد لذلك التعبير الفصيح تعبيرا شبيها لـه فى عاميتنا الفاسية بالخصوص ، جرى على هذا العامي ما جرى على ذلك الفصيح ، وهو « يشـويني فيـك » كناية عن الدعاء بالموت ، فمن الذي كان يوصف بكونه مشويا فى هذا على فقيده ؟ لاشك انه المراة ، اذ المراة هي التي تصفها بل يصفها جنسهـا ، بانها مشويـة حينما يلذعها الحزن بالامه ، اما الرجل فلا يصـف ولا يوصـف بذلك ، ولكن لما نظر الى المعنى المكنى عنه بهذا التعبير ، صار الرجل يدعو ايضا بما تدعو به المـراة الفاسية « يشويني فيك » وربما وصل هذا التقليـد بصاحبه حتى صـار ينطق الشيـن سينا كمـا تفعلـه السيدة الفاسية .

وهكذا يفعل التقليد حينمـا تضؤل الفـروق ، فالهمزة تنطق همزة والجيم زايا والتاء تهمس ، عنـد رجال كما فعلت نساؤهم وبالعكس ، وقـد اصبحت المراة تزاحم الرجل في عمله وتناكبه فى كفاحه ، فانها صارت تنطق القاف القحة والراء المرعدة ، وعما قريب ينزع هذا الجنس عنه لباس « لطفه » وينازع الجنس الآخر جبة « خشونته » ، بعد ما صار فعلا ينازعه في « البنطلون » و « الجكيط » وغيرهما ...

نعم هكذا تصير الفروق اللغوية الى الامحـاء ، وقد حدث ذلك في كثير من اللغات الحية ، وما اظن الدارسين واجدينهـا فى الانجليزية او الالمانيـة او الفرنسية او الاسبانية فى اغلب اقاليمها

على ان استعمال اولئك الشعراء الذكور لتعبير النساء لا يكون دليلا ، على كونه اصبح للرجال ايضا ، ومن قديم اخذ على أبي تمام أهل البلاغة قوله :

قـد قلت لما لـج فـي صـده
اعطـف على عبـدك يا قـابـري

فقال الامير ابن سنان تعليقا على البيت : « غايـة في السخافة ، لان (قابري) من الفاظ عـوام النساء واشباههـن » .

وهنا اتخيل السيد الحلوي يتصدى فيقول : اذا حصل هذا لابي تمام واخذه عليه الناس من رجـال البلاغة ، فلم لا نجيزه للمهلهل نفسه ، ونقـول انـه استعمل تعبيرا نسويا ، ولا يكون استعماله هذا مـن دواعي الشك في شعره أو ادعاء الانتحال فيه ؟

ونجيب بما أشرنا اليه ، وهو ان عصـر المهلهل ، ان كان هناك مهلهل ، لا يسمح بهذا ، ولكن عصر ابـي

تمام والبيئة التي كان بها ابو تمام ، كلاهما لم يكن يقي الانسان من الانزلاف في مثل هذه المزالق

ونحن لا نفترض الفروض المجردة ، وانما نذوق قبل ان نقول ، وما زالت كلمة شيخنا سيدي العباس بناني ترن في اعماقنا ، اذ كان بعد ما يشرح مسالة عويصة ، يسال تلميذه : ذقتني ؟ فما اجملها من كلمة تركت فينا دويا دونه دوي ابي الطيب في الدنيا .

ولعل السيد الحلوي راى في منامه ردي على رده الاول — قبل ان ينشر وبعد تسليمه لكتابة المجلة — وما ان استيقظ من منامته تلك حتى تناول القلم ، وكتب عبارة ابي هلال العسكري ، وساقها « باللفظ الكامل » كما يقول ، وهي : « وقد أطبق المتقدمون والمتاخرون على تداول المعاني بينهم ، الا اذا اخذه بلفظه كله او اخذه فافسده » .

ونحن لا نرى لزوما لسوق هذا النص ، فنحن « نسلم ان مطلق التشابه في المعاني والتوارد عليها وعلى الصيغ في بعض الاحيان لا يعد اخذا بين الشعراء المتعاصرين بله المتباعدين » ولم نقل بغير هذا ، ولا تعرضنا لهذه القضية في تلك الجزئية ، وقصارى ما فعلنا اننا قابلنا بين النصين ، ولمحنا لاوجه التشابه بينهما ، واحتكمنا في ذلك الى اذواقنا فحكمت بما به رضينا . وبقي أن نستفتي اذواق غيرنا وان نستنصفها في كلمة اصحابها .

اما نص ابي هلال الذي أجهد الكاتب نفسه في الاتيان به ، فله موقع خاص ، ليس وصفيا لما يحدث ، بل حكميا على ما يحدث فعلا أو يمكن أن يحدث ، وبعبارة فانه يصدر الاحكام على حسن الاخذ وقبحه ، فيقول ان المعاني ، كما قال الجاحظ حق مشاع بين الناس ، وأن الذي يعاب بالاخذ من غيره هو من (اخذ التعبير بلفظه كله او أخذه فافسده) . ونحن كما راينا فى واد غير هذا الوادي . .

واظن ان السيد الحلوي (لم يسق) هذا النص من كتاب ابي هلال مباشرة ، والا لوجده في الباب السادس — الذي عقده (في حسن الاخذ وحل المنظوم) وجعله فصلين « الفصل الاول من الباب السادس في حسن الاخذ » — هكذا :

« وقد أطبق المتقدمون والمتاخرون على تداول المعاني بينهم ، **فليس على أحد فيه عيب** ، الا اذا اخذه بلفظه كله أو أخذه فافسده »

واذن فالمسالة مسالة « حسن الاخذ » و «عيبه» وعبارة « ليس على احد فيه عيب » بها يستقيم النص ويسلم من التشويه الذي طلعت علينا به خلقته في التعقيب . ولا نتهم الاخ الحلوي بانه تعمد ابعاد هذه العبارة قصد تحريف الكلم وانما نقول انه لم يرجع الى « الصناعتين » مباشرة ، او انه رجع الى نسخة عنده مشوهة محرفة مصحفة ، اعاذنا الله من خبثها.

ولسنا في حاجة الى الادب المقارن حتى ندرك « وحدة الشعور وادراك المعاني بين مختلف الامم والاجناس » ولا ان ننساق مع الكاتب حتى نصل الى ما نقل عمن قال لدعبل يوما وقد كان يتهم ابا تمام بالاخذ منه : « ان كان سبقك ابوتمام بهذا المعنى فتبعته فما احسنت ، وان كان اخذه منك فقد اجاد وصار اولى به منك » .

فما سجله الادب المقارن هنا قد لز في قرن هو وابناء اللبون من المتعلمين ، وأما ماقاله مخاطب دعبل فقوله فى واد! وقولنا كان فى واد آخر ، وكان منتظرا من الكاتب الا يزج به في هذا المضيق ، والنص هذا ايضا وما تلاه هو وما اتصل به اتى به ابو هلال في نفس الفصل الذي خصصه لحسن الاخذ ، اي انه في الفصل الاول من الباب السادس المذكور

وليعفنا الكاتب مما بسطه بعد هذا ، فالله يعلم اننا في غنم من ذلك ، وان كلامنا لم يكن كذلك . .

ونقول ان « مطلق التشابه في اللفظ او المعنى بين شاعرين لا يجيز لاحد الحكم بأن احدهما ماخوذ من الآخر » وما قلنا غير هذا حتى نلزم القول بهذا ونرجع عن ذلك ، وخير الكلام ما قل ودل ، والطبع موكل بمعادة المعادات .

وقلنا ان الابيات المعينة التي ادعيت للمهلهل ، انما هي ماخوذة من قول الاعشى أو الخنساء أو فلان او علان ولم نعكس فنقول ان هؤلاء اخذوا من المهلهل، وقد تقدمهم بقرن ونيف كما يقول اخونا ، للاسباب التي ذكرتها ولا داعي لاعادتها بالذكر

ولسنا على جهل من ان المدار ما يجري أو يدور عليه الامر ، ولكننا نقول ان التعبير « يستدير بها المدار » تعبير علمي في أصله ، وليس اشبه بقولهم «دارت عليهم الدوائر» ، فدارت الدوائر غير « يستدير بهم المدار » ، وقد عرف « العاملون عليها » ثم « العمال » ولم تعرف آنذاك « العمالة » ، وعرفت كلمات الحكم والحكم والحاكمين ، والحكام والحكيم والمحكمة (اسم مفعول) اما المحكمة فلم تعرف الا في

العصور الحديثة ، وكذلك المكتب والمكتبة لم يعرفا الا بعد كتب والكتاب بزمن طويل ، واما المطار والمحطة والمخبز والمطعم وما شابه هذه فلم يعرف الا بعد آلاف السنين من الطيران والحط والخبز والطعام (*)

ولهذا فوجود دارة الدائرة او الدوائر ليس حجة على وجود « يستدير بها المدار » فالكلمات حبالى لا تلد الا عندما تزف ساعة الطلق مثل غيرها من الاحياء ، وهذه لا تكون الا عند ما يحس الناس بزحمة الحاجة ، وما اكثر ما عندنا من كلمات حبالى منذ آلاف السنين ، وهي تنتظر اليوم الذي (يسهل) الله عليها فيه ، فتضع مولودها او مواليدها ...

ونستغرب استغرابا يشدهنا حينما يتحفز السيد ليرد على تعليقنا حول هذا البيت :

تكب القوم للاذقان صرعى
وناخذ بالترائب والصدور

قلنا فيه : قال تعالى « يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للاذقان يبكون » لاحظوا في هذا الاستعمال ان اللابمعنى على ، وحاولوا ان يثبتوا ذلك ببيت ادعوه – منتحلين – لامرىء القيس من قصيدته « قفا نبك » ، فقالوا :

فاضحى يسح الماء حول كتيفة
يكب على الاذقان دوح الكنهبل

واترك للقارىء ان يتصور للادواح اذقانا

وقال تعالى : « يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والاقدام » وقال : « من بين الصلب والترائب » فبعيد جدا ان يكون هذا غير متعمل في البيت الواحد ، الذي جمع استعمالين قرآنيين وكلمة لغوية كذلك

هذا ما قلناه ، اما السيد الحلوي ، فقد استل سيفه الخشبي ، وجعل يلوح به وكانه «دون كشوط» يقاتل الاشباح ونسب الينا قولنا لم يكتف هؤلاء المنتحلون بما اخذوه من الشعراء ، فعمدوا الى القرآن واخذوا منه المعاني ثم صاغوها ونسبوه اليه » الخ الخ ويدبج هذا بالشواهد الدائرة وغير الدائرة ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ويكون مسك الختام تعليقا على قولنا : « ان الانتحال هنا (في شعر المهلهل) لم يكن له من داع الا الناحية الفنية فى القصة ، لسد ما كان فيها من فجوات، كان لا بد للشعر ان يتحمل عهدتها ففعل (و) لا يفهم من القصة ما هي عليه الآن ، بل كانت عنصرا هاما في كتابة التاريخ ، ولهذا نجد اغلب شعر المهلهل فى كتاب الكامل لابن الاثير ؟؟؟) فنتناول شعر المهلهل الذي تشبه قصته الى حد ما قصة سهراب ورستم : الواردة في الشهنامة »

ان يقول السيد الحلوي : فاين هي هذه الثغرات التي اضطلع الشعر بسدها في قصة الرجل التي امتدت مع حرب دامت مناوشاتها أربعين سنة ، وأني لبيت (كذا) منتحل من الشعر أن يسد فجوة أو يملا فراغا لا تملاه الا القصائد الطوال ؟ ؟ ؟

واترك القول للقارىء ، ولا ازيد على ما سبق ان كتبت ، وارجو الكاتب الفاضل ان يعود الى ما كتبت فربما يغير او يتزحزح عن موقفه كما ارجوه – مخلصا – الا يترك خياله يجمح به كثيرا ، فينتهي به الى معرض التشبيهات التي يكون منها صندوق عطار ، فان خيالنا المعيد لا يسعفنا الا بحانوت عطار لابن شهيد الاندلسي ، وصندوق الدنيا لابراهيم المازني .

وليقبل منا ان نذكره بأن من دواعي الانتحال العصبية ، ولا محل لاستغرابه او استبعاده بعد ، ونحن لو كنا نعيش فى قبائل الكلام ، لوجدنا اشعارا لزعيم الحلويين واخرى لزعيم بني تاويت أو تويت

لكن قبائل الكلام قد انتهت وصم صداها ، وعلينا ان نعمل لنصل الى لذة الحق والحقيقة ، متجردين من اهوائنا ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، ومستعملين في طرق بحثنا الوسائل التي تلائم طبيعة البحث وتناسبه ، فلا نبحث فى الادب بوسائل غير الادب نفسه ، ولا ننس منطقا حتى نامن على انفسنا من الوقوع في مهاوي الخطا او الخطل ، ان كنا غير راغبين فى ذلك الخطأ ولا هذا الخطل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد بن تاويت

(*) ومن قبل بثلاثين سنة فقط لم يكن لكلمة « مقهى » عندنا وجود ، وما عرفت في فاس الا بعد ما كانت المنشورات تنشر باقتتاح مقهى باب الجيسة، وما زالت هذه الكلمة غريبة علينا ، واغلبنا يؤنثها ، لان القهوة التي سبقت هذه بمات السنين مؤنثة ، وانها ظلت كذلك وقد وصلنا كما وصل الى العالم النظام التركي للمقاهي ، فسمي المكان قهوة او كهوة كما ينطقها الشعوب السلافية ، قريبا من النطق التركي (والواو مشربة بالفاء ، التي حلت محلها تماما فيمن نطقها كفي)

أضواء على الأدب الإسباني

للأستاذ : حسن الوراكلي

بين يدي الموضوع :

ان بيتا موصد الابواب ، مغلق النوافذ ، لا شك ان الحياة فيه ليست تحلو .. بل لا تطاق ، على حين ان بيتا يعمد اهله الى فتح ابوابه ونوافذه حتى يتسلل الى زواياه فيض من نور ، ويتسرب اليها دفق من دفء ، لا شك ان الحياة فيه تحلو وتروق ، وبالتالي : تطرو وتشرق وتتألق ..

ونحن ، كما يحكي تاريخنا ، كنا امة متحررة ، فتحت نوافذ بيتها وابوابه على كل الجهات الاصلية منها والفرعية كما يقول الجغرافيون ، فاتيح لها ما لم يتح لغيرها من الامم .. اتيح لها ان تستنشق كل هواء ، وتستمتع بكل نسيم ، وتستحم في انطلاقات كل ضياء وتمرح ...

لقد نقل الاجداد ، ما اكرمهم ، لكلمتنا العربية علم وفكر وادب امم كانت قد قطعت اشواطا بعيدة في حلبة الثقافة والمعرفة ، وكانت لها جولات وصولات في مضمار التقدم والحضارة .. اتجه اولئك الاجداد الى التراث الفارسي واليوناني والسورياني يأخذون منه جميع ما يتلاءم وذوقنا في الحياة ، وما يتفق ومنطقنا في مجال البحث والدراسة ، فاستطاعوا بذلك ان يشيدوا مجدا عقليا رائعا ، ويقيموا نهضة فكرية فذة ، يبلى الزمان ولا تبلى معالمها .

وكذلك فعل آباؤنا الاقربون ، لقد نقلوا ، ما اروعهم ، الى بيادرنا بذور فكر وقلب من مشارق الدنيا ومغاربها ، في فجر نهضتنا الحديثة ، وكان ان اقبلنا ، نحن الابناء والاحفاد ، لنفتح عيوننا على فلسفات مختلفة ، ونزعات متباينة ، ومذاهب متضاربة ، غربية وشرقية .. ثم جعلنا نزين زهرياتنا بباقات طاغار ودانتي وشكسبير وغوته ودي موسي وفاليري وبول جيرالدي وفيكتور هوجو والبير كامي وجان بول سارتر ، وغيرهم لا يحصيهم عد !

ولكن ، ليس يعني ذلك اننا كنا نتأثر ولا نؤثر ، ننقل ولا ينقل عنا ، فان الآداب الاوربية في العصور الوسطى انما لقحت بآدابنا العربية ، فالفني الذي اصاب الشعر الايطالي انما كان لتأثر شاعر ايطاليا العظيم دانتي اليجييري (1265 ـ 1321) بما كتبه شاعرنا الخالد ابو العلاء المعري ، والثراء الذي ظفر به الشعر الاسباني انما كان نتيجة حتمية لتأثر الشعراء الاسبان بالشعر العربي الاندلسي ، بل اننا لنجد من يذهب الى التأكيد بان « الشعر الاسباني وليد محاكاة للشعر العربي ، اذا كان مقتضى الاتصال المستمر بين المسلمين والمسيحيين الادنى للاعلى) وبأن الشعراء الاسبان اخذوا من الشعر العربي القافية والصورة ، ويمكن التماس ذلك بالدرجة الاولى في الشعر البروفنسي الذي اثر بدوره في الغنائية الايطالية . (✶)

واذا كان بعض الدارسين الاسبان يتجاهلون التأثير العربي في الادب الاسباني ، ويغضون الطرف عن العناصر العربية التي كانت بين اسباب نهضته وازدهاره في عصره الذهبي ، فان طائفة اخرى منهم تعترف به وتتحدث عنه ، ومن بين هؤلاء الاستاذان الكبيران : رامون منينديث بيدال Ménendez Pidal Ramon ومنينديث ابلايو Ménendez y Pelayo فالاول في كتابه : Poesia arabe y poesia europea (الشعر العربي والشعر الاوربي) يؤكد وجود اصداء للشعر العربي في الشعر البروفنسي ، وينقض كلام خصوم نظرية التاثير العربي بايراده شواهد لا تدع مجالا للشك في ان الشعر الاسباني قد وجد في الشعر العربي منبعا ثرا اغترف منه واستقى ، واما الثاني فهو يتحدث في كتابه Origines de la novela (اصول القصة) عن التأثير العربي في القصة والمسرحية الاسبانيين وكيف لقحتا بما ترجم الى الاسبانية من كتب القصة

✶) انظر كتاب : (اللغة العربية في العالم) للدكتور زكي علي ، وكتاب : (دور المسلمين في بناء المدنية الغربية) للاستاذ حيدر بامات ، وكتاب : (الاسلام في اسبانيا) للدكتور لطفي عبد البديع .

العربية « الشرقية » مثل كتاب (كليلة ودمنة) و (ومقامات الحريري) و (قصص شهرزاد) و (الف ليلة وليلة) و (السندباد) و (قصة حي بن يقظان) .

ولقد بدأ أثر (كليلة ودمنة) في قصاصين اسبان ، مثل: دون خوان منويل وارثربت ده سينا وغيرهما ، وكان للمقامات الحريرية اثر في تطور الفن القصصي الاسباني ، وقد اتفق جل الدارسين على وجود شبه شديد ، قوي ، بين مقامات الحريري وبين القصة التي تصور حياة الصعاليك Novela picaresca واما كتاب (شهرزاد) فقد اغترف منه كبار الادباء الاسبان مضامين اقاصيصهم ، مثل مكيل دي سرفانتس الذي التقط منه موضوع قصته (الغيور العجوز) ، ومن كتاب : (الف ليلة وليلة) اخذ بعض المسرحيين الاسبان موضوعات مسرحياتهم ، مثل المسرحي الفنلوبي دي فيكا الذي نسج من قصة (الجارية تود) مسرحية من مسرحياته الرائعة ، ومثل المسرحي العظيم كالدرون دي لاباركا الذي اخذ من احدى قصص (الف ليلة وليلة) مسرحيته الخالدة : (الحياة حلم La vida es sueno واما كتاب (السندباد) الذي يعرف في اللغة الاسبانية بعنوان: (خدع النساء وكيدهن) ، فقد نسج على منواله كثير من الكتاب الاسبان ، من بينهم : خوان دي التاسلفا ، وكذلك كان (لقصة حي بن يقظان) اثر جلي في بعض المؤلفين الذي كتبوا على نمطه ، ويتحدث عنه الاستاذ منديث ابلايو بانه يغوص من ناحية بالشخصية الاسبانية الى بحار الاكسير الالهي ، ثم هو يعد من ناحية اخرى اجرأ بحثفي التربية الذاتية التي لا يتدخل فيها المبدأ الاجتماعي .

وقد تعقب بعض الباحثين الاثر العربي في القصة الاسبانية والاوربية عموما ، وانتهوا الى التأكيد بان (الآداب الاوربية تنبض بموضوعات قصصية وفدت اليها من الشرق ، لا تخطئها العين البصيرة ، ولكنها لا تستطيع (احيانا) ان تحدد الطريق الذي سلكته) (✱)

والواقع ان ابحاث دوزي وليفي بروفنصال وبعض المستشرقين الاسبان مثل : خليان ريبيرا تراجو ، ومكيل آسين بلاثيوس ، واميليو كارسيا كومس (✱) ، اماطت اللثام عن الحضارة العربية في اسبانيا المسلمة ، وابرزت معالم الثقافة والادب العربيين وتأثيرهما في الثقافة والادب الاسبانيين خاصة ، والاوربيين عامة .

وهكذا نرى اننا لم نكن قط امة تتأثر ، وانما كنا ايضا نؤثر ونترك آثار بصماتنا وطابعنا في التراث الثقافي والمعرفي والاجتماعي لمختلف الامم مشرقا ومغربا ، ولكن بصماتنا وطابعنا انما تجلت بشكل واضح في تراث اسبانيا باعتبارها كانت تمثل حلقة الاتصال بين دنيا العروبة والاسلام ودنيا المسيحية بأوربا .

وبرغم ذلك فان كل مشتغل ، اليوم بالادب والشعر والثقافة بصفة عامة في طول البلاد العربية وعرضها يلحظ ان جناح الفكر والادب المترجمين في مكتبتنا العربية الحديثة يخلو او يكاد من عناصر اسبانية اللحم والدم ، على الرغم مما في هذه العناصر من حياة دافقة ، واشراق متألق ، وعمق شديد بشهادة عمالقة النقد في اللغة الفرنسية والانجليزية والايطالية ، وغيرها .

وقد لفتت هذه الظاهرة نظر بعض الكتاب (✱) فكتبوا يقولون بأنه (يمكن الجزم بان الادب الاسباني اقل الآداب الاوربية انتشارا في الاقطار العربية وان تاريخ الادب الاسباني يكاد يكون مجهولا كل الجهل حتى بين الطبقات العربية المثقفة)

وليس معنى هذا الكلام اننا ننكر وجود اي نفس ، اي عبير ، اي اريج ، من ربوع اسبانيا ، يرتعش في خمائلنا وينبض ، فهنالك محاولات للترجمة من ذلك الادب ، وهي محاولات لم تضم بين دفتي كتاب ، بل هي ما تزال منثورة في كتابنا ، في طليعتهم الاستاذ عبد اللطيف الخطيب ، ولكنها محاولات لم تضم بين دفتي كتاب ، بل هي ما تزال منشورة في صحف ومجلات ، بعضها انقطع عن الصدور ، وبعضها الآخر ما زال يواصله (✱)

لقد ترجمت روائع الادب الاسباني : قديمه وحديثه ، الى لغات متعددة ، وسبقت الاشارة الى ان كبار النقاد في اللغات الحية يعترفون بأن هذا الادب يضم بين دفتيه اعمالا فذة ، خالدة ، تتدفق بالحياة ، وتشرق صفحاتها بسحر الفن الرفيع ، ونضيف هنا ، الى ذلك شهادة اولئك النقاد انفسهم بان هذا الادب كان ، في عصره الذهبي ، وهو اليوم ، من الخصب والقوة والروعة والعمق بحيث استطاع ان يترك تأثيره ، واضحا عميقا ، في الآداب العالمية ، ونضيف الى ذلك كله ان اللغة التي يكتب بها لغة تتمتع بانتشار عظيم وذيوع جليل ، بحيث اضحت تزاحم الانجليزية والفرنسية . (✱)

✱) الدكتور لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ص 137 ، الناشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1958 .

✱) تعد بحثا حول : الاستشراق والمستشرقون في اسبانيا) .

✱) هما الاستاذان نجيب ابو ملهم وموسى عبود في مقدمة كتابهما عن : (سرفانتس ، امير الادب الاسباني) .

✱) من تلك المجلات : « الانوار » و « المعتمد » و « دعوة الحق » .

✱) الاسبانية هي اللغة الرسمية لعشرين دولة في امريكا الجنوبية ، وهي اللغة الرسمية في دولة الفلبين ، وهي بالاضافة الى ذلك ، اللغة الثانية بعد الانجليزية في الولايات المتحدة .

ولعل من شأن ذلك ما يبعثنا على محاولة التعريف ببعض رواد ذلك الادب المحدثين ، ونقل ملامح وصور منه الى كلمتنا العربيـــة .

واذن ، فمحاولتنا انما تستقطب في فتح نافذة من نوافذ بيتنا ، تطل منها على حقل من الفن خصيب ، ونشرف منها على جمر من الشعر متوهج ، في ارض اسبانيا ، ارضنا ، نحن فـي القرون الخوالي ، حيث ينبت الشعر والجمال متمردين ويولـــد الحب والخيال عاصفين .. حيث الآصال والاسحار تعطي للكلمة الاسبانية حريرا من ضوء ، وعطر ، وأريج !

اننا ، بهذه المحاولة ، سنلتقي بعمالقة الادب الاسبانـي المعاصر : روبن داريو Ruben Dario (1867 ـ 1916) ومكيل دي أونامونو Miguel de Unamuno (1864ـ1936) ومنويـل ماتـــادو Manuel Machado (1874 ـ 1947) وانطونيو ماتادو Antonio Machado (1875 ـ 1939) وخوان رامون خمنيث Juan Ramon Jimenez (1881ـ1958) وفدريكو كارسيا لوركى Federico Garcia Lorca (1899 ـ 1936) .

سنسلط اضواء على حياة هؤلاء الكتاب العظام الذين يفخر بهم الادب الاسباني الحديث ، وسنقف عند اعمالهم الادبيـــة وقفات ، نترصد ـ خلالها ـ روعة الفن وعمقـه في طياتهـا ، ولسنا نزعم بان تلك الاضواء وهاته الوقفات ، ستكشف لنا عن كل زواياهم ، ولكننا نؤكد بانها ، في مكنتها ، ان تهدي . من تتشوق نفسه لدراستهم دراسة مستفيضة ، الى النجوم التي من ارتعاش ياسامينها ، استمدوا ضياءهم ، والى الزهور التي من رهو نفورها رشفوا عطرهم ، وهي بالتالي ـ لا شك يخالجني ـ ستتيح لنا فرصة للجولة في آفاق بهية ، مشرقة وجديدة ، كانت ، ولا تزال ، مجهولة لدينا ، بل ولدى القارىء العربي على العموم .

لكننا ، قبل اللقاء باولئك الكتاب والشعـراء ، نـود ان نمهد لذلك بحديث ، نلقي من ثناياه ، نظرة خاطفة على ماضي الادب الاسباني ابان عصره الزاهر ، ثم نلم المامـة بالوحـدة التي تحدر اليها بعد ذلــك ، ومن ثم ننتقـل الى فترة البعـث والاحياء بالنسبة لهـذا الادب ، محاولين التعـرف على ابـرز شخصيات تلك الفترة ، وبعدها نقف وقفة غير قصيرة عند حركة ثورية ، كان لها شأن خطير في تاريخ الادب الاسباني الحديث هي الحركة التجديدية في الشعر الاسباني المعاصر ، تلك التي ظهرت على يد شعراء اندلسيين ، وبلغت اوجها على يد الشاعر النيكاركوي العظيم روبن داريو ، ثم نقف ـ اخيرا ـ وقفـة غير قصيرة ايضا عند جيلين اديبين عظيمين في تاريـخ الادب الاسباني المعاصر ، هما : جيل 98 ، وجيل 1918 ، واليها ينتمي اصحابنا الذين نسعى الى التعرف عليهم .

الادب الاسباني بين التقـدم والانتكاس

اذ نحاول القاء نظرة خاطفة ، تعجلى ، على ماضي الادب الاسباني ، لابد من ان نتساءل : ما هي المكانة التي يحتلها هذا الادب بين الآداب الاخرى ؟ من هم افذاذه وعمالقته ؟ ما هي اعمالهم ؟ اين يتجلى تأثيرهـم في الآداب العالميـة ؟ ، ثـم ـ اخير ـ كيف انحدر هذا الادب من القمة الى السفح ، فغدا فقيرا بعد غنى ، وضعيفا بعد قوة ؟

ان ماضي الادب الاسباني ، خلال القرنيـن : السـادس عشر والسابع عشر ، ليحتضن بين صفحاته اسماء واعمالا ، اشرقت وتألقت ، وذاع صيتها ذيوعا قليل النظر ، وطارت شهرتهـا مطارا نادر القرين . فالى جانب هذه الاسماء :

ا) مكيل دي سرفانتس Miguel de Cervantes (1548 ـ 1616) ، الذي اجتاز عتبة الخلود برائعتـه : (ضـون كيخوطي دي لامانتـا Don Quijote de la Mancha التـي وصفها بعض النقاد بانها مشحونة بقوة الروح العربية ، وتحدث عنها اللورد بيرون فقال : لعمى لذة قراءة الكيخوطي في لغتـه تضمحل باقي اللذات ، ووصف بعضهم صاحبها بانه (انتزع مع هوميروس وشكسبير كل ما دفن في صدر الفن الرحـب من نثر وشعر ومسرح) .

ب) لوبي دي فيكا Lope de Vega (1562ـ1635) ، ويتحدث عنه مؤرخو الادب الاسباني بانه يعد اخصب كتابـه على الاطلاق ، وهو نفسه ، يقول بانه في سنة وفاته كان قـد كتب نحوا من ثمانمائة والف مسرحية ، ومن اشهرها : (نجمة اشبيليـة) La estrella de Sevilla وسيـد المـدو El caballero de Olmedo والمحبة الكتوم La discreta enamorada وغيرهـــا .

جـ) فرنسيسكو دي كيبدو Francisco de Quevedo (1580 ـ 1645) وهو يقف على الذروة بجانـب سرفانتس في تاريخ الادب الاسبانـي ، ومن اشهـر تواليفه كتاب : الاحلام Los Suenos وقد وصفه احد النقاد بانه آية باهرة من آيات ادب اسبانيا الكلاسيكي .

د) طيرسو دي مولينـا Tino de Molina (1584 ـ 1648) ، كتب عددا ضخما من المسرحيـات ، ضـاع

اقلبهـا ، ومن اشهـر ما بقـي منهـا : (مخـادع اشبيليـة) El burlador de Sevilla ولم يكن طيرسو مسرحيا فقـط بل كان الى جانب ذلك ناثرا ممتازا ، خلف آثارا رائعة في الوصف والتاريخ .

هـ) كالدرون دي لا باركا Calderon de la Barca (1600 ـ 1681) ، ويصفه النقاد بانـه احسن ممثل للمسـرح في اسبانيا (Barroco) ، وقد كتب زهاء مائتي مسرحية ، اشهرها : (عربة السماء) El carro del cielo (واكبر وحش) El mayor monstruo و (قائد ثلميا) El alcalde de Zalamea (الحياة حلم) La vida es sueno وقد تحدث عنه الناقد رامون دي ميكيل ، فقال (ان الشاعر المسرحي الـذي احسن الفكرة القومية ادق احساس ، والذي كانت ملهمتـه التاريخية والادبية ان كشف في كتبه عن روح الشعب الاسباني في عصر ازدهار آدابه) .

و) خوان رويث دي الاركون Juan Ruiz de Alarcon (1581 ـ 1639) ، ويقول عنه النقاد بانـه يعـد اول مبتـدع للرواية الخلقية التـي ازدهـرت ، بعـده ، عنـد المسرحيين الفرنسيين ، وتحدث عنه رامون دي ميكيل فقال بانه يعني في مسرحياته بالجانـب المعنـوي من الحيـاة ، وبقراءة اثريـه : (الصدق المشكوك) و (الجدران تسمع) يتأكد لدينا ذلك ، فالاولى ضد الكذب ، والثانية ضد الغيبة والنميمة .

نعم ، الى جانب هذه الاسماء والاعمال التي تمثل عبقرية اسبانيا في الادب والمسرح ، وتبرزها ممتازة ، فذة ، عظيمة . هنالك اسماء اخرى ظفرت ، هي الاخرى ، بشهرة واسعة النطاق مثـل : خوان ديل انثينا الذي يعـد المرحض الاول للمسـرح الاسباني ، وفرناندو دي روخاس الذي قال النقاد عن مسرحيته: الراهبة La celestina (انها تعتبر عتبة للقرن الذهبي في الادب الاسباني) ووصفوه بانه المكتشف للمنبع الذي تدفق منه المسرح الاسباني واعمال سرفانتس (✱) ، وممن اشتهروا ايضا: المركيز سانطيانا وخوان بوسكان وفانكـو ديـاث وخورجي مانريكي ولويس دي كونكورة وبريث دي اليفا وفرانسيسكو دي فيالو بوس وردريكس بادرون وبريث دي كوثمان (✱)

ولقد الححنا فيما تقدم ، الى ان الادب الاسبانـي كان ، خلال عصره الذهبي ، من القوة والعمق بحيث استطاع ان يترك طابعه في الآداب العالمية ، فاين يمكن التماس ذلك الطابع ؟

يذكر الباحثون (✱) ان اغلب كتاب المسرح الفرنسي ، تنحلوا ـ بشكل وقح ـ المؤلفين المسرحيين الاسبـان ، ومما يؤكـد ذلك ما يقوله نقاد الادب الفرنسي وكتابه انفسهم ، فهذا واحد منهم يقول : (ان مسرحنا الزاخر بالاساطير القاحلة وجد في بعض الاحيان في كالدرون دي لا باركا ، وفي لوبي دي فيكا ، وخاصة في رويث دي الاركون وطيرسو دي مولينا ومن جاء بعدهم كتابا فطاحل عالجوا العادات) ، وهذا الكاتب الفرنسي الشهير فولتير Voltaire يعترف بالتأثير الاسباني في المسرح الفرنسي اذ يقـول بان فرنسـا تدين لاسبانيـا باول تراجيديا وباول كوميديا ايضا انشأهما كتابها .

ولعل اكثر الكتاب المسرحيين الفرنسيين تأثرا بالمسرح الاسبانـي ، هو موليـير Molière (1622 ـ 1673) ، فلقد تعقب بعض الدارسيـن لتطور النشاط المسرحي فـي الآداب العالمية اعمال موليير المسرحيـة فلاحظوا انه تنحل مسرحيـات لكاتب المسرح الاسباني الخالد لوبي دي فيكا ، منها : مسرحية (المحبة الكتوم) La discreta enamorada ، ومسرحية (كلب البستاني) El perro del hortelano ، ومسرحيـة (اكبر مستحيـل) El mayor imposible ، كما تنحـل مـرحية من مسرحيات الكاتب الكبير طيرسو دي مولينا .

ويذهب جان جوفط (✱) الى القول بان موليير كتـب مـرحية شديدة التشابه بمسرحية (الاستخفاف) Desolen للكاتب الاسباني اكوسطين مورطو Agustin Moreto (1618 ـ 1669) ، وعنـون مسرحيتـه (الاميـرة اليـدي) La princesa Elide وقد ترجمت مسرحيته (الاستخفاف) الايطالية بعنوان : (الاميرة الفيلسو La princissa filosofa

ولسنـا نريد ان يفهم مما تقدم ان موليير كان هو الكاتب المسرحي الوحيد الذي تأثر بالمسرح الاسباني ، فهنالك كتاب آخرون لم يسلكوا بعد اطلاعهم على ذلك المسرح ، الا ان يعجبوا بروعته وعمقه ، فحاولوا تقليده والنسج على منواله ، ففولتير الذي يعد اول مؤلف مسرحي فرنسي خرج يتلقـى تصفيقـات الجماهير ويرد على هتافها كان ، كما يؤكد جان جوفط في كتابه : المسرح وتاريخه El teatro y su historia يقلد فيما كتب وانشأ من ادب مسرحي الكاتب الاسبانـي رويث دي الاركون ، وكورنيل Corneille في كثير من مسرحياته ـ كما يلاحـظ كثيـر من النقاد ـ يبدو مقلـدا للمسرحي الاسباني كيلين دي كاسطرو Guillen de Castro

---

✱) R. José Rogerio Sanchez: Sintesis de la litera tura espanola, p. 142.

✱) انظر كتاب Abilio F. Ruiz de Ojeda y Emilio Lopez de Larrinzar: Lengua y literatura (antologia) -Madrid, 1961.

✱) انظر كتاب : Jean Jouvet: El teatro y su historia, p. 62-63 -Barcelona, 1963.

✱) المصـدر السابـق ، ص 63 .

(1569 — 1631) ولوبي دي فيكا وريث دي الاركون ، وكذلك رانانط Rarant ، فهو في احدى مسرحياته يبدو متأثرا بمسرحية من مسرحيات اكوسطين مورطو ، واما هاردي Hardy ، فان اغلب مسرحياته استقاها من المسرح الاسباني .

واذا كان التأثير الاسباني قد بدأ لنا ، مما تقدم ، واضحا ، جليا ، في اشهر المسرحيين الفرنسيين ، فان مؤرخي المسرح قد اكدوا ذلك التأثير في كثير من المسرحيين الايطاليين والانجليزيين ، وعلى رأسهم ويليام شكسبير (✶) William Shakespeare (1564 — 1616) الذي يعد بحق المنشيء الاول للمسرح الانجليزي .

وكل الذين تصدوا بالكتابة عن تاريخ المسرح الاسباني ، يؤكدون بان هؤلاء الكتاب المسرحيين الاسبان : ماطوس فراكوسو ، وانطونيو مولين ، وخوان دي لاهوس ، وخيمينيس دي انثيوا ، وانطونيو (✶) هورطادو دي مندوثا وهو ممن نسج على منوالهم موليير ، ولويس دي بلمونطي ، وكثيرا غيرهم ، استطاعوا ان ينتقوا اليهم الانظار خارج حدود اسبانيا ، وكانت مسرحياتهم ، وفي مقدمتها مسرحيات كالدرون ، تمثل على خشبات اعظم المسارح الاجنبية يومئذ .

وللدلالة على مدى الانتشار والذيوع الذي ظفر به الادب المسرحي الاسباني في عصره الذهبي ، نورد هذه العبارة للاستاذ الناقد جان جوفط : (في سنة 1630 كانت مسارح لندن تقدم درامات اسبانية ، وفي فرنسا ، وايطاليا ، والمانيا . وفي اوربا قاطبة . كان المسرح الاسباني موضع عناية وتقدير في ذلك القرن) .

ويذهب كثير من النقاد الى القول بان اسبانيا تقاسم انجلترا شرف السبق الى ايجاد المسرح القومي ، وان عصرها الذهبي في تاريخ الادب يقارن بالعصر الاليزابثي في تاريخ الادب الانجليزي وعصر لويس الرابع عشر في تاريخ الادب الفرنسي .

ولقد ظل الادب الاسباني يؤثر تأثيره العميق ، البعيد ، في الآداب العالمية حتى القرن الثامن عشر ، حيث ظهر فيكتور هوجو Victor Hugo (1802 — 1885) ، الكاتب الفرنسي الشهير ، الذي حل بريق الرومنطيقية الاسبانية الى الربوع الفرنسية .

على انه بعد الايام المشرقة ، الباهرة ، التي عاشتها الآداب الاسبانية في القرنين : السادس عشر والسابع عشر ، عصفت بها دوامة من الانحطاط والانتكاس قبيل القرن الثامن عشر ، فتقهقر المسرح الى الوراء ، وقنط في ثياب رثة بالية ، ونضب معين الشعر والنثر ، واصابهما من الركود والتفاهة والضعف ما اعدمهما ثراء صورهما وغناء اخيلتهما ، وهكذا انحدرت الآداب الاسبانية من القمة الى السفح ، فذبلت بعد تفتح واشراق ، وضعفت بعد قوة وسلطان ، واضحت مجرد تقليد اعمى للقوالب الفرنسية الادبية .

وكانت اسبانيا ، يومئذ ، تعود القهقرى ، ولا تتقدم الى الامام ، فلقد تكومت على نفسها وحلالها العيش في عزلة شبه تامة عن كل بلدان اوربا ، ولعل انعزال اسبانيا وزهدها في اللحاق بركب الحضارة التي كانت بعض بلدان اوربا كفرنسا وانجلترا تسير في مقدمته ، لعل ذلك هو الذي حدا بكاتب فرنسي الى ان يرسل كلمته المشهورة : (ان افريقيا تبتديء من جبال البرانس (✶)) .

فترة البعث والاحياء في الادب الاسباني واشهر اعلامها

حل القرن التاسع عشر الى اسبانيا ازمات عنيفة ، شديدة ، في ميدان الحرب والسياسة ، فلقد عانت ، خلاله ، نكبة الاحتلال الفرنسي الذي تم على يد نابليون ، كما عانت محنة الحروب التحريرية التي كان يشنها الامريكيون عليها من اجل استقلالهم وسيادتهم .

ويبدو ان تلك النكبات والازمات التي صدمت اسبانيا ، في القرن التاسع عشر ، كانت عاملا قويا على ايقاظها من سباتها ، وانقاذها من الوهدة التي تحدرت اليها ، فهبت تحاول ان ترمي بنفسها في غمار التيارات العالمية سواء في ميدان الادب او السياسة ، ففيما يخص ميدان الادب نجد ان القرن التاسع عشر امتاز ، في اسبانيا ، بانتشار المذاهب والجماليات الاجنبية وذيوع الرومنطيقية الفرنسية والانجليزية .

ونتيجة لذلك تألقت بعض الاسماء في صفحات الادب الاسباني في القرن التاسع عشر ، تشهد على ان هذا القرن قد شهد بعثا واحياء وترميما لماضي ذلك الادب ، بكل روعته وعظمته .

(✶) انظر كتابي : Jean Jouvet: El teatro y su historia y Shakes peare un hombre solitario.

(✶) انظر كتاب : José Rogerio Sanchez: Sintesis de la literaturaespanola, p. 190.

(✶) انظر كتاب : Dr José Rogerio Sanchez: Sintesis de la literaturaespanola, p. 225.

(✶) كانت قارة افريقيا ، يومئذ ، تحيا في ليل اليل من الجهالة والانحطاط ، وقصد الكاتب من عبارته ان اسبانيا لا تعد من دول اوربا الناهضة ، وانما يجب ان تعد من اوطان افريقيا المتأخرة ، المتدهورة .

ونستطيع ان نذكر من كتاب فترة البعث والاحياء : ضون خوان فاليرا Don Juan Valera (1824 ـ 1995) ، وبدرو انطونيو دي الاركون Pedro Antonio de Alarcon (1833 ـ 1891) ، وخوسي دي بردا José de Pereda (1833 ـ 1906) ، وبنيطو بريث كالدوس Benito Perez Caldos (مات سنة 1920) ، واميليا دي باردو باثان Emilia de Pardo Bazan (1851 ـ 1921) وليوبلدو ألاس (كلارين) Leopoldo Alar « Clarin » (1852 ـ 1901) ، والاب لويس كولوما Padre Luis Caloma (1851 ـ 1915) ، وختام الواقعية (Realismo) والطبيعية (Naturalismo) أرماندو بالاثيوس فالديس Armando Palacio Valdès (1853 ـ 1938) وفنثنطي بلاسكو ابانييث Vicente Blasco Ibanez (1867 ـ 1928) .

ومن فاليرا الى ابانييث توالت ، على الاقل ، ثلاثة اجيال ادبية ، الى آخرها ينتمي ، ولو تاريخيا ، الكاتب العملاق مكيل دي اونامونو الذي ليست له صلة تربطه بجماليات فترة البعث والاحياء ، ويشبهه في ذلك الكاتب الشهير كانيفط (1865 ـ 1898) (✱) .

ويرى الاستاذ الناقد كونثالو طورنطي بايسطير (ان فاليرا والاركون اقل واقعية من بردا وكالدوس ، وانما كان فاليرا ، بالخصوص ، كذلك ، لا لعدم معرفته او تأخر احتكاكه بالواقعية ، ولكن لان مبادئه الجمالية التي تبدو تماما واضحة ، واصيلة ، لا تسمح له بذلك (✱)) .

اما باثان فهي التي ادخلت النزعة الطبيعية الفرنسية الى الكلمة الاسبانية ، وفتحت النوافذ على العالم القديم ، وبفضلها ـ يقول احد النقاد ـ اعتادت اسبانيا التطلع الى الخارج لتتلقى تأثيرات جديدة ، ويصف جان كاسو رواياتها بانها (تبدو مستوية من ناحية الفكرة ، ونسائية جدا من ناحية غنى الانشاء) اما بايسطير فهي عنده حاكية اكثر منها قاصة (✱) .

ويذهب بعض النقاد الى الزعم بان باردو باثان تمتلك مع « كلارين » كثيرا من وجهات نظر مشتركة ، لكن قصصهما ليست تتشابه في شيء ، والواقع ان الامر يبدو اكثر دقة اذا حاولنا ايجاد علاقة بين كلارين وكالدوس ، وبين باردو باثان وبرد الذي يسميه النقاد (الناثر التقليدي) اثناء فترة ترميم هيكل الادب الاسباني .

اما موقف بلاسكو ابانييث المقاوم للطبيعية المنهارة فانه لا يمكن شرحه بعلل تاريخية ، وانما ، فقط يمكن شرحه بخشونته الجوهرية ، المتأصلة ، وفي رأي الاستاذ بايسطير ان الاب كولوما لم يكن الا قصاص مناسبات ، واما بالثيوس فالدوس فلا يمكن (تسميته ، بدقة واقعيا) كما يقول بايسطير .

وكما كان للنثر الاسباني رواد في فترة البعث والاحياء ، كذلك كان لصنوه الشعر رواد ، ما تزال آثارهم ملء العين ملء السمع ، لقارىء الادب الاسباني الحديث ، ومن اشهرهم :

ا) خوسي ثريا José Zorrilla (1817 ـ 1893) ، كان يمثل آخر قيمة للرومنطيقية التقليدية في الادب الاسباني ، وعند ما توج في غرناطة شاعرا وطنيا (1889) كانت جماليته الرومنطيقية ، وكذلك موضوعاتها تلفظ آخر انفاسها ، (✱) وكان الاسبانيون ينظرون الى ثريا كرمز للروح العظيمة ، والاسباني المخلص الذي تعلق قلبه بحب وطنه ، فهو يتحدث عنه ، باستمرار ، فيما ينشىء من ادب ، ويناجيه دائما فيما تسيل به يراعته من شعر ، ويعرف به دوما ، فيما يكتب من اساطير ، ويتحدث ناقدنا عن ادبه فيذكر بان البساطة كانت سمته البارزة ، الواضحة ، وكان شعره يمتاز بعنصرين هامين هما : اللون والنغم .

ولم يكن ثريا شاعرا او كاتب اقاصيص واساطير فقط ، وانما كان كذلك في طليعة المسرحيين الذي حققوا انتصارات باهرة في ميدان المسرح الاسباني خلال القرن التاسع عشر ، فلقد الف تراجيديات رائعة ، منها : الاسكافي والسلطان El zapatero y el rey ، والخائن Traidor ، والشعبي ضون خوان طونوريو El popularismo Don Juan Tenorio

ب) قوستافو ادلفو بيكير Gustavo Adolfo Becquer (1836 ـ 1870) ، وهو يعد اعظم غنائي واعمق رومنطيقي شهده القرن التاسع عشر ، ولقد كان لمرضه العضال وازمته النفسية اثر في اضفاء مسحة الحزن والكآبة والخوف من المبهم ، على انتاجه الادبي ، الذي كان يغترف موضوعاته من ينابيع غنية ، رائعة وبسيطة ، ، من الحب والضياء من ا من الوجة والظلال ، من العزف والقمر .. والموت (✱) .

وكل التركة الادبية التي خلفها بيكير تستقطب في كتبه : (القوافي) (Las Rimas) والاساطير (Las Leyendas)

✱) انظر كتاب : Ganzalo Torrente Ballester : Panorama de la literatura espanola contemporanea, p. 29 - Edicion Guadarrama - Madrid, 1961.

✱) نفس المصدر السابق ، ص 29 .

✱) نفس المصدر السابق ، ص 72 .

✱) المصدر السابق ، ص 34 .

✱) انظر مقدمتنا لقصائد له ، في (دعوة الحق) ـ العدد السابع ـ السنة السابعة ـ ابريل 1964 .

و (الرسائل Las Cartas) ، ويمكن القول بان الاسلوب البكيري في كل الآثار يتسم بالشفافية والعذوبة ، والبساطة والسهولة ، ولعل هذا هو ما دفع باحد (✶) النقاد الى وصف شعره (بانه شعر صادق ، وفي اللحظة ذاتها ، موجز وبسيط من الناحية التعبيرية والادائية)

واذا كانت مخالب الموت قد امتدت تنشب اظفارها فيه وهو ما يزال غضا كالزهرة الفواحة ، اخضر كالحلم الشفاف ، لم ير بعد انتاجه تتناوله الايدي ، ولما يسمع اسمه يتردد على الشفاه ، فان اعماله الادبية خرجت الى الوجود .. لتعيش بعده وتحيا .. ولتصبح نغمات ، ليس احلى وهمسات ليس اروع على شفاه الحالمين من العشاق ، على ضفاف الوادي الكبير ، او في اعطاف قرطبة ، وابهاء الحمراء بغرناطة ، وحدائق اشبيلية الارجة ، وبجانب حياض الحبق ، وتحت اشجار الليمون والبرتقال والزيتون الليلكي ، وتحت السنديانات الظليلة ، في كل ربوع الاندلس ...

ان بيكير وصف اشعاره « القوافي » بانه قد حبب اليه ان يكتبها :

بكلمات ، غدا ، تصبح ..
زفرات وبسمات ، الوانا وسمات ...

وكان يؤمن بالشعر كمطلق ، كماهية ، لا تنقرض . لا تفنى : لا تنعدم :

قد لا يوجد شعراء ، لكن دوما ،
يوجد شعر .

وهذا كله ، خلق من بيكير شاعرا عملاقا يسبر غور النفس الانسانية ، ويغوص في اعماقها ، ليغنى ، بعفوية وبساطة ، كما العندليب ، آلام تلك النفس وآمالها ، وليعزف بعنف قيثار ، سكونها واضطرابها ، ذلك هو ما دعا ناقدا الى ان يصفه بانه (اعمق واصدق شاعر غنائي تفخر به الرومنطيقية الاسبانية ، وذلك ايضا ، هو ما دفع بناقد آخر الى القول بان (الانسان في اية بقعة من العالم ليعثر في الشعر البيكيري على احاسيسه وشاعره التي تفيض بها نفسه) .

اما الاستاذ بايسطير فانه يتحدث عن غوستافو ادلفو بيكير بانه (اعظم غنائي في القرن التاسع عشر ، هو حالة عجيبة ، وكان في ظهوره كثيرا من المعجزة (✶) على انه يرى ان مكانته وتاثيره في الشعر الاسباني ليس موازيا لتأثير بودلير Baudelaire في الشعر الفرنسي ، فاعمال بيكير لها مقلدون ، وليس لها من اخذها حيث تركها صاحبها ، ثم انطلق من ثم ، ينتجع آفاقا بعيدة ، لم يمهل القدر بيكير لارتيادها .

ج) روساليا دي كاسطرو Rosalia de Castro (1837 ـ 1885) ، كانت ذات شعور رقيق ، واحساس شفاف ، وكانت تنظر الى الكون والوجود بمنظار اسود ، قاتم ، احبت الحقول الرطبة ، والجبال الخضر ، والصنوبر والبحر ، ومن اجل هذا كان (الحزن والكآبة والنبرات الرمادية في وصف الطبيعة ، هي العناصر الرئيسية التي تسيطر على اعمالها الادبية على حد تعبير الكاتب الكبير الاستاذ خوسي مارتينث رويث (اثورين) .

وكانت روساليا تكتب القصة ، وتقرض الشعر ، ويعتبر ديوانها الرائع : (في ضفاف السر En las orillas del Sar اجمل فجر تنفس عنه الحرف الاسباني ، وقادها اشراقه ، الى القلوب والنفوس الحساسة ، الشاعرة ، ولقد تحدث عنها بايسطير في كتابه : (شاشة الادب الاسباني المعاصر Panorama de la literatura espanola contempo anea فقال عنها بانها (صوت غنائي ، اصيل وقوي) ، وتحدث عنها احد النقاد ، فقال : (ان روساليا دي كاسترو قد سميت (بيكير الانثى) ، وبجانب مؤلف « القوافي » تعد هي ابرز شاعر غنائي في القرن التاسع عشر) (✶

د) كاسبار نونييث دي ارثي Gaspar Nunez de Arce (1834 ـ 1903) ، وهو في نظر بايسطير ، شاعر عظيم ورائع ، اما الاستاذ الدكتور خوسي روخس يوساتث فهو يعترف في كتابه : (مختصر الادب الاسباني) بالبصمات التي تركها نونييث دي ارثي على صفحة الادب الاسباني اثناء فترة البعث والاحياء .

والى جانب اولئك ، وقفت طائفة اخرى من الشعراء ، تركوا لهم دويا ، في عالم الادب والشعر يومئذ ، اشهرهم : رامون دي كامبو امور (1817 ـ 1901) ، وينظر اليه بايسطير نظرته الى عصريه نونييث دي ارثي ، فهو عنده ، شاعر عظيم ورائع ، ويعده الاستاذ سانتيس من زعماء التجديد في الشعر الاسباني الحديث ، وياتي بعده : كابريل كارسيا طاسارا (1817 ـ 1875) وفيثنطي وثنلو كيرول (1836 ـ 1889) ، وفنطورا رويث دي اكليرا (1820 ـ 1881) ، ومكيل دي لوس سانتوس الفريس (1818 ـ 1892 ، وخوسي دي سلكاس وكاراسكو (1824 ـ 1882) ، واميليو فراري (1850 ـ 1907) ومنويل رينا (1857 ـ 1905) وسلفادور رويدا (1857ـ1933) ، وهذان الاخيران يعتبران ، في رأي كثير من مؤرخي الادب الاسباني المعاصر ، قطبين في الحركة التجديدية للشعر المعاصر .

تطوان : حسن الوراكلي

✶) انظر مقدمة الاستاذ : ف . كونثالس لدسما F. Gonzales Ledesma في كتاب (Becquer : Sus mejores poesias)

✶) انظر كتاب : G. T. Ballester : Panorama de la literatura espanola contemporanea, p. 34.

✶) انظر كتاب Abilio F. Ruiz de Ojeda y Emilio Lopez de Larrinzar : Lengua y leteratura (antologia)

دِراسَات حَول الأدب المغْربي الحَديث

للأستاذ : عبد العلي الوزاني

يتناول هذا البحث المسائل التالية :

1) متى يكون الادب مغربيـا ؟
2) واقع الادب في المغـــرب .
3) مستقبل الادب في المغـــرب .
4) مصاعب تواجه الادب المغربي الحديث .
5) كيف نبعث الادب المغربي ؟

1) متى يكون الادب مغربيـا ؟

يذهب بعض ادبائنا الى ان كل من يزاول الانتاج الادبي هنا في المغرب يجب ان ياخذ مادته الخام من البيئة المغربية في حيزها الطبيعي وحيزها الاجتماعي ، وان يحاول المشاركة في احياء التراث المغربي القديم في الادب والفن والحضارة بصفـة عامة ، معتقدين ـــ عن خطأ او صواب ـــ ان كل ادب يكـــون خارجا عن هذا النطاق ، لا يمكن ان يكون مغربيا بوجـــه من الوجوه ، وعليه فانت مثلا عندما تتناول قضية من قضايا النقد الادبي العامة ، او تبحث مشكلة فلسفية شاملة ، او تتحدث عن ادب اللامعقول ، او الوجودية في الادب ، او ما الى ذلـك من مواضيع الدراسة ، فانت قد انتجـت ادبا يمكن ان يكون كـل شيء الا ان يكون مغربيا ، واذن فلنخرج جل ما يكتب المغاربة في مثل هذه الموضوعات من نطاق الادب المغربي ، لتبقى بضع مقالات نشرت هنا وهناك ، ولعمري انه لخطأ فاحش ، وسوء فهم لحقيقة الادب المغربي ومقوماته الاساسية .

ان المشاركة في احياء الادب المغربي القديم ، وبعثه حيا نابضا ، والكشف عن كنوزه واسراره العظيمة وكذلـك تناول البيئة المغربية بالتصوير والنقد الاجتماعي ، ليعد عملا له اهميته واعتباره ، ولا بد ان تنصرف اليـه جمهرة من ادبائنـا ممن يملكون الاستعداد الحسن الذي يؤهلهم لهذا الامر ذي الخطورة الكبرى ، لكونه يميط اللثام عن مدى مساهمة المغرب في حقـل الثقافة الاسلامية ، والادب العربي ، ولكن هل يتعين علينـــا جميعا ان ننهج هذا النهج عندما نكتب ؟ وهل مدلول (الادب المغربي) قاصر على هذه الزاوية وحدها دون غيرها ؟ . وهل المشاركة في الاحتفال للقضايا الادبية والفلسفية الكبرى العامة التي تصطرع حولها الاقلام في الشرق والغرب ، يجـرد الادب عندنا من خصائصه المغربية ؟ هل يفرض علينا ان نبقى بمعزل عن كل التيارات الادبيـة السائـدة في عالـم اليـوم ؟ لنعيش منكمشين على انفسنا نجتر ادبنا اجترارا و نمضغه لنلفظه من جديد ، واخيرا هل من مصلحة ادبنا الا يزج به في معترك الحياة الادبية الصاخبة في ملتقى الآداب العالمية ؟ تلك تساؤلات يثيرها في نفس موقف بعض ادبائنا الذين يضيقون من مدلول (الادب المغربي) تضييقا تأباه طبيعة الادب القومي .

ونبادر الى القـول بان (الادب المغربـي) في مدلولـه الواسع الشامل لا يتنافى مع اي موضوع صالح للمعالجة الادبية ، فقد تستطيع ان تكون مغربيا حتى وانت تعالج موضوعات مستمدة من الشرق او الغرب ، وقد لا تستطيع ان تكون مغربيـا حتى وانت تعالج موضوعات من صميم البيئة المغربيـة ، العبرة هنـا بطريقة شعورك بالموضوع ، واسلوب تفكيرك فيه ، والمقياس الذي تقيسه به ، والعقلية التي تعملها فيـه ، فاكبر ما يحـدد طابع اي ادب ، شعور الاديب وذوقه ومنظاره الخاص ، فنحن في صميم الادب المغربي حينما نتناول قضايا ومشاكل ادبية عامة ، فنناقشها ونعطي وجهات نظرنـا فيها ، صادرين عن تفكيرنـا

واذواقنا ، وكل مقوماتنا الثقافية ، ونحن بعيدون عن الادب المغربي كل البعد حينما نتناول موضوعات من صميم بيئتنا ولكن بعقلية غير عقليتنا ، وتفكير غير تفكيرنا ، ومنظار غير منظارنا، ولو كانت الموضوعات وحدها هي التي تحدد صبغة الادب الخاصة لكان ما كتبه المشارقة والغربيون عن المغرب ادبا مغربيا ، وهذا ما لا يقول به عاقل .

ثم ان القضايا والمشاكل الادبية العامة ، وكذا كل التراث العربي القديم ليس ملكا لاية بلاد عربية وحدها ، وانما هو من صنع كل الاجيال والشعوب العربية ، اذ هو ثمرة عبقريتها ، وخلاصة مشاركتها في حقل الادب والثقافة ، ومن ثم فهو ليس من اختصاص بلاد عربية دون اخرى ، وانما هو ملك مشاع بين العرب جميعا ، يردون حياضه ، وينهلون من ينابيعه الثرة الغنية ، ويتناولونه بطريقة او باخرى من طرق البحث والدرس ، واذن فلنكتب عن المتنبي او ابي العلاء او الشريف الرضى او البهاء زهير او القلقشندي ، او غيرهم من نوابغ الادب العربي ، فسننتج ادبا مغربيا صميما يستمد مغربيته من عقليتنا وتفكيرنا وذوقنا .

فالمغربية في الادب والفن بصفة عامة هي ان نكون نحن بكل خصائصنا ومقوماتنا الفكرية والشعورية والذوقية ، بقطع النظر عن الموضوعات التي نتناولها ، بل اني لاذهب الى ابعد من ذلك، فارى ان شخصيتنا الادبية تتعرض لامتحان اخطر عند ما نتناول موضوعات غير مغربية ، فان تحقق ذاتك به غير محيطك الخاص اشق من ان تحققها في مجالك الحيوي الذي الفته والفك .

وما بالنا يراد لنا ان نبقى بعيدين عن الحياة الادبية في محيطها العام ؟ لماذا لا يكون لنا رأي في المشاكل والخلافات الادبية التي تطلع علينا بها مجالات الشرق والغرب ؟ ان عدم ادلائنا بهذا الرأي يعتبر دليلا على غربتنا الفكرية ، ويقيم الدليل على اننا قد نقرأ ما يرد علينا من هنا وهناك من انتاج ادبي ، ولكننا لا نتفاعل معه ، ولا يجد عندنا تلك الارض الخصبة المثمرة ، التي تساعده على مد الجذور ، وارسال العروق، وانما يجد ارضا مواتا ، ما ان تتلقاه حتى تحيله الى مادة ميتة ، ونحن في عصر من خصائصه انه عصر السرعة ، فالافكار والآراء الادبية والعلمية تسير بسرعة البرق ، وتجوب العالم طولا وعرضا في وقت وجيز ، فلا تبقى ملكا لقوم معينين ، وانما تصبح ملكا للانسانية كلها ، من حقها ان تناقشه ، وتدلي برأيها فيه .

ويمكننا ان ناخذ العبرة من عرب الاندلس الذين كانوا يتتبعون الحركة الادبية والفنية والفكرية في الشرق العربي ، ويتفاعلون معها ، ويجاهدون للتفوق عليها ، بالرغم من صعوبة طرق المواصلات ، فكيف بنا نحن وقد تبدل الحال غير الحال ؟ .

وان الخير كل الخير للادب المغربي ان يخرج عن اقليميته، ومحليته من حيث موضوعاته ، ليأخذ ويعطي ، ويتأثر ويؤثر، فيكون ادبا مغربيا في نطاقه الواسع ، الذي يسمح له بالمشاركة في الحياة الادبية العامة ، ويكون بناء راسخا قويا في هيكل الادب العربي ، وان اغنى الآداب الانسانية ذلك الادب الذي يتناول القضايا المشتركة بين ابناء البشر جميعا،ويناقش المشاكل الانسانية العامة ، ويساهم مساهمة فعالة في محاولة اسعاد الانسان ، والارتفاع بمستواه الفكري والخلقي ، ويعمل على نشر الفضائل الانسانية ، ويحقق المشاركة الوجدانية بين الانسان واخيه الانسان ، والادب لا يستطيع ان يحقق كل هذه الاغراض ما لم يفتح نوافذه على العالم المحيط به ، وما لم ينس اقليميته ولو الى حين .

صحيح ان تاريخنا الادبي ما زال غامضا ، يحتاج الى تضافر الجهود لتوضيح مراحله ، والكشف عن عبقرياته ، واثبات شخصيته ، وصحيح كذلك ان هذا العمل هو واجبنا في هذا الطور من تاريخ الادب المغربي ، وانها امانة في عنقنا ستحاسبنا عليها الاجيال المقبلة اذا لم نحطها بالصيانة والرعاية ، ولكن هل يلزم من هذا ان نتجه جميعا هذا الاتجاه ؟ هل اذا قرأت مسرحية لتوفيق الحكيم ، فاثارت عندي بعض الخواطر فسجلتها ، ينعى علي اني لم اكتب ادبا مغربيا ، وكان الاولى بي ان اكتب عن اديب مغربي من القدماء او المحدثين ؟ وهل توفيق الحكيم ملك للمصريين وحدهم ، او اديبنا ملك لنا وحدنا ؟ ان مجرد وقوع مسرحية الحكيم بين يدي ، كاف وحده ليعطيني الحق في مناقشتها ونقدها ، وابداء وجهة نظري فيها ، وهل توفيق الحكيم الا ثمرة من ثمرات هذه الثقافة العربية الاسلامية التي سواء شرقت او غربت فهي شيء مشترك بين العرب اينما وجدوا ؟ .

ان النظر خارج الذات ، ولكن بمنظارها ومقاييسها ، هو علامة تحرر وتفتح وانطلاق لاستقبال اضواء جديدة ، واقتباس عناصر جديدة ، تزيد الذات قوة وعمقا ، وتهبها نوعا من المرونة التي تجعلها قادرة على التكيف والاخذ والعطاء .

2) واقع الادب في المغــرب :

كل امة تنشد الازدهار والتقدم بـه مستقبلها الادبي ، لا بد ان تنظر الى حاضر ادبها وواقعه ، متفحصة دارسة ناقدة ، مقدرة الخطوات التالية لخطواتها الماضية والحاضرة ، مستعينة بالحاضر على معرفة سبيل المستقبل ، واضعة يدها على اوجه العجز ونواحي النقص ، لتتلافاها فيما يستقبل من ادبها وثقافتها ، وكثيرون منا يهملون هذه القضية الهامة ، ويوجهون كل عنايتهم الى التفكير في مستقبل الادب المغربي ، وفي اقتراح الطرق الصالحة لمستقبل ادبي افضل ، وهم في الوقت نفسه يهملون التفكير في مشاكل الحاضر ، وقلما يحاولون ان

يشخصوا حسناته وسيئاته ، ليضعوا ايديهم على اصل الداء ، ومن ثم يقترحون الدواء .

ونحن في هذه النقطة من البحث بصدد تشخيص واقع الادب المغربي ، وبلورة مشاكله ، بالقدر الذي يسمح به حديث سريع كهذا ..

والحديث عن واقع الادب في المغرب لا يخلو من بعض الصعوبة ، ذلك لان ادبنا الحديث ما زال غامض الملامح ، لا يعرف له اتجاه معين ، ولا حدود خاصة ، ولم تتضح لنا شخصيته بعد ، ولكن مع ذلك نحاول ان نثير هذا الموضوع علنا نعرف بعض مشاكلنا الادبية الحاضرة ، فنستعين بها على معرفة طريق المستقبل ، ولست ادعي هنا الاحاطة بجوانب الموضوع كلها ، ولكن حسبي الاشارة الى بعض المشاكل والظواهر .

اول مشكلة تواجه هذا الادب ، انه يبحث عن نفسه بين شتى الاتجاهات ، بحيث يعجزك ان تجد لهذا الادب اتجاها معينا على الاطلاق ، فادبنا غالبا هو ادب الكتب نقرأها ، اكثرها هو ادب الحياة التي نحياها ، وما دامت هذه الكتب ليست من وضعنا وخلقنا وانما هي منتمية الى شرق وغرب ، فان خريجيها من ادبائنا يختلفون اختلاف هذه الكتب نفسها ، وانا لست انكر تأثر الاديب بنوع الكتب التي يقرأ فيها كثيرا ، فما كان المثقفون الا نتاجا لما قرأوا ودرسوا ، وذهنياتهم وعقلياتهم تصوغها عوامل مختلفة اهمها : الكتب . ولكن يجب ان نفهم جيدا ان الادباء من هذه الناحية قسمان : قسم يتخرج من الكتب التي قرأها ، ولكنها لم تتحول عنده الى دم يجري في العروق ، وحركة ينتفض بها الفكر ، وعاطفة تجيش بها النفس ، وانما تبقى مجرد مرجع يرجع اليه الاديب – ان صح ان يسمى اديبا – لياخذ منه الافكار والاتجاهات الجاهزة ، وقسم تخرج من تلك الكتب نفسها ، ولكنه استطاع ان يخضعها لتفكيره الخاص،واستفاد منها بتلك الطريقة التي تتناسب وعقليته الخاصة ، واستطاع بكثير من المرونة ان يفلت من سلطانها ، حتى لا تجور على شخصيته .

وثاني تلك المشاكل ان ادباءنا لا يزاولون الكتابة باستمرار ، ولا يهبون انفسهم للقلم ، في صوفية تجعلهم يزهدون في كل مغريات الحياة المادية ، ويحسون ان الكتابة ضرورة يومية لا غنى لهم عنها ، وان الادب رسالة مقدسة ، تتطلب كل ما تتطلبه الرسالات السامية من تضحيات كبيرة ، وصبر طويل ، ونكران للذات ، واستعداد لمشاركة ابناء الانسانية احزانهم وآلامهم ومسراتهم .

وكثيرهم المغاربة الادباء الذين انصرفوا عن الميدان الادبي جريا وراء مطلب مادي ، بعد ان كانوا بلابل صداحة في روض الادب الانيق ، ونحن لو خسرنا واحدا او اكثر من رجال الاعمال ، لا نكون شاعرين بالخسارة بقدر ما نحس بها اذا خسرنا اديبا يمتعنا بروائع بيانه ، وانت عند ما يتاح لك ان تناقش احدهم رأيه في انصرافه عن الادب ، يبادرك بهذه الحجة التي لا يمكن ان تصرف اديبا عن عمله الفني ، متى كان ذا ثقة بالنفس ، عظيم الايمان بقدسية رسالته في الحياة ، وتلك الحجة هي كساد السوق الادبية عندنا ، وكون اديبنا لا يتمتع بمركز اجتماعي محترم ، ولا يجد من عمله ما يكفل له العيش الكريم ، ولو انت ضربت لهم مثلا احد الادباء الشرقيين او الغربيين الذين قاسوا الشدائد في سبيل فنهم ، مضحين بالمتعة المادية في سبيل المتعة الروحية ، لما اعجزهم ان يردوا عليك بان هذا اذا كان في امكان بعض عباقرة الفكر والروح ، فهو ليس في امكان غيرهم من الناس ، ولسنا نستطيع كلنا ان نكون مثلهم ، طالما ان بيننا وبينهم فوارق في نوع الاستعداد وفي المزاج العقلي .

ولكن نفسك لا تطمئن الى هذه الحجة الواهية ، ما دام في وسعهم ان يلائموا بين مطالبهم المادية وبين الحياة الفنية ، فكثيرا من ادباء الشرق العربي استطاعوا ان يجمعوا بين الوظيفة والعمل الادبي ، مع بعدها عن جو الادب ، فالرافعي رحمه الله، احد ادباء الطليعة في مصر في مطلع هذا القرن ، كان موظفا باحدى المحاكم ، وعبد السلام العجيلي ، ويوسف ادريس ، الطبيبان يكتبان القصة ويصبحان من كتابها المرموقين ، وغير هؤلاء كثير .

اما عند ما ننظر الى الفنون الادبية ، فاننا نجد الشعر ما زال في عمومه يكرر النغمات القديمة ، ويردد التشبيهات والاستعارات المألوفة ، ولا يخرج عما يسمى عند القدماء بعمود الشعر ، فهو شعر سلفي شكلا ومضمونا ، نعم قد نجد عندنا الشاعر المبدع ، ولكنه لا يكاد يخرج عن تقاليد القصيدة العربية القديمة فهو يبتكر ويولد ، ولكن في داخل هذه الحدود ، ولم يوجد عندنا بعد ذلك الشاعر الذي يخترق هذا الحصار ، ويخرج الى الهواء الطلق ، والى الافاق الرحيبة ، وانا لا اعني بالطبع رمي القواعد والاصول جانبا فتلك هي الفوضى الادبية التي تبلبل الافكار ، وتنسف اصول الفن الرفيع ، وانما اعني فقط اننا نفتقر الى ذلك الشاعر الجريء الذي يطور من مفهوم الشعر بان يجعله مسايرا للعصر ، ومستجيبا لمطالب حياتنا الحاضرة ، ومن شكله بحيث يتجنب الكليشهات القديمة ويعطيه طابع الاصالة، ويبعد به عن التعلق بالحيلة اللفظية ، من اصطياد تشبيه جميل ، او استعارة مستملحة ، والغريب هو اني قرأت لبعض شعرائنا مقالات تناولوا فيها بعض مسائل الادب ، فوجدتهم قد كونوا عن الادب عموما والشعر خصوصا افكارا مركزة تقدمية ، ولكن عند التطبيق لا اجدهم يحاولون ان يجعلوا من تلك الافكار حقائق ملموسة تتخذ شكلا عمليا تطبيقيا .

ففي التطبيق يظهر مدى اقتناع الشاعر بالاراء التي ينشرها ويذيعها بين الناس ، وفيه تتجلى قدرة الشاعر على ان

يملك السيطرة على تلك الاراء واقتناعه بها ، فاذا كان هناك تناقض ، بان كان الشاعر داعية الى شيء بصفته باحثا مقررا ، او ناقدا دارسا ، ولكنه يعجز عن ان يجعل شعره في مستوى آرائه عن الفن الذي يزاوله ، فقد اقام الدليل على ان موهبته الشعرية ليست في مستوى ملكته النقدية وتلك مأساة الشاعر الذي يقف هذا الموقف الحائر بين ملكة النقد وملكة الخلق .

والشعر بطبيعته بطيء التطور ، نظرا لكون قيوده اثقل من قيود النثر ، ومن ثم فهو يتمرد على من يحاول ان يجدد فيه ويبتكر ، ولهذا كان محتاجا الى المواهب العالية والملكات الجبارة ليجدد من ازيائه ، ويرود الطريق المجهول ، ليكشف عن عالم جديد ، تكتشف فيه كنوز بعد كنوز .

فاذا انتقلنا الى القصة لنرى حظ المغرب منها حاليا ، فاننا نرى عدة محاولات ، ولكن يلاحظ على اصحابها انهم يوجهون كل عنايتهم الى الاسلوب ، من رشاقة العبارة وتناغم الالفاظ ، وماتية التصوير ، وقل ان نجد ذلك القاص الذي يراعي اصول الفن القصصي ، فما كل من كتب يصف حادثة او يسرد اخبارا يسمى قاصا ، ويسمى عمله هذا قصة . القصة اليوم لها جدرانها الاربعة ، ولها كيانها الخاص ، وهذا شيء معروف عند من يزاولون كتابة القصة عندنا احيانا ، ولكننا نصطدم هنا بمشكلة التطبيق كما اصطدمنا بها عند حديثنا عن الشعر ، فهم يعرفون جيدا قواعد كتابة القصة ، ولكنهم لا يخرجون من النظر الذهني الى التطبيق العملي .

والقصة عندنا في المغرب ليس لها رجالها المختصون ، انها فن ضائع بين الفنون الادبية ، وما دامت كذلك ، فهي لن تتقدم قيد انملة ، حتى يقيض الله لها اولئك القصاص الذين يهبونها حياتهم ، ويقفون كل جهودهم الادبية عليها ، فلا تبقى مجرد استراحة يلقي فيها بعضنا اعباء البحث والدرس عن كاهله ، كما يرى في ذلك بعض من يكتبون القصة عندنا ، اذ القصة اخطر من ان ننظر اليها هذه النظرة ، انها فن يحتاج الى المران الطويل ، وقد يكتب الاديب مائة قصة فاشلة ، قبل ان يكتب قصة واحدة ناجحة .

وعندنا صنف ممن يكتبون القصة بين حين وآخر ، كل همهم من القصة وغايتهم منها التنكيت ، والتنكيت يأتي مقبولا ومستملحا في القصة اذا كان قليلا ، ويصدر عن الكاتب بكيفية عفوية ، ولكنه لا يقبل ولا يرتاح اليه الذوق السليم اذا كان يستغرق القصة كلها ، هو بمثابة الملح بالنسبة الى الطعام ، فهو اذا زاد على مقدار معين يتفق وكمية الطعام ، اصبح باعثا على الزهد في الطعام والاعراض عنه ، والنكات اذا تلاحقت ، واخذ بعضها برقاب البعض ، ضعف اثرها في نفوس القراء او السامعين ، فاجمل النكات تلك النكتة التي تأتي على غير ترقب او انتظار من القارئ او السامع ، حتى يكون لها مفعولها المطلوب ، اذ النكتة المقبولة ما كانت تلفت الذهن الى المفارقات ، فاذا كانت القصة كلها تنكيتا لم يبق هناك معنى لوجود المفارقات ومن ثم جاءت النكتة باردة لا تثير ضحكا ، وانما تثير استفزازا منها ، ورغبة عنها .

وعندنا من يديرون القصة على افكار مذاهب مستوردة ، تمثل في اقطار بعيدة عنا مفاسد الحضارة الاوربية ، هذه التي ضاعفت من العقد النفسية ، وصادرت الشخصية الانسانية ، حيث جعلتها فريسة الآلة ، وشككت الانسان في عقائده ومثله العليا ، وابطلت حتى سحر الاماني والاوهام بالنسبة اليه ، فكثرت حوادث الانتحار ، واضطربت علاقات الناس بكل شيء حتى بانفسهم ، فجاء الادب الذي يصور هذه الحالة مظلما ، قاموسه : الحيرة ، والقلق ، والتمزق ، والضياع . الى ما هو من هذا القبيل ، ويؤسفني ان اسجل على بعض ادبائنا انهم يستعيرون المشاكل النفسية ، والامراض العقلية التي ليس في ظروف الانسان الافريقي ما يشعر بها ، فيتبنونها ، ويصدرون عنها في قصصهم ، لا لشيء ، الا لانها راقتهم ورأوا فيها نوعا من الطرافة ، مع العلم بان الطرافة لا تقصد لذاتها ، وانما اذا كان هناك ما يدعو اليها ، اما الطرافة الداخلية فهي بغيضة الى النفس .

فاذا عرجنا على النقد الادبي ، فاننا تقريبا لا نجد له وجودا ، فباستثناء بعض الاعمال النقدية التي لم تراع فيها اصول النقد الصحيحة ، وانما كانت مهاترات لا اقل ولا اكثر ، لا تجد للنقد الادبي مكانا في حياتنا الادبية ، واختفاء النقد الادبي او قل عدم وجوده عندنا معناه :

اولا : ان بيئتنا الادبية يعوزها اساس من اسس كل نهوض ادبي ، وهو التجاوب بين الادباء ، ذلك التجاوب الذي في ظله تصحح الاوضاع ، وينكشف الزيف ، وتوضع الامور مواضعها ، وينزل كل اديب منزلته التي يستحقها ويقوم على الادب حراسه الذين يذودون عن حماه ، ويصدون عنه الادعياء والمتطفلين .

ثانيا : اننا بعيدون عن سن الرشد الادبي ، تلك السن التي يحاسب فيها الادب نفسه ، ويصبح واعيا لكل ما يصدر عنه قادرا على ان يعرف لكل خطوة موضعها .

وثالثا : ان الاعمال الادبية عندنا — بعد ان يفرغ منها منتجوها — تبقى رهينة بطون الكتب ، او المجلات ، اي انها لا تعيش ولا تعاش ، لا تعيش متعة معطية ، ولا تعاش من طرف النقاد الذين يستطيعون ان يستقطروها ويستنطقوها ويحيوا ما تتضمنه من تجارب وافكار ، والعمل الادبي ما لم يعش على هذا النحو ، لا يتاح له ان يكون قوة دافعة في الحياة الادبية ، اذ انه مجهول القدر ، منحوس المكانة .

ورابعا : ان الادب عندنا يعوزه الجو ، والجو هنا معناه النشاط الادبي الناشيء عن الاخذ والرد والنقاش ، ففي هذا الجو تولد الاتجاهات ، وتتضح الطرائق ، وتتبلور الافكار ، ويجد الادباء مادة غزيرة تغني الادب وتغذيه ، فكم من مذاهب نقدية ، وملكات فنية ، ومدارس ادبية ، كانت هبة من هبات ذلك الجو وحسنة من حسناته .

واما الادب المسرحي فحظه عندنا من العناية ضئيل جدا ، فمسرحياتنا المكتوبة بالفصحى تكاد تعد على رؤوس الاصابع ، ولهذا فهي ليست كافية لتكوين هيكل للادب المسرحي عندنا .

ونخلص الآن الى الفن الادبي الذي فاز عندنا بحصة الاسد ، وهو فن المقالة ، فنحن عندما نتصفح المجلات والصحف المغربية ، تطالعنا المقالة بجل انواعها ، نجد فيها المقالة السياسية والاجتماعية والاخبارية والفنية ، وقد نجد المقالة التي نستطيع ان نقارنها باحسن ما يصلنا من مقالات ادباء الشرق العربي . ولعل ازدهار فن المقالة في المغرب راجع الى العوامل الآتيــة :

اولا : كون المقالة بقالبها وشكلها وحدودها الضيقــة سهلة التناول بالقياس الى الفنون الادبية الاخرى ، اذ كانت هذه متشعبة المناحي ، معقــدة الاصول والقواعد ، الامر الــذي جعلها ابطأ من المقالة استجابة للافكار المستعجلة ، والخواطر العابرة ، والاراء السريعة . ولهذا كانت المقالة فنا مبكرا في بيئات الادب الشرقية ، فقد فاضــت بها المجلات والصحف ، في الوقت الذي كانت فيه الفنون الادبية الاخرى ما زالت ترسف في اغلالها وقيودها الثقيلة .

ثانيا : ان الاحداث السياسية التي عرفها المغرب سواء بعد الاستقلال او قبله ، قد استدعت نشاط هذا الفن ، اذ هو بحكم منهجه التقريري السريع ، اقرب القوالب الادبيــة والاشكــال الفنية ، للتعبير عن وجهات النظر المختلفة ، وقرع الحجة بالحجة ، والرأي بالرأي ، فهي سلاح حورب به المستعمر ، وتطاحنت به الاحزاب والهيئات ، واتخذ وسيلة للنقد السياسي والاجتماعي ، وجنى الادب المغربي الحديث من ذلك اطيب الثمرات هي هذه المقالات العديدة ، التي طالعتنا وتطالعنا بها صحفنا كل يوم .

ثالثا : كون المقالة بطبيعتها سريعة التطور ، بحكم انها نثرا اولا ، والنثر اسرع استجابة لعوامل التطور من الشعــر ، لانه متحلل من قيود هذا الاخير ، ثم بحكم انها اوسع الفنون النثرية حرية ثانيا ، وكانــت كذلك لكونها تتناول الافكــار بطريق مباشر ، في قالب خفيف ، وبدون التزام قواعد معينــة تفرض على الكاتب ، الا ما يمليه عليه طبعه ومزاجه الخاص ، ولذلك تنوع فن المقالة هذا التنوع الكبيــر في مختلف البيئات الادبيـــة .

وليــس معنى ما تقدم ان المقالة عندنا قد وصلت اقصى ما يرجى لها من قوة وعمق ، فالذهاب الى هذا الرأي هو الغرور الذي يعصمنا منه رغبتنا الصادقة في النهوض الحقيقي ، وشوقنا الى غد ادبي افضــل ، نتبوأ فيه مكانة لائقة بماضينا الادبـي المجيد ، المقالة عندنا مخلوق غير متكامل ينقصــه ما يمكن ان ينقص فنا ادبيا حديث النشأة ، وما زال امامه طريق طويل ، قبل ان يصل الى ابعد اهدافه .

ويمكن تلخيص مآخذي على المقالة في المغرب فيما يأتي :

اولا : تتــم غالبا بسمة التحليل ، وقل ان نراها تاخــذ بطريقة التركيب ، فنحن عندما نكتب مقالاتنا نتناول طائفة من الافكار لنحللها الى لفائفها وعناصرها التي تتركب منها ، ولكننا قل ان نجمع طائفة من الجزئيات والعناصر البسيطة لنركبها على نحو ما حتى تتادى بنا الى نظرية شاملة ، او قانون عام ، او قاعدة كلية ، والتحليل مهما كان دقيقا ومفيــدا ، لا يقوى قوة التركيب في الدلالة على اصالة الفكر ، وهذا هو السر في كون اكثرية الادباء الناشئين تحلل ولا تركب ، طالما ان التركيب فيه خلق وابتكار ، شبيــه بانسجام الانغام ليتكــون اللحن ، وائتلاف الالوان ليتم الرسم ، وانضمام الاحجار ليصعد البناء .

ثانيا : يغلب على مقالتنا الاسلوب الخطابي ، اي اننــا نكثر من الجمل المعبــرة عن معنى واحــد ، فتفتقر كتابتنا الى الدقة في استعمال الكلمات ، والقصد في العبارة ، حتى لا يجيء الثوب فضفاضا بالنسبة الى الجسد .

ثالثا : التسرع في اصدار الاحكام قبل اعمال الفكــر ، وتقليب وجهات النظر ، والاحاطة بجوانب الفكرة ، والتثبت من صحة الادلة والحجج ، فالكلف باصدار الاحكام ظاهرة شائعة في جل مقالاتنا ، لا اكاد استثني منها الا القليل ، حيث ترى الكاتب ما ان يجيل فكره في الموضوع قليلا ، حتى يبادر الى اصدار حكمه القاطع الفاصل ،قبل ان يمكن القارىء من الالمام بعناصر الاقتناع ، ولكن مهما يكن من امر ، فالمقالة عندنا بخير ، ووضعها الراهن يبشر بان امامها غدا زاهرا ان شاء الله .

فاذا ولينا وجهنا شطر التأليف ، فاننا نلاحظ ان جل ما صدر عندنا من كتب ، انما كان عبارة عن مقالات نشرت متفرقة ثم جمعت بين دفتي كتاب ،ولا زالت فكرة التأليف بمعناها الدقيق لم تتخذ طريقها الى حياتنا الادبية ، وهي تناول فكرة ضخمة او عدة افكار ، وتقسيمها الى فصول متتابعة يرتبط بعضها ببعض ، ارتباط المقدمات بالنتائج والاسباب بالمسببات ، بحيث تتساوق في نظام مطرد لتؤدي الى نتائج عامة يرتــاح اليها الفكــر ، واعتقد اننا سنبقى في اطار المقالة مدة ليست بالقصيرة ، قبل ان نتمكن من التاليف بمعناه الصحيح ، فمرحلة المقالة هي التي تعد لفكرة الكتاب المؤلف ، لان المسألة هنا هي مسألة ترويض الفكر ، وتدريب القلم ، واختبار الملكات ، حتى اذا قوى الفكر

واستقام القلم ونضجت الملكات بكثرة الاستعمال اصبحت رحاب الادب واسعة ، وآفاقه شاسعة ، وحينئذ تمس الحاجة الى فكرة التأليف ، استجابة للمطالب الفكرية الضخمة التي تستدعي قالبا يناسبها ضخامة .

3) مستقبل الادب في المغـــرب :

عند ما ينظر مثقفونا وادباؤنا الى واقع الادب في المغرب ويرجعون الى انفسهم يسألونها الرأي ، ينقسمون قسمين : المتشائمين الذين لا يعترفون لهذا الادب باي تقدم ، بل يرونه جامدا كالحجارة او اشد صلابة وجمودا ، فهم ينعون الحياة الادبية في المغرب بالعقم المطلق ، ويرمون ادباءنا بالتقصير الشديد ، ولا يلوح لهم في الافق ما يبشر بمستقبل زاهر ينتظر هذا الادب ، والمتفائلين الذين يرون الحياة الادبية في المغرب بخير ، ويعترفون لادبائنا بالنشاط الموفور ، رابطين بين واقع الادب المغربي وبين مقتضيات الظروف ، وما تسمح به في ميدان الادب والثقافة ، ومن ثم فهم متفائلون جد التفاؤل ، يتنبأون للادب المغربي بمستقبل حافل رائع .

ولعل اهم عامل في تشاؤم المتشائمين انهم يتعجلون الامور قبل حلول مواعيدها ، ويريدون نهضة ادبية سريعة تكون كفاء لحياة ما بعد الاستقلال ، ناسين او متناسين ان الادب ليس من طبيعته ان يتطور بكل هذه السرعة التي يريدون وان له نواميس خاصة في التطور لا بد من مراعاتها عند ما يراد تقييم الادب ومراقبة اسلوب تطوره ، والا فان التعسف في هذا الصدد يخرج الادب عن طبيعته التي لا يمكن ان يسير الا على مقتضاهـــا .

وهناك عامل آخر في تشاؤمهم لا يقل خطورة عن العامل الاول ، وهو انهم يقيسون الادب المغربي بمقاييس ليست منتزعة من طبيعته ، وانما هي مستوحاة من ادب اجنبي ، وهذا من باب وضع الامور في غير مواضعها ، فمقاييس هذا الادب قد لا تصلح لتطبق على ادب آخر ، ذلك لان كل ادب له واقعه الخاص وظروفه الخاصة ، وطبيعته الخاصة ، واذا كان الادب يختلف من شخص الى شخص ، داخل المجتمع الواحد فمن باب اولى ان يختلف من شعب الى شعب ، ومن مجتمع الى مجتمع ، ولكن اصحابنا هؤلاء — عفا الله عنهم — عند ما يخضعون ادبنا الحالي لمقاييسهم المجردة او المستوحاة من ادب اجنبي ، فيجدون هذا الادب لا يخضع لها ، بل يبتعد عنها كل الابتعاد، ينفضون ايديهم منه ، ويرمونه بالجمود المطلق ، ويتشاءمون بمستقبله ، اذا اردت ان تضع ادبا ما في الميزان ، فلا تقسه الى غيره ، ولا ترده على ان يلبس ثوبا اكبر من قامته ، وانما انظر اليه في حدود امكانياته التي تسمح بها ظروفه الخاصة ، وهذا ما لا يحسب له حسابه اولئك المتشائمون .

واما المتفائلون فتفاؤلهم مرده الى تعاطفهم مع المحاولات الادبية التي تظهر في بلادنا بين حين وآخر ، فهم يفرحون بها فرحة الطفل حين تقدم له قطعة من الحلوى ، وهم يلمسون في تلك المحاولات كثيرا من مظاهر النقص والتشويه ، ولكنهم يتغاضون عنها ، ويتساهلون مع اصحابها ، وحجتهم في ذلك ان المغرب الان في حاجة الى تعبئة الجهود الادبية حتى تزدهر الحياة الادبية ، ويقوى الاخذ والعطاء ، اما دور النخل فياتي من بعد ، ليضع الامور في نصابها ، ويرتب اعمالنا الادبية حسب قيمها ، وما تنطوي عليه من مضامين ، وما تزدان به من صور . والمتفائلون هؤلاء يشفقون على الاديب الناشئ من قسوة النقد تاركين الازهار تتفتح ، حتى تملأ الجو عطرا ، وتكون متعة للنفس ، وفتنة للشعور .

ولعل الباعث الثاني على تفاؤلهم انهم يلتمسون الاعذار للاديب المغربي اذا كان قليل الانتاج او ضعيفه ، ويرون ان هناك موانع كثيرة من شانها ان تصرف اديبنا المغربي عن مزاولة الانتاج الادبي ، ومع ذلك فهو يتغلب على تلك الموانع ، كلما اتيحت له الفرصة ، ليطلع على القراء بعمل من اعماله الادبية ، وعندهم ان لو سكت اديبنا سكوتا مطلقا لكان له عذره، نظرا للعوائق الكثيرة التي تقف في وجهه فتقهره وتقتل فيه كل ميل الى الانتاج .

بيد ان المتفائلين من مثقفينا في هذا الصدد اقل بكثير من المتشائمين ، ذلك لان عوامل التشاؤم اكثر من عوامل التفاؤل، بالنظر الى واقع الادب المغربي ، والظروف التي تحيط به ، والصعوبات التي تواجهه ، ولان عوامل التشاؤم تلقى استجابة ، اكثر عمقا وفعالية عند بعض المثقفين ، لانهم يعيشون في اجواء ادبية عالمية ، مع كبار الادباء من الشرق والغرب ، فاذا هم رجعوا الى ادبنا ليروا ما ذا عساه يستطيع ان يقدم لهم ، القوه بعيدا كل البعد عن عالم المثال الذي كانوا فيه ، فتخيب آمالهم فيه ، ومن ثم يتسرب التشاؤم المظلم الى نفوسهم .

واما موقفي انا من اولئك وهؤلاء ، فهو موقف وسط ، وان كنت اغلب جانب التفاؤل على جانب التشاؤم فلست متشائما مائة في المائة ، ولا متفائلا مائة في المائة ، ولكني بين بين ، ويمكنك ان تقول عن موقفي : انه موقف التفاؤل المتشائم ، او التشاؤم المتفائل ، لان عندي من البواعث ما يجعلني انظر الى مستقبل هذا الادب بشيء غير قليل من الشك والحيرة والقلق والخوف من سوء المصير . كما ان عندي من البواعث ما يجعلني ارى بصيصا من النور يلوح في الافق البعيد ، فنحن لا نرى في بلادنا جهودا واعمالا جريئة للتغلب على مصاعبنا الادبية ، نعم نرى بعض الادباء يستميتون في تدعيم كياننا الادبي ، بما ينشرون من ابحاث ومقالات ، ولكن هذا الجهد الفردي لا يغني غناء الجهد الجماعي الذي تتضافر فيه

سائر القوى الادبية الحية ، وهذا من شأنه ان يبعث على التشاؤم ، بيد انه يلطف من حدته ما يخامر النفس من تفاؤل بمستقبل الادب في المغرب ، مصدر هذه الروح المتوثبة التي تطالعنا في اعمال بعض ادبائنا سواء كانت مقالات متفرقة او كتبا ، فانت لو قرأتها لمست فيها ميلا قويا الى التحرر من ربقة التقليد ، والمحاكاة ، ونزوعا قويا الى اثبات الذات ، وان كتاب الموسم في هذه السنة للاستاذ غلاب (في الثقافة والادب) ليؤكد هذه الحقيقة . . فانك واجد فيه من المقالات والبحوث الرصينة ، ما تستطيع ان تقارنه باي انتاج ادبي شرقي محترم ، دون ان تحس غضاضة في ذلك .

وكفى ان يحس جل ادبائنا ومثقفينا باننا نجتاز ازمة ادبية ، ليكون هذا الاحساس باعثا على التفاؤل ، فما احس الناس بانهم في ازمة ، الا كان ذلك ايذانا بقرب انفراج الازمة ، ما دام الشعور بالازمة يدفع الى التفكير في حلها والخروج منها ، التشاؤم المظلم هو ان تكون الاوضاع الادبية فاسدة الى اقصى حدود الفساد ، ومع ذلك قل ان يحس احد بذلك ، وهذا وحده كفيل ببقاء الاوضاع على ما هي عليه ، واذن فالذي يبعثنا على شيء من الاطمئنان هو ان جلنا يشعر بكوننا نعيش ازمة ادبية ، وفي هذا الشعور بعض الضمانة للخروج من هذه الازمة ، وحسبك هذا باعثا على تفاؤل غير قليل بمستقبل الادب المغربي .

4) مصاعب تواجه الادب المغرب الحديث :

(يتبع)

فاس : عبد العلي الوزاني

حرية الراي

« هذا الذي نحن فيه رأي لانجبر عليه احدا ، ولا نقول :
« يجب على احد قبوله ، فمن كان عنده احسن منه فليأت به » .
(ابو حنيفة)

« كل امريء يوخذ منه ، ويرد عليه الا صاحب هذا المقام » .
(مالك)

الشعر الحديث وأبعاده في المعنى والأسلوب والاتجاه

للأستاذ : عبد القادر زمامة

اذا كانت الطبيعة : الصامت منها والناطق ، هي المجال الواسع الذي يسرح فيه الشعور الانساني الخصب ..

واذا كانت الحياة : اللذة منها والالم هي الحافز الاساسي الذي يكيف التفكير والتعبير ويمدنا بالكلمة ملونة ومعبرة ومؤثرة ... فان الشعر لن يكون الا مرآة تنعكس على صفحتها اشباح الطبيعة ، الجميل منها والرهيب ، واصداء الحياة الناعم منها والناشز ، ولكل من هذه الاشباح والاصداء اطارها وابعادها وظلالها في نفس الانسان سواء كان ـ شاعرا ـ منشدا معبرا ... او ـ شاعرا ـ سامعا متأثرا متذوقا ...

والشعر كان وما يزال بين هذين يحيا في خيال عـدا صورا ومشاعر والوانا ليجد طريقه الى قلب ذاك اصداء عاطفة ، واطياف ذكرى .. والحان موسيقى ، ونبضات شعور .. ومن هنا جاد خلود الشعر في كل اللغات لانه مرآة الطبيعة والحياة ..

والشعر العربي الحديث الذي نقيس ابعاده اليوم في المعنى ، والاسلوب ، والاتجاه جدير منا بذلك ، دراسة وتمحيصا لانه المرآة التي تعكس مشاعرنا افرادا وجماعات وتصور مسراتنا ومآسينا في هذه الحياة ، كما تصور الهزات الخفيفة والعنيفة التي زعزعت الكيان والمقومات ، عند ما بدأ دولاب الحضارة والثقافة يسير سيره المجنون غير متباطىء ولا منتظر ولا رحيم .. !

وقصة الشعر العربي الحديث بدأت يوم بدأت نهضة الادب العربي في مطلع القرن العشرين ... فاتجه الشعراء الى ـ القديم ـ الخالد في روائع البحتري والمتنبي وابن الرومي ، والشريف الرضي وابن الفارض وابن زيدون وابي نواس ...

كما اتجهوا الى ـ الجديد ـ المترجم في روائع شكسبير وملتن وهوجو ولامرتين ...

وكان هذا الاتجاه هو الذي سموه ـ تجديدا ـ في شعر شوقي وحافظ وصبري .. وشعر العقاد وشكري والمازني وابي شادي وشعراء ـ ابولو ـ .

لكن ابعاد هذا ـ التجديد ـ لم تكن متساوية ، لا في المعنى ولا في الاسلوب ولا في الاتجاه ، والفرق بين تجديد شوقي وتجديد العقاد كالفرق بين تجديد حافظ وتجديد شكري .

وكانت ـ الثقافة ـ التي يتلقاها الشاعر هي ميزان تجديده ، ومقياس ابعاده ، كما ان ـ نوع ـ هذه الثقافة عربية او انجليزية او فرنسية يضفي على شاعريته الذاتية ظلالا من شعراء اللغة التي يدرسها ويتادب بادبها ...

ومن هناك يمكننا ان نفسر الضجات الادبية التي كانت تثور دفاعا عن ـ التجديد ـ او حربا عليه ... لكن الشيء الذي كان منتظرا من هذه الضجات ان تتمخض عنه هو تحديد معنى التجديد في الشعر العربي الحديث تحديدا يرسم الخطوط الاولى للشعر العربي ويفصل في قضايا الوزن والقافية على الاقل .. ! وشيء من هذا لم يقع ...

وجاءت مدرسة المهاجر الامريكي لتظهر لنا ـ تجديدها ـ وابعادها المختلفة حينا والمتفقة آخر ... وكانت ـ الثقافة ـ عند هذه المدرسة هي المحرك الاساسي لابعادها في الوزن والقافية والاسلوب الشعري والموضوعات الشعرية مع عبقرية ذاتية لا مجال لانكارها عند اعلام هذه المدرسة كجبران وابي ماضي والشاعر القروي وميخائل نعيمة ...

وظلت قصة التجديد في الشعر العربي قصة غامضة الاهداف والاساليب عند اصدقائها وخصومها على السواء ... واستغل ذلك استغلالا مزريا عابثا ... ظهرت بوادره هنا وهناك .. !

ولكن رغم عبث العابثين واستغلال المستغلين ... كان هناك جد الجادين وهدف الهادفين في بناء صرح الشعر العربي الجديد والسير به نحو الغاية المتوخاة من كل تجديد يرمي الى التشييد لا الى التحطيم ...

وبحثنا هنا يرمي الى دراسة الابعاد الهادفة في الشعر العربي الحديث وابراز مظاهرها التي ما يزال بعضها براعم لم

تتفتح بعد ... بينما نضج بعضها نضجا يثير الاعجاب والتقدير في شعر اعلام التجديد الهادف .

واول ما نلاحظه من مظاهر نامية . هو ان الشعر العربي الجديد عرف طريقه الى الطبيعة والحياة بعد ان ظل يتعثر في منعرجات واوحال آسنة طيلة اجيال . واستطاع ان يعطينا اكمل تعبير ممكن عن الطبيعة والحياة ... في ظرف من الزمان وجيز ... واستطاع شعراء التجديد الحقيقي ان يعرفوا واجبهم الطبيعي في عالم لا يستغنى عنهم ...

ولنسمع – نوح العندليب – من شعر الشاعر السوري شفيق جبري استاذ الجيل ...

دع العندليب على غصنه
يردد على الغصن احزانه
فلم ار في لحنه كلفة
تهجن – ان ناح – الحانه
لئن دون الناس اشعارهم
لقد جعل الارض ديوانه
وان قيد الوزن افكارهم
لقد اطلق الشدو اوزانه
كتمت الشجون لدى العندليب
فراح يبثك اشجانه
واخفيت عنه دموع الجفون
وقد بلل الدمع اجفانه
فهل شط عن وكره جاره
فاصبح يندب جيرانه
ام الباز اودى بخلانه
فودع بالنوح خلانه
ام الريح هبت باًفنانه
فزلزلت الريح افنانه
فيالك من معمن في الحنين
الم يشهد الناس امعانه
اتبكي العنادل اوطانها
ولا يندب المرء اوطانه ..

فالشاعر المجدد هنا عاد الى الطبيعة ينبوع الشعر عاد اليها ليعكس صورة العندليب الشجين وهو يبث الافنان شجونه . وقد ابى الشاعر الا ان يربط شجونه الخاصة في حياته بهذه الصورة الطبيعية التي لا تكلف فيها ولا تصنع وانما هي – شعر –

ولنسمع حديث – يوم الظنون – من شعر المرحوم عباس محمود العقاد فقيد الفكر العربي ...

يوم الظنون حطمت فيك تجلدي
وحملت فيك الضيم مغلول اليد
وبكيت كالطفل الذليل انا الذي
ما لان في صعب الحوادث مقودي
وغصصت بالماء الذي اعددته
للري في قفر الحياة المجهد
لاقيت اهوال الشدائد كلها
حتى طغت فلقيت ما لم اعهد
نار الجحيم الي غير ذميمة
وخذي اليك مصارعي في مرقدي
حيران انظر في السماء وفي الثرى
واذوق طعم الموت غير مصرد
اروى واظما عذب ما انا شارب
في حالتي نقيع سم الاسود

ولنسمع من شعره ايضا – عالم الذرة –

دعوا الذرة تطغى في
زمان يعبد الذره
صغير كل ما في الار
ض من جاه ومن شهره
ومن خير ومن شر
ومن رأي ومن فكره
فلو فيسوا بلا جسم
لما ضاقت بهم ابره

فالعقاد هنا يعيش بين ظلال الحياة عيشة المفكر .. يعرف ما فيها ومن فيها ويعكس هذه المعرفة على شعره فتبدو صورتها ويبدو معها قويا في ضعف ... وضعيفا في قوة ...

واذا اخذنا ديوان الشابي – اغاني الحياة – وقرأنا فيه شعر البراعم الارجة ... التي عطرت الجو الشعري في الادب العربي الحديث استطعنا بذلك ان ندرك الاجواء التي خلقها شعر التجديد والمكاسب التي حققها لمن يريد المضي بخطوات واقدام ثابتة لا اضطراب فيها ولا التواء ...

والاستعراض هنا لا يعني الاستقصاء وانما يعني الاشارة الى نوعية التجديد ومظاهرها الاولى في الرجوع الى الطبيعة والحياة . مع الملكة الذاتية .. التي هي الشاعرية . والاداة التي هي الثقافة الشعرية ...

ولننتقل الآن الى المظهر الثاني من مظاهر التجديد النامية في الشعر العربي الحديث وهو الارتباط بالحياة العامة جدها وهزلها . نعيمها وبؤسها مسراتها واحزانها ففي الصحيفة والمجلة وفي الافراح والمآتم اخذ الشعر نصيبه من ذلك كله باعتباره فنا واداة ولا تتم معاني هذه الاشياء بدونهما ...

وكان لهذا المظهر اثره – النفسي – في تقويم شخصية الشعراء واشعارهم بالعزة والاستقلال الشخصي والطموح ... كما كان له ابعد الاثر في الشعر العربي الحديث نفسه حيث

اصبح سجلا حافلا لحياة الشعب العربي التي عاشها مصارعا في معركة البقاء والوجود والكرامة والانطلاق ..

والغريب في هذه الظاهرة انها تلقائية لم تحركها — مذاهب — اجتماعية ولا — افكار — تقدمية وانما هي مشاعر وعواطف تجدها في الشعر العربي الحديث : تجدها في الشعر الوطني كما تجدها في الشعر الاجتماعي ...

والذي ينكر هذه الظاهرة ويزعم ان الشعر الحديث يعيش في (برج عاجي) او (برج خشبي) بعيدا عن الحياة ودولابها المتحرك المتجدد ... انما ينكر واقعا لا مجال لانكاره ... وان كان ولا بد فهناك — شعراء — اختاروا لانفسهم عالم الابراج حينا من الدهر ... لكن الحياة لم تمهلهم ولم تصفُ لهم ولم يلبثوا ان انسجموا مع واقع الحياة بشره وخيره ... او دخلوا في خبر كان .. !

وهناك المظهر الثالث من مظاهر التجديد النامية وهو اكتمال العناصر الفنية في الشعر العربي الحديث ونعني بذلك ان الحضارة التي نعيشها والثقافة التي نفكر بها اضفت كلتاهما على الشعر حلة فنية براقة جعلت الشعراء لا يكتفون في — شاعريتهم — بما جاء عن طريق الفطرة والذوق وحدهما بل اصبحوا ينمون ثقافتهم الشعرية تنمية رجحت ببعضهم كما انها شالت بآخرين ..وازرت بطائفة ثالثة حسبت انها لا تحتاج الى عناصر فنية زائدة على — الشاعرية —

واكتمال العناصر الفنية ليست مسألة ثانوية بالنسبة للشعر الحديث الذي يعيش في ظل ثقافة قسمت المعارف الانسانية الذاتي منها والموضوعي كما ربطت بين الفنون الجميلة — ومنها الشعر — وبين الحياة برباط متين من التفاعل والانسجام والتاثير ...

وقد ودع الادب الى غير رجعة شعر القوالب الجوفاء ... والقصائد العصماء ... والموضوعات المبتذلة .. كما اغلق — سوق — الشعر فلم يجد العارضون ما — يبيعون — ولم يجد المشترون ما يشترون .. ! الا في حفلات ومناسبات يمشي اصحابها على وجل واستحياء .. !

بعد عرض هذه المظاهر النامية التي هي في الحقيقة وسائل لا غايات . ولكنها وسائل فعالة لخلق الابعاد في المعاني والاساليب والاتجاهات ... ننتقل الى قياس هذه الابعاد لننظر عمقها وسطحيتها وماذا ننتظر من الاستمرار فيها او التوقف عند حد محدود من حدودها ...

فالابعاد في المعاني الشعرية ابعاد عميقة من جهة وغنية من جهة اخرى ...

فعمقها جاء من عمق ثقافة الشعراء انفسهم فنستطيع في دراستنا للدواوين المختلفة في الشعر الحديث ان نلمس المعاني العلمية والفلسفية والفنية والاجتماعية التي عمقت المعاني الشعرية وسبكتها سبكا يتلاءم مع ما في نفس الشاعر من ظما لتوليد المعاني وتجديدها والبحث لها عن مدد تستمد اليه من ثقافته الواسعة ثم ابرازها بعد ذلك في قالبها الشعري الذي يبعدها بخياله وصوره والوانه عن موضوعية العلم الى ذاتية الشعر ...

ولنقرأ ديوان الشاعر الزهاوي لنرى عمق معانيه الشعرية الجديدة التي كانت صدى لثقافته العلمية واثرا من آثارها في نفسه وعقله وعواطفه الذاتية .

ولنقرأ دواوين العقاد لنرى معانيه وهي تتجاذبها الحياة اليومية والتفسيرات العلمية والفلسفية للسلوك والاخلاق والمشاعر وملابسات الحياة شقاء وسعادة وتفاؤلا وتشاؤما واستقامة وشذوذا ...

ولنقرأ ديوان مطران لنرى الهيام بالحرية تتراقص المعاني في التعبير عنه مع احتفال بديباجة تجذب الشاعر وشعره الى الاقدمين لكنها لا تلبث ان تطلقه ليمرح بمعانيه الجديدة في ميدان المجددين ..

والمعاني الانسانية الطليقة في آفاق شعر ايليا ابي ماضي عريضة الخطوط تفيض بالاشراق وتطفح بالاشعاع ، وجلها من المعاني التي لا تردد صدى الماضي ولكنها تبلور تجارب النفس في البحث عن السعادة والطمانينة والاندماج في الحياة اندماج الجزء في الكل ، والذرة في الكون ، والنقطة في البحر ...

وهل كان بامكان ابي ماضي وبعض رفاقه في المهاجر ان يحتل شعرهم هذه المكانة ؟ لولا المعاني التي لا اقول انها تمتد في عمق ، ولكنني اقول ، انها تمتد في عرض وتتسع حتى تحتضن الانسان في ابعاد عقله وروحه وعواطفه وسلوكه الخاص والعام في هذه الحياة .

ولعل الشعر العربي كان سعيد الحظ الى ابعد حد بهذه الثروة من المعاني التي امده بها الشعراء الجدد ... ومن هنا كانت ابعاد المعاني اعمق من ابعاد الاساليب والاتجاهات .

ولن اضرب الامثلة ولن اقدم منتقيات من دواوين الشعراء الذين ذكرتهم او الذين طويت الحديث عنهم ... لان المفروض في قارىء هذا البحث انه على خبرة بالدواوين الشعرية الحديثة .. وعلى اطلاع كاف على النماذج والامثلة ...

ولننتقل الى الحديث عن الاساليب ونعني بها شيئين :

— المادة الشعرية في هيكل الاوزان والقوافي
— الصورة الشعرية في التعبير الجزل القوي او الركيك المائع ... او السهل المقبول .

وهنا ايضا تأتي قضية الثقافة وقضية الذوق الشعري واللغوي عند الشعراء المحدثين كما تاتي — مشكلة — ربط كل

ما هو من خصائص الشعر العربي في الوزن والقافية والموسيقى الشعرية بكل ما هو - اجنبي - عن خصائص هذا الشعر واوزانه وقوافيه وموسيقاه ... !

وهذا اغرب ما في هذه القضية واعقد ما فيها واخطر ما فيها ...

فبالنظر الى المادة الشعرية هناك - ثورة - عارمة يرسم الثائرون خطوطها العريضة بقولهم :

— سجنتم المعاني والاخيلة والافكار في قفص ضيق خانق من الاوزان وقيدتموها في سجنها هذا بقيود من القافية ... ! !

وبالنظر الى الصورة الشعرية في التعبير . هناك - تمرد - يرسم المتمردون خطوطه العريضة بقولهم :

— حرمتم الادب العربي نعمة السهولة والليونة اذا تحكمتم في اساليب الشعراء .. فاتركوهم وما شادوا من صور التعبير ... ليكون الشعر طبيعي اللغة لا تكلف فيه ولا تحكم .

وفي ظل هذه الثورة ، وهذا التمرد ، نشأت قضية الشعر المنثور او الشعر الحر كما نشأت عدة اساليب معتدلة ومتطرفة دفاعا عنهما او حربا عليهما ...

والمادة الشعرية كالصورة الشعرية لا يمكن للثائرين ولا للمتمردين ان يمحوهما بجرات اقلام ولا بصيحات هتاف لا في جدهم حينما يجدون ... ولا في هزلهم حينما يهزلون ..

والشعر المنثور او الشعر الحر .. لا يمكن ان نرمي به لجج البحر لانه غير خاضع للاساليب الشعرية المعهودة في لغة الضاد وسواء احببناه او كرهناه فانه اصبح - فنا - من فنون التعبير و - تجربة - تنتظر امتحان الايام ...

كل هذا يجب ان نعرفه لنجيب عن سؤالنا :

— ما هي ابعاد الشعر العربي الحديث في الاساليب ؟

والجواب ان المادة الشعرية ما زالت قوية في شعر المجددين الذين عرفوا طريق التجديد الحقيقي واستقامت لهم ثقافتهم الشعرية فاختاروا من الاوزان والقوافي ما لا يصدم الموسيقى الشعرية في الشعر العربي وكانت ابعادهم هنا ابعاد اختيار وانتقاء تجلت في اعطاء الموضوع وزنا وقافية يسهلان على كل من الشاعر والقارئ والسامع تتبع الصورة او الفكرة او العاطفة التي تحملها الابيات ...

وعملت هذه الابعاد عملها في - تعطيل - بعض الاوزان و - تجميد - بعض القوافي وستغلال - الضرورات - والعلل والزحاف في عدة مناسبات استغلالا مفيدا دل على براعة ودقة في مراعاة الهيكل الشعري في الاوزان والقوافي عند هؤلاء .

اما بالنظر للشعر الحر فهناك ثورة وتمرد اشرت اليهما سابقا وكان ينبغي تمشيا مع طبيعة الاشياء وقوانين الحياة ان نطرح هذا السؤال :

— هل نعتبر الشعر الحر داخلا ضمن الشعر العربي ام نعتبره - فنا - خارجا عن هذا الشعر ... ؟

واذا كان الجواب ايجابيا فلا محيص لنا عن سماع كلام النقاد في الحكم على هذه - الثورة - وهذا - التمرد - باعتبار الشعر الحر لحنا ناشزا في الحان الشعر العربي .. !

واذا كان الجواب سلبيا فيجب ان يكون للشعر الحر - خليل - آخر يرسم لهذا الفن الجديد اطارا ولا اقول - وزنا - ليكون بمعزل عن الانتقاد والتهجم من طرف النقاد المعاصرين .

وبقاء الوضع هكذا من دون جواب ليس في صالح الشعر الحر .. ولا في صالح الشعر المقيد ... ولا في صالح الادب العربي على العموم ...

والغريب في الموضوع ان بعض انصار الشعر الحر بل ومن - شعرائه - رأيناهم اخيرا يتمنون ظهور هذا - الخليل - لانهم ادركوا تهافت كل ذي قول على الشعر الحر لينال لقب شاعر جديد ! وليس قوله شعرا جديدا ... !

والحقيقة التي يجب الا تغيب عنا هي ان هذا - الفن - الجديد في الادب العربي يجب ان تفسح له المجال ليخوض معركة البقاء في الوجود الادبي ...

كما انه يجب على انصار الشعر الحر ان يعرفوا الحد الفاصل بين فنهم وبين الفنون الاخرى التي خاضت معركة البقاء في الوجود الادبي منذ قرون ... فلا كبت ... ولا محو .. ولا رجعية .. ولا تطرف .. وفي الميدان الفني متسع للجميع ...

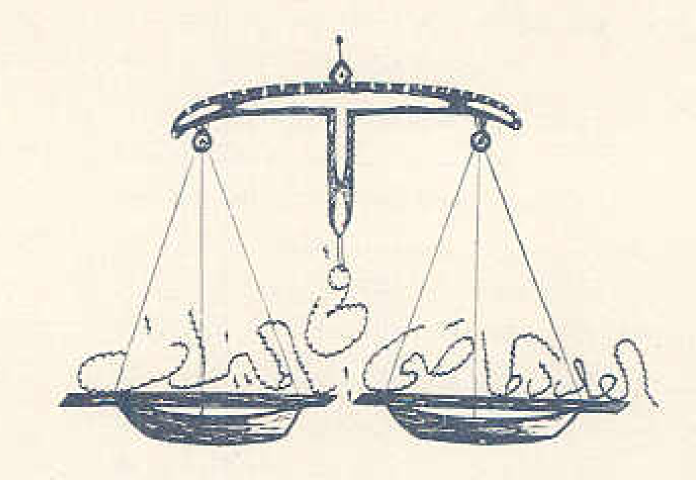
ولنختم هذا البحث بالحديث عن ابعاد التجديد في الاتجاهات .. ونعني بها الاتجاهات التي يسير الشعراء في طريقها نحو هدف معين من اهداف الحياة .

وتاتي هنا قضية - الفن للفن - وعكسها - الفن للحياة - كما تاتي قضية تطور الاتجاهات منذ نصف قرن تقريبا .

فهناك الاتجاه القومي . والوطني والاجتماعي والفني .. كما ان هناك الاتجاه - العقائدي - وابعاد التجديد في هذه الاتجاهات سطحية حينا .. وعميقة احيانا فهي سطحية حينما تردد النغمة الواحدة .. وهي عميقة حينما تتعدى النغمات المكررة الى تناول جذور الموضوعات بايمان العقل . وحرارة القلب . وانفعال الوجدان وصدق التعبير باللسان ...

وعلى كل فهناك الثمار الناضجة وهناك البراعم ... والشعر كان وما يزال مرآة الطبيعة والحياة وعلى صفحتها تظهر صورها العابس منها والضحوك .

فاس : عبد القادر زمامة





للأستاذ: أحمد زياد

طلع سهمي بان تكون مشاركتي في هذا العدد من مجلة « دعوة الحق » تتم بشيء غير قليل من ثقل المسؤولية . اذ لا اصعب من ان يعهد الى كاتب بان ينصب الميزان ليوفي المكيال والميزان بالقسط ، وذلك من غير ان يبخس الناس اشياءهم ، غير ان المسؤولية حين ما توضع كتكليف فلا بد من قبولها كمسؤولية .

وها انا احاول ان اوفي المكيال والميزان بالقسط من غير ان ابخس الناس اشياءهم حتى لا اكون مندرجا في عقد اولئك المطففين الذين اذ اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون .. اولئك الذين اوعدهم الله سبحانه مهددا اياهم بالويل .

لقد كان العدد الماضي من « دعوة الحق » اجمالا واختصارا دسما في دراساته وابحاثه ، موضوعيا في مقالاته ومناقشاته ما في ذلك من شك. واذا كانت هنالك ملاحظات يمكن التعقيب بها على مختلف المواضيع التي يتالف منها ذلك العدد ، فان هذه الملاحظات لاتتعدى الشكليات في اغلب الاحيان ، كما انها لا تتعدى جانب « الاخراج » على حد تعبير المسرح والسينما ، وذلك في احايين اخرى .

ولنبدا بما ينبغي البدء به ، وهو المقال الافتتاحي، فالموضوعان اللذان تناولهما ذلك المقال يعدان من قضايا اليوم واحاديث الساعة ، الا انه كان يحسن ان يكون الحديث عنهما متساويا ، **اذ الملاحظ ان الكلام** عن حدث الاستقلال **كان اقل بكثير من الحديث** عن قضية الكتاب العربي في حين ان موضوع السيف ، كان ينبغي أن يكون مساويا لموضوع القلم على اقل تقدير ــ والا فان السيف أصدق انباء من الكتب كما قيل .

وياتي بعد الافتتاحي باب الدراسات الاسلامية ، وبالمناسبة : فانني لا اعد متحيزا في القول بان « دعوة الحق » تكاد تكون هي المجلة الوحيدة في المغرب العربي وفي افريقيا التي تعنى بمثل هذه الدراسات الا ان هذه الدراسات يكون تاثيرها اقوى ومفعولها اجدى لو ان الاسلوب الذي تكتب به كان هو غير هذا الاسلوب الفقهي المعقد في بعض الاحيان ، والمليء بالنصوص والشواهد الجافة في احايين اخرى ، فمبادىء الاسلام كأصول ، تحتاج الى التصرف فيها وتكييفها واخراجها باسلوب سلس في شكل صور واقاصيص اسلامية من مثل هاتيك التي كان ينشرها الاستاذ علي الطنطاوي في « رسالة » الزيات او من مثل ما كان ينشره الاستاذ الرافعي في نفس المجلة ، وما يزال كتاب « وحي القلم » للرافعي يحتفظ بهذه الصور الرائعة والمؤثرة التي تتبلور فيها الروح الاسلامية بمثلها وقيمها .

واقترح على اسرة « دعوة الحق »تقديم نماذج من هذه الصور الى قرائها ليستشفوا من خلالها روح الاسلام وعظمته وقيمه ومثله العليا وليستشف من خلالها كذلك الكتاب المختصون الاسلوب الذي ينبغي ان يهيمن على الدراسات الاسلامية ، واعتقد ان ازمة التبشير بالاسلام آتية من أسلوب هذا التبشير ، فلو

استقام هذا الاسلوب وتجرد مما علق به منذ زمان من تعقيد وتشعب وطلاسيم في بعض الاحيان – لامكن للمبادىء الاسلامية ان تعرف على حقيقتها ، وان تكون اكثر تأثيرا واقوى فعالية في تقويم السلوك ، وتهذيب الاخلاق ، ومقاومة الانحراف والتعريف بالاسلام تعريفا تتفتح له الصدور المغلقة وذلك عن طريق عرض صور اسلامية من تاريخ الاسلام وتأليف الاقصوصة السلسة في اسلوبها والمفيد في عبرتها وبواسطة الدراسة المركزة المرتبة التي « تنظف » الموضوع الاسلامي من كل ما قد يكون عالقا به من حشو واستطراد وخلافات وتأويلات وأساطير في بعض الاحيان .

واني افضل الاكتفاء بهذا التعقيب على كل ما يحتوي عليه باب الدراسات الاسلامية من مقالات وابحاث موثرا وسيلة « الجملة » على وسيلة « التفصيل » ؛ ثم انني لا ادري هل ان كلمة الاستاذ الرحالي الفارق في العدد الماضي كان يمكن ادراجها في باب الدراسات الاسلامية ام انه كان من الاولى ان تاخذ مكانها في باب الابحاث والمقالات .

وننتقل الى باب الابحاث والمقالات وهو يبتدىء بمقال « الثقافة في خدمة الجميع » لكاتب هذه السطور ، ولا يجمل بي أن أزن لنفسي بنفسي حتى لا اكون مثل ذلك الثقيل الذي روي عنه انه قال في يوم من الايام وهو يفخر بقومه وبنفسه :

ومنا الكريم ومنا الغني ❊ ومنا الشجاع ومنا « انا »

وثاني الاثنين في هذا الباب مقال للدكتور عبد الله انيس الطباع وهو يتناول موضوع العنصر الاسلامي فى الكوميدية الالاهية ، والموضوع قديم يرجع تاريخه الى ازيد من عشرين سنة خلت ، ولئن صح ما في ذاكرتي فان المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد كان اول من بحث في هذا الموضوع وذلك في دراسة نشرت في بعض الطبعات التي انجزت لرسالة الغفران ، ولئن صح ما تزال تعيه ذاكرتي كذلك فان الاستاذ العقاد كان قد جزم بان الشاعر الايطالي دانتي تاثر بالعنصر الاسلامي في الكوميدية الالهية ، مستدلا على ذلك باكثر مما استدل به الدكتور انيس .

ويأتي بعد هذا بحث « ولا اقول مقال – للاستاذ زنيبر في موضوع : نجيب محفوظ الذي يعد بحق كاتبا موضوعيا في مجتمع كالمجتمع العربي ، ما احوجه الى الواقعية والموضوعية ، وانه اذا كان من الاحسن تاخير « وزن » هذا البحث الى ان ينتهي به كاتبه الى نهايته – فانه لا يفوتني ان انوه هنا « بحسن الهضم » – ان صح هذا التعبير – الذي يبدو من خلال القسمين اللذين نشرا لحد الان من هذا البحث القيم .

والاستاذ عيسى فتوح اسهم في العدد الماضي من دعوة الحق بمقال « الالهام في الادب » وابى الا ان ينص في حاشية مقاله على انه يعتبر كلمة الالهام مرادفة لكلمة الوحي ؛ ولا اعتقد شخصيا ان في هذا الترادف بعض الصواب ، ذلك لان الوحي وحي يوحى؛ اي يجب ان يكون هنالك ملقن وملقن كما ورد في تعريف الاستاذ فتوح نفسه للوحي ، اما الالهام فانه يحدث من غير تلقين ، لانه عبارة عما يمكن ان نسميه بخلوة فكرية تنتهي بالهام ، وذلك حينما يتفتح الذهن عن الفكرة التي يكون في خلوة من اجلها .

وكلمة الالهام في اعتقادي أنسب للادب من كلمة وحي ، لان الالهام لا يلقن في حين ان الوحي يلقن ان لم يكن لغة فاصطلاحا . ومن ثم يكون مقال الاستاذ عيسى فتوح تناول الالهام في الادب وبقي عليه أن يسوق بعض الحالات من جولات الملهمين .

وننتقل من الالهام في الادب الى الدراسات الادبية واهميتها للاستاذ عبد اللطيف احمد خالص ، ويتراءى لي ان الصديق الكريم قد خلط في مقاله فيما بين الدراسات الادبية والتاليف الادبي ذلك لان التاليف هو غير الدراسة ، ولان جمع الانتاج هو غير تحليله تحليلا مستفيضا وعميقا ويبدو هذا الخلط من الامثلة التي ساقها الاستاذ خالص على انها تدخل في باب الدراسات الادبية ، بينما هي في الواقع ينبغي ان تنضوي تحت باب التاليف .

واني غير متفق مع حضرة الكاتب فيما ذهب اليه من أن دور الدراسات الادبية قد « ينحصر في احياء فضول الاطلاع في نفوسنا ودعوتنا الى الرجوع الى هذه الماثر الخالدة » .

ذلك لان مثل هذه الدعوة يمكن القيام بها عن طريق الاحياء والجمع والتاليف وعن طريق الدراسات المركزة والمفصلة التي تمارس في نطاق الاسلوب العلمي ، الذي يحلل ويعلل ويستنتج ويضع الماثر في الغربال .

وكتب الاستاذ عبد المنعم خفاجة عن شاعر الاندلس ابن هانيء ، والمقال المشار اليه عبارة عن ترجمة لهذا الشاعر ، اكون على حق ان قلت انها لا تحمل عنصرا جديدا .

ولم يخل العدد الماضي من العناية بشأن التصوف وذلك بفضل « النظرة » التي القاها السيد عبد الحق حموش على تائية ابن الفارض ، وبهذه المناسبة اخذ الاستاذ عبد الحق يبحث عن اصل واشتقاق كلمة « التصوف » تلك الكلمة التي وقع حولها شيء غير قليل من التاويل والتضارب في بعض

الاحيان . انا شخصيا ، فاني اختار التعريف الـذي وصف الرجـل الصوفي بانـه « مـن لبس الصوف على الصفا وتبع طريق المصطفى وكانت الدنيا منه على القفـا »

ونلتقي بعد ذلك مع ابي الفتح الاسكندري بطل المقامات البديعية في مقال للدكتور فيكتور وابو الفتح الاسكندري شخصية تشبه شخصيـة ابـي زيـد السروجي في المقامات الحريرية .

اما الاستاذ محمد بن تاويت فانـه اختـار ان يكتب مقالـه في « سوف لا ، وهل لا » وهو مقـال يندرج فيما كتبه الحريـري في « ذرة الغـواص في اوهام الخواص » على انني لا ادري هل ما يزال العصر والظروف تسمحان بمثل هذه الصرامـة في اللسان العربي ام لا . ولعله من الاحسن ان نتساهل في هـذا الباب ما دام الامر لا يمس جوهر اللغة العربية ، حتى لا يجد خصوم التعريب مبررا من هـذه الصرامـة يشنعون بواسطته على اللسان العربي ، ويقولون عنها ما يقولون من انها « غـول » وبعد هذا نكـون قـد وصلنا الى « ساحة الميزان » في العدد الماضي ، وقـد تولى عملية الوزن فيه الاستاذ العربي الخطابي حيث سلك فيه مسلك علل النحويين فشم ولم يفـرك ، الا انـه — مع ذلك لم يفته ان يسجل بعض الملاحظات القيمة على ما نشر في ذلك العـدد .

والاستـاذ محمـد بن عبـد العزيـز الدبـاغ خصص مقاله في العدد الماضي لبعض الوثائـق التي اكتشفت في الاعوام الاخيرة ، وظهرت الى الوجـود والتي يرجع تاريخها الى عهد الموحدين وهذه الوثائق تتمثل في بعض الرسائل التي كتبها اشهر الكتاب وفي طليعتهم جعفر ابن عطية الذي يتميز نثره بطابع خاص يشبه احيانا في اسلوبه طريقة ابي حيان التوحيدي .

ثم يقـدم الينا الاستاذ البحاثة محمد المنوني « الامبراطورية الموحدية في دور الانحلال » ولئن كان هذا الموضوع يكون موضوع بحث منفرد ومستفيـض فان سعة الاطلاع التي عرف بها الاستاذ المنوني كـان من الممكن معها اختصار هذا الموضوع ولو في مقال .

ان معركة وادي المخازن تكون حدثا بارزا ومهما في تاريـخ المغـرب ، فاذا راينا الاستاذ عبـد الله العمراني يخصها بهذه الدراسة التحليلية التي نشرت على قسمين في « دعوة الحق » فلانها اصبحت حدثا بعد عن جدارة من « امجادنا الوطنية » ، ويبـدو ان الاستاذ العمراني قد سلك سبيل الدراسة العلميـة الذي ميز بحثه القيم عن سبيل نقل النصوص المجردة وكما هي .

وتناول الاستاذ ابراهيم حركات « نظم الحكم على عهد الوطاسيين » وقد احسن صنعا حينما بـوب هذه النظم وركزها ثم اختصرها ، وتلك هي الطريقـة الكفيلة بغربلة تاريخ المغـرب وتجريده من الحشـو الذي يشوش ويمل ولا يفيد .

ثم نلتقي بعد هذا مع الاستاذ مصطفى الغربي في مقاله عن « الحمايات الاجنبية ، واثرها في ماضينـا القريب » وهو اثر كان فظيعا في بعض الاحيان ، كما انه كان يبدو سخيفا في احايين اخرى ولئن كان مـن الطبيعي التنديد بـمباشرة الاجنـاس الذين كانـوا « يبيعـون » هذه الحمايات فان دواعـي الانصـاف تقضي كذلك بتوجيه اللـوم بل والتوبيـخ الى اولئك المواطنين الذين كانوا يشترون الفطرسة الاجنبيـة بثمـن التخلـي عـن قوميتهـم .

ونعود بعد هذا المقال الى شؤون الحديث .

وذلك في مقال الاستاذ حسن السائـح عـن « خصائص المدرسة الحديثية في المغرب » ، والواقع ان الاستاذ السائح قد تنـاول في مقالـه موضوعين اثنين ، هما منهاج المدرسة الحديثية المغربية ، ومنهاج السيرة النبوية ، في حين ان الاستاذ محمد بن عبـد الله يتناول شخصية الاستاذ محمد السائح والـد الاستاذ حسن السائح ، والفقيد يعد من خيرة الائمة المشاركيـن ، وفيما كتبه الاستاذ محمد بن عبد الله صورة حية لهذه المشاركة واسعة الارجـاء .

وهنا نصل الى الصفحة الواحدة والثمانين مـن مجلة دعوة الحق لنطلع على « شؤون الوقت » والاستاذ المهدي البرجالي هو الذي تعود ان يتنـاول « شؤون الوقت » في هذه المجلة ، وبحثه في العدد الماضي عن « الجامعة الذرية الاوربية واصولها الدولية وتطورها وآفاقها المستقبلة » .

وكان بودي ان يقع التعريف بالجامعة الاوربيـة الاقتصادية قبل الجامعة الذرية لما اصبح للاولى مـن تاثير ملحوظ في اقتصاد القارة الافريقيـة ، ثم ان الاقتصاد ، قبل ذلك هو الذي اصبـح الآن الموجـه الحقيقي للشؤون الدولية ، بل وحتى للذرة نفسها .

ومن الذرة ننتقل الى الاسرة وذلك في مقـال السيدة فاطمة التهامي عن « تطور وظائف الاسـرة

واسبابه » ، وهو مقال تربوي مبسط الا انه كان من الاحسن الا ياتي عند ترتيب مواد المجلة في اعقاب الكلام على الندرة .

وبعد هذا ينفتح امامنا باب « ديوان المجلة » محتويا على مختارات من شعرنا القديم ، وعلى ثلاثة قصائد من شعرنا الحديث ، واولى هذه القصائد للشاعر محمد البوعناني ، اسماها « الضمير السكران » واختار لها قافية « عارية » والواقع ان القصيدة تعتبر لغة واسلوبا من الشعر الرصين الاصيل وهي بين التشاؤم والتفاؤل .

وتأتي بعدها القصيدة الثانية للشاعر ادريس الجاي في عيد الاستقلال ، وادريس الجاي شاعر بطبعه ما في ذلك من شك وهو من « قدماء المحاربين » الا اني اقترح عليه أن يجنب قصائده كلمات : الركل واللطم والصفع حتى لا يتقلب مشهد الملاكمة على الصورة الشعرية .

اما ثالثة القصائد فهي « غريب على الاحباب » للشاعر محمد العلمي ، ويبدو ان السيد العلمي تشاءم اكثر من اللازم ، حتى انه تنبأ لنفسه بأنه سيشوى وذلك حينما قال :

اعيش على جمر الغضا متقلبا
وفي لهب الذكرى القريبة قد اشوى

وانه ليعز علينا ان يشوى بعض شعرائنا، فلتشو الخرفان بدلهم ، وفداء لهم .

وننتقل من ديوان المجلة لنعرج على « معرض الكتب فيها » وفيه يقدم الاستاذ عبد القادر زمامة كتابين ، احدهما عن شعر الخوارج ، والاخر عن الامثال ، وكنت اود أن ينتهز الاستاذ زمامة فرصة الحديث عن بلاغة امثال العربية فيقدم نماذج منها من « كتاب الامثال » للميداني ، وبعد ذلك نصل الى قصة العدد او اقصوصة العدد او صورة من حياتنا الاجتماعية بأصح تعبير ، وفيها يقدم السيد احمد عبد السلام البقالي صورة عادية عن الحياة الاجتماعية في البادية المغربية ، وياتي بعد ذلك باب « فتاوي دعوة الحق » وهو يتناول موضوعا خطيرا لا يمكن اشفاء الغليل فيه بفتوى عابرة ، وانما بواسطة دراسات اجتماعية معززة بالاحصائيات والمقارنات تبين ما لتحديد النسل وما عليه ، وايهما اكثر استئذانا من المجتمعات وخصوصا منها المتخلفة ، ثم يختتم العدد الماضي بالبريد والانباء الثقافية التي تقدم دعوة الحق فيها الى القراء اهم الاحداث الثقافية في العالم كله .

وبعد فأرجو ان اكون قد قدرت المسؤولية في عملية الوزن ، وارجو ان اكون قد وزنت وبالقسطاس المستقيم .

الرباط : احمد زياد

فوضى !!!

اجمعوا امرهم عشاء فلما
اصبحوا ، اصبحت لهم ضوضاء
من مناد ، ومن مجيب ، ومن تصـ
ـهال خيل ، خلال ذاك رغاء

الحارث بن حلزة

تعريف بالدولة المرينية

للأستاذ : محمد المنوني

لم يتوفر المرينيون على القوة والنظام اللذين كانا لدى الموحدين ، وهذا من الاسباب التي جعلت بني مرين لا يستطيعون استعادة المملكة الموحدية بشمال افريقيا والاندلس ، وانما توزعت هذه الامبراطورية ـ حسب المقال السابق (1) ـ بين الحفصيين بتونس وبني عبد الواد بالجزائر .

اما في الاندلس فقد تقاسم معظم القواعد الاسلامية بها القشتاليون والقطلانيون ، وآلت رقعة صغيرة في الجنوب الى بني الاحمر ابتداء من سنة 629 (2) ـ 1231 .

وبهذا لم يبق قارا للمرينيين سوى المغرب الاقصى الذي ابتدا ظهورهم به اواخر سنة 613 / 1216 (3) ايام الامير الاول عبد الحق بن محيو ، ثم قامت الدولة بصفة حقيقية سنة 616 ـ 1219 ، في عهد عثمان بن عبد الحق (4) ، وفي ثاني محرم 668 ـ 1269 ، استولى يعقوب بن عبد الحق على مدينة مراكش حيث انقرضت الدولة الموحدية (5) ، ومن بعد هذا الحادث اخذ يعقوب يتلقب بأمير المسلمين بدل لقب « الامير » الذي كان يدعى به (6) ، لما كان هو ومن تقدمه من المؤسسين الاولين يقيمون الدعوة للموحدين ثم للحفصيين القائمين بتونس (7) .

ثم تابع يعقوب الاستيلاء على ما تبقى من الجهات خارجا عن نفوذه الى ان اتسق له سائر المغرب الاقصى ، بما في ذلك المغرب الشرقي والساقية الحمراء (8) ، مع سبتة التي ابقاها في ولاية العزفيين مقابل ضريبة سنوية للخزينة المغربية (9) ، ثم اندمجت ـ بعد ـ في حظيرة الوطن الكبير اواخر عهد ابي سعيد الاول سنة 728 / 1328 (10) .

وقد امتدت المملكة المغربية ايام ابي سعيد هذا في الجنوب الى معاقل الصحراء وقصور توات وتيكورارين وتنمطيت (11) .

كما امتد المرينيون في فترات خارج المغرب الاقصى ، فامتلك يعقوب الاندلس 53 مسورا ما بين

---

1) « دعوة الحق » العدد الثاني ، السنة الثامنة .
2) « العبر » ج 7 ص 190 ـ « روض القرطاس » ص 197 .
3) « الذخيرة السنية » ص 25 ـ «روض القرطاس » ص 205 .
4) « الذخيرة السنية » ص 35 ـ « روض القرطاس » ص 207 .
5) « الذخيرة السنية » ص 133 .
6) المصدر الاخير ص 134 .
7) « المقدمة » لابن خلدون ـ المطبعة البهية بمصر ص 200 .
8) « الذخيرة السنية » ص 98 ـ « روض القرطاس » ص 214 ـ « العبر » ج 7 ص 206 .
9) « الذخيرة السنية » ص 98 ـ « روض القرطاس » ص 214 .
10) « العبر » ج 7 ص 247 .
11) المصدر الاخير ج 7 ص 244 .

مدن وحصون ، زيادة على القرى والبروج التي تزيد على 300 (12) ، وكان الحد بينه وبين المملكة النصرية هو حصن ذكوان بمقربة من مالقة (13) .

كما ان يوسف بن يعقوب بسط نفوذه على نواحي كثيرة من القطر الجزائري (14) ، وفي بعض ايام ابي الحسن توحد المغرب العربي تحت قيادته من السوس الاقصى الى مسراته قرب الحدود المصرية ، زيادة على انفساح هذه المملكة الى (رندة) بالاندلس (15) .

وفي ايام ابي عنان بن ابي الحسن برقت بارقة لاستعادة وحدة المغرب العربي ثم سرعان ما خبت (16) .

اما الفترة الواقعة بعد عهد ابي عنان الى نهاية الدولة فلم يحدث فيها امتداد منظم نحو شرق المغرب ، ولا يستثنى من هذا سوى غارات عابرة ارتجلها ملوك وحكام مرينيون (17) .

* * *

وقد امتدت قوة الدولة المرينية حتى ايام ابي الحسن ، ثم اخذت في التراجع تأثرا بعدة عوامل: فهناك الضعف الذي نزل بالجيش بعد موقعتي طريف (18) والقيروان (19) ، حيث انقطع العبور المريني الى الاندلس ، وفشلت محاولة استعادة الامبراطورية الموحدية في شمال افريقيا .

وهناك – بدا تفوق دولتي اسبانيا والبرتغال في القوى البحرية والبرية (20) ، وهناك – مرة ثالثة – العواقب الخطيرة التي نجمت عن وباء 749 / 750 – 1348 ، وفي المقدمة (21) وصف دقيق لاثار هذا الوباء الذي اصاب المغرب والشرق معا ، وفيما يخص عواقبه في الامم الغربية ، يذكر ابن خلدون انه « تحيف الامم ، وذهب باهل الجيل ، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها ، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها ، فقلص من ظلالها ، وفل من حدها ، واوهن من سلطانها ، وتداعت الى التلاشي والاضمحلال احوالها ، وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر ، فخربت الامصار والمصانع ، ودرست السبل والمعالم ، وخلت الديار والمنازل ، وضعفت الدول والقبائل ، وتبدل الساكن ! » .

هكذا يصف ابن خلدون عواقب هذا الوباء التي ساوقت – بالمغرب – ضعف القوة المرينية وتفوق جيرانها ، فكان من ذلك كله التراجع الذي نزل بالدولة ، والذي لم يظهر كثيرا في ايام ابي عنان ، وانما ظهر بعد وفاته ، حيث دخلت الدولة في فترتها الثانية .

وقد كان من نتائج ضعف الدولة في هذه الفترة ان تعرض عدد من الملوك المرينيين للحجر من طرف الوزراء او الحجاب (22) ، كما صار للملك النصري محمد الغني بالله تدخل في سياسة المغرب الداخلية اثناء هذا الدور (23) ، مما ادى الى اضافة سبتة

---

(12) « الذخيرة السنية » ص 98 .
(13) « روض القرطاس » ص 284 .
(14) المصدر الاخير ص 284 .
(15) « العبر » ج 7 ص 270 .
(16) المصدر الاخير ج 7 ص 296 / 298 / 301 / 302 .
(17) نفس المصدر ج 7 ص 302/303/311/328/348/349/361/362 .
(18) هي موقعة « ريو سالادو » التي يقول عنها ابن الخطيب في الاحاطة : (وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهي المعضلة الداء والارزاء ، التي تضعضع لها ركن الدين بالمغرب وقرت لها عيون الاعداء) « شذرات الذهب » ج 6 ص 128 ، ومن بين المصادر التي تحدثت عن هذه الموقعة « العبر » ج 7 ص 261 / 262 .
(19) من المصادر التي تحدثت عن موقعة «القيروان» « العبر » ج 7 ص 273 / 276 .
(20) الاستقصا ج 2 ص 155 / 156 .
(21) ص 27 .
(22) انظر العبر ج 7 ص 299 / 312 / 317 / 336 مع الاستقصا ج 2 ص 144 / 150 .
(23) العبر ج 7 وبالخصوص : ص 349 مع الاستقصا ج 2 وبالخصوص ص : 134 .

للاندلس واقتطاعها من المغرب (24) الذي استطاع ان يسترجعها ـ بعد ـ لحظيرته (25)، وفي هذه الفترة ـ ايضا ـ تنازل الوزير المتغلب عمر ابن عبد الله الياباني عن مدينة رندة بالاندلس لفائدة الغني بالله ابن الاحمر وقت عزله عن الملك وفراره، وذلك اواخر سنة 762 ـ 1360 (26)؛ وبعد هذا تم للغني بالله ـ بعد عودته الى ملكه ـ الاستيلاء على جبل طارق فمحا بذلك دعوة بني مرين مما وراء البحر (27).

ومن العواقب الوخيمة لهذا الانحلال ان تعرض المغرب اواخر العهد المريني لاحتلال بعض شواطئه فاستولى البرتغال على مدائن سبتة 818 / 1415 (28) وقصر مصمودة القصر الصغير (29) 863 ـ 1458 ثم طنجة 869 ـ 1364 (30) وهو التاريخ الذي انتهت فيه الدولة المرينية في 27 رمضان بعد ما استمرت 253 عاما.

* * *

وكانت عاصمة الدولة المرينية هي فاس التي ابتنى يعقوب بن عبد الحق غربيها المدينة البيضاء « فاسا الجديد (31) » مقر الجهاز الحكومي للدولة.

والى جانب العاصمة المركزية توجد مدن اخرى بمثابة عواصم ثانوية، ولهذا ابتنى بها الملوك المرينيون قصبات خاصة، فقد اسس يعقوب بن عبد الحق القصبة المرينية شرق مدينة مكناس (32)، وبالاندلس ابتنى نفس الملك البلد الجديد على الجزيرة الخضراء (33) وهو الذي يسميه ابن مرزوق (34) « البنية »وبنى يوسف بن يعقوب مدينة « المنصورة » بجوار تلمسان (35) ثم بنى ابو سعيد الاول على سبتة: القصبة المسماة « افراك (36) »، وجدد ابو الحسن بنيتي تلمسان وسبتة حيث اطلق على كل واحدة منهما اسم « المنصور » (37).

* * *

اما اهم المدن المغربية في العهد المريني فهي حسب مركزها الاقتصادي انذاك:

فاس ومراكش، سجلماسة، مكناس، سبتة، اسفي وانفا، وسلا والرباط، طنجة وتازى، اغمات، ازمور (38).

وبالرغم من كون المرينيين لم يوفقوا في تحقيق كل برامجهم فان اهمية عصرهم تبدو في الطابع القار الذي طبع به المغرب في كثير من مظاهره:

فالى العصر المريني يعود التنظيم الجديد لشمال افريقية حيث تأسست الدولة المغربية تأسيسا جديدا. والى هذا العصر يرجع استقرار كثير من العادات والتقاليد المغربية وتنسيق التشريع المغربي.

---

(24) العبر ج 7 ص 350.
(25) المصدر الاخير ج 7 ص 354.
(26) نفس المصدر ج 7 ص 317.
(27) نفس المصدر ج 7 ص 339.
(28) الاستقصاء ج 2 ص 147.
(29) المصدر الاخير ج 2 ص 149.
(30) نفس المصدر ج 2 ص 150.
(31) الذخيرة السنية ص 186 / 187 ـ روض القرطاس ص 232 ـ العبر ج 7 ص 195.
(32) الذخيرة السنية ص 188 ـ روض القرطاس ص 295.
(33) روض القرطاس ص 264 / 273.
(34) « المسند الصحيح الحسن » الباب الاول.
(35) روض القرطاس ص 254 ـ العبر ج 7 ص 221.
(36) العبر ج 7 ص 247.
(37) انظر المسند الصحيح الحسن ـ الباب الخمسون.
(38) قطعة من « مسالك الابصار » لابن فضل الله العمري تشتمل على قسم الممالك من الكتاب، وتقع اول مجموع، ورقة 106 ب ـ « نسخة خاصة ».

وايضا تتجلى قيمة هذا العصر في العمل القيم الذي اسهم به المغرب ـ حكومة وشعبا ـ في بعث الحضارة الاسلامية بعد ما كادت تقضي عليها عواصف الحروب الصليبية في الغرب (39) ، وفي الشرق الذي اصيب ـ اكثر ـ بكارثة النسف التتري لسائر مظاهر الحضارة والعمران في اكثر جهاته (40) .

وان هذه العواصف التخريبية التي طافت بالمغرب والمشرق معا كانت احد الاسباب لقصور الحضارة المرينية عن الحضارة الموحدية .

ومن مزايا العصر المريني انه استطاع ان يؤخر كارثة الاندلس بنحو قرنين من الزمن لما بذل المغرب من دفاع مجيد عن الاندلس .

وبعد هذا فان المغرب مدين لعظماء المرينيين بما قاموا به من انعاشه بعد الخراب والفوضى اللذين خيما على ربوعه في اعقاب العصر الموحدي حيث انتكست الحضارة المغربية انتكاسا .

وقد كان اول ما بدأوا به هو اعادة اقرار الامن بالمغرب ، قال في « البيان المعرب » (41) لما ذكر قيام بني مرين :

« ... فما قدموا عملا من الاعمال قبل تمهيد البلاد ، والضرب على ايدي اهل الضرر والفساد ، فامنوا السبل ، وسدوا الخلل ، فاتسعت احوالهم ، وانبسطت آمالهم ، فصار اهل تلك البلاد يعظمونهم غاية الاعظام ، ويعاملونهم بالبر والاكرام » .

وبعد استقرار الامن بالبلاد اخذوا في تنفيذ برامجهم في الدفاع عن الاندلس ، وقد كان نجاحهم ـ اكثر ـ في تشجيع العلم واقامة معالم العمران . وبذلك كله حققوا كثيرا من الآمال التي كان المغاربة يعلقونها على هذه الدولة الجديدة ، والتي عبر عنها الشاعر المغربي الكبير مالك ابن المرحل اثناء قصيدة (42) قدمها ليعقوب بن عبد الحق في التهنئة بفتح مراكش ، وقد بث فيها الآمال التالية :

من سنة الله ان يحيي خليقته ... على يديك وان يكفيهم النقما

وان يقيم بك الاسلام من اود ... وان يديم بك الاحسان والنعما

الرباط : محمد المنوني

---

(39) في خصوص الكتب العلمية يسجل في « الذيل والتكملة » اثناء ترجمة ابي المطرف ابن عميرة : ان المسيحيين ابتذلوا ذخائر دواوين العلم اثناء استيلائهم على قرطبة وكثير من بلاد الاندلس سواها « نسخة المكتبة الملكية » بالرباط ج 1 رقم 269 .

(40) من المصادر التي تحدثت عن غارة التتر وآثارها « الكامل » لابن الاثير ج 12 ص 137 / 139 / 145 . وقد عاصر مؤلفه هذه الحادثة ، وانظر ـ ايضا ـ الذخيرة السنية ص 55 ، وتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي ص 26 .

(41) ج 4 ص 408 ـ الطبعة الاولى بتطوان .

(42) القصيدة واردة في الذخيرة السنية ص 135 / 137 .

قال : « العتبي » لرجل من البادية (يا أخي ، اني لاعجب من أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا وعوامكم اظرف من عوامنا ، ومجانينكم اظرف من مجانيننا)

فقال الرجل : (وما تدري لم ذاك ؟) فقال : (لا) قال : (ذلك من الجوع ، الا ترى ان العود انما صفا صوته لخلو جوفه) .

جمهورية أبي رقراق

للأستاذ : إبراهيم حركات

هجرة الموريسكيين

منذ دخلت امارة غرناطة تحت الحكم الاسباني سنة 898 في اوائل عهد الوطاسيين ، استمر المسلمون يؤدون طقوسهم الدينية في عين المكان ، مع شيء من الحرية . على ان عددا منهم كانوا يعيشون في كنف الممالك الاسبانية منذ عهد المرابطين. وكان الاسبانيون يسمونهم يومئذ بالمدجنين الذين كانوا ارقى حضارة من المسيحيين . اما امارة غرناطة ، فقد اطلق الاسبانيون على مسلميها ، اسم الموريسكيين ثم اصبحوا يطلقونه على كل مسلمي اسبانيا .

الا ان الموريسكيين لم ينعموا طويلا بالحرية الدينية التي خولتها لهم شروط تسليم غرناطة فقد عرف القرن السادس عشر الميلادي افظع مظاهر الاضطهاد الديني ، ليس فحسب في اسبانيا بل حتى في معظم البلاد المسيحية التي تطور التناحر فيها بين الكاثوليكية والبروتستانية الى حد ان امتدت الحروب في بعضها نحو اربعين سنة . واخيرا ، كان التحمس للكاثوليكية يكتسي طابع التعصب المفرط في البلاد الاسبانية التي قرر ملكها فيليب الثاني ان يشهر الحرب ضد جميع الامم التي لاتتمذهب بالكاثوليكية ، واحرق من اجل ذلك في اسبانيا حوالي عشرة آلاف شخص في مدة ثمان عشرة سنة ، واحدث محاكم التفتيش التي كان ضحيتها المسلمون ايضا ، فقد اتهموا بالتآمر على الدولة ، والزموا بالدخول قهرا في المسيحية . وفي غمرة هذا القمع ، كان معظمهم يحتفظ بتقاليده ودينه الذي يضطر الى ممارسة شعائره خفية ، على الرغم من انهم قد تركوا مكرهين اللغة العربية التي احتفظوا منها بالخط ، وكانوا يكتبون به الاسبانية او اللهجة العامية . ففي سنة 1568 م امر اسقف غرناطة ، أن يلزم ابناء المسلمين ، ابتداء من الخامسة من عمرهم ، الى سن الخامسة عشرة ، بتعلم اللغة الاسبانية ، وتلقي تعاليم الديانة المسيحية. وظلوا مع هذا ، متمسكين بحبهم لوطنهم بشكل غريب حتى انهم حاولوا بعد ان اهينوا في انفسهم ودينهم واموالهم ، أن يشهروا الحرب على النصارى فتكتلوا تحت زعامة محمد بن أمية الذي يحتمل ان يكون من سلالة اموبي الاندلس وكانت ثورتهم بضواحي غرناطة بجبل البوشرات ، ولكن حب الرئاسة اعمى أحدهم ، وهو المدعو ابن عبو ، الذي اغتال ابن أمية ، ليتفرد بزعامة المسلمين . ومن ثم اصبحوا اكثر تعرضا للاضطهاد الديني والسياسي ، خصوصا بعد أن استغاثوا بالاتراك فلم ينجدوهم ، وكانوا هم انفسهم في حرب مع الاسبان في حوض البحر المتوسط . وهكذا ارغموا على مغادرة الاندلس في هجرات متعاقبة فيما بين 1609 و 1614 ، وكان معهم عدد كبير من اليهود .

وقد تقاطر الموريسكيون على عدد من الاقطار الاسلامية بما فيها مصر والشام وتركيا . ولكن افريقيا الشمالية استقبلت اكبر عدد منهم ، وخصوصا النواحي الشمالية من المغرب وتونس . وقد تعرض كثير منهم للنهب وسبي بناتهم من طرف الاعراب ، قبل ان يتمكنوا من الاستقرار نهائيا بالمراكز التي اختاروها. وقد توجهت فئة منهم الى تطوان التي كانت بها جالية اندلسية قدمت في عهد الوطاسيين وباشرت نشاط القرصنة منذ مطلع القرن العاشر . وكانت تطوان توجه حملاتها في نفس الوقت الى البرتغال المجاورين لها بسبتة وطنجة واصيلا .

اما أهم مركز استقر به الموريسكيون ، فهو الرباط وسلا ، حيث قاموا بنشاط عظيم في غزو البواخر الاجنبية والاستيلاء عليها .

وكان المغاربة يطلقون على جميع المسلمين واليهود القادمين من الاندلس ، نسبة الاندلسيين . وعلى أي حال ، فان الموريسكيين كانوا على جانب عظيم من الحضارة ، وكانوا متفوقين في الميدان العسكري والعمراني . وقد قدموا الى المغرب وغيره من الاقطار الاسلامية يحملون شعورا مزدوجا بالحنين الى وطنهم الاصلي ، مع التمسك بدينهم وتقاليدهم وكان اختلاف الاوضاع الاجتماعية عما الفوه في اسبانيا يحدو بهم الى حب الانعزال والتكتل وكراهة الخضوع لغيرهم . وكانت لهم مهارة خاصة في الفلاحة والصناعة ، وبفضلهم ، نمت حاصلات اسبانيا الزراعية ، ومنتجاتها الصناعية من ثياب واوان وزجاج وزيت وغير ذلك مما كانت هذه البلاد تصدره الى الخارج ، حتى ان اسبانيا بعد طردها للموريسكيين قدتأخرت كثيرا فيزراعتهاوصناعتها ، ولولاالذهب الذي درته عليها امريكا لازدادت انحطاطا . ومهما يكن من شيء ، فقد استمرت في تقهقر ملحوظ الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث لم تنهض من سباتها الا بفضل الموارد التي جنتها من حركة السياحة كما هو معلوم .

وقد استخدم الملوك السعديون كثيرا من الموريسكيين في الجيوش المحاربة في السودان والمغرب ، على الرغم من انهم لم يقيموا على اخلاص دائم للدولة .

نشأة جمهورية أبي رقراق

كان القادمون من الموريسكيين الى البلاد الاسلامية :

1 من بلنسية وهم اول من قرر في حقهم الطرد سنة 1609 .

2 من قشتالة ، واسترامادور . وكان من القادمين الى المغرب من هذه الناحية الاخيرة موجة وردت من حرناشو Hornacho وهي مدينة صغيرة في الجنوب الشرقي لماردة . وكانوا يزورون العملة الاسبانية وغيرها . ولما خشوا من معاقبة محاكم مدريد ، هاجروا طواعية الى الرباط فاستقروا به اواخر سنة 1018 (1609 م) ــ 3 من ارغون وجنوب الاندلس سنة 1019 (1610 م) ــ 4) من قطلونيا سنة 1020 (1611 م) ــ 5) من مرسية 1023 (1614 م) .

وقد استقر الحرناشيون بقصبة الاوداية ، وانضموا بذلك الى الجالية الاندلسية التي هاجرت اليها من قبل ، ثم استقدموا موريسكيين آخرين من مختلف نواحي المغرب ، وعمروا مدينة الرباط كما استقر عدد منهم بسلا .

وكان الحرناشيون ذوي ثروة ضخمة ، ومهارة في استعمال الاسلحة النارية ، مما جعل زيدان ابن المنصور ، يجند منهم حوالي اربعمائة ، لمحاربة ابي حسون في ناحية درعة . وبما انه ابطأ في اداء رواتبهم ، فقد فروا من الجيش عائدين الى الرباط وسلا . وقد بداوا يباشرون القرصنة في المحيط الاطلسي بمجرد استقرارهم ، ويقدمون عشر مواردهم الى السلطان زيدان الذي اعترف لهم بهذه الطريقة ، بمباشرة القرصنة ، ولكن عدم مساعدتهم له عسكريا ، جعلته يلجأ الى تسليط ابي عبد الله العياشي عليهم .

وفيما يخص طريقة الحكم بالرباط ، فقد كان الاندلسيون قبل قدوم الحرناشيين يقبلون سلطة القائد الذي تعينه الدولة ، دون ان تكون له سلطة حقيقية عليهم ، ثم طردوا القائد ، واختلف الحرناشيون سكان القصبة مع سكان سلا . وكونوا في الاخير مجلسا للحكم ، نصف اعضائه من الرباط والنصف الآخر من سلا ، بعد ان كان الحرناشيون مستبدين وحدهم بالحكم . وهكذا تشكلت جمهورية حقيقية بحوض ابي رقراق ، ابتداء من سنة 1614م (1023هـ)

على ان الحديث عن التطور السياسي لهذه الجمهورية غير ممكن ، الا بالحديث عن شخصية العياشي ودوره ، بالاضافة الى تدخل الدلائيين .

شخصية العياشي

محمد بن احمد المالكي الزياني المعروف بالعياشي ، ينتمي الى بني مالك بن زغبة من قبائل بني هلال التي استوطنت الغرب . وهو تلميذ الولي عبد الله بن حسون احد صلحاء سلا . وفي سنة 1013 بعيد وفاة المنصور السعدي ، استقر بناحية آزمور ، حيث شاع هناك فضله ورغبته في الجهاد حتى ولاه زيدان قيادة آزمور وناحيتها بناء على طلب السكان . وهناك تصدى لحرب البرتغال الذين كانوا يقيمون بالجديدة فوفق في الحصول على غنائم كثيرة في حروبه معهم ، كما كان يبعث بالاسرى منهم ، الى زيدان السعدي ، ولكن حاشية السوء ، اوعزت الى السلطان بالقضاء عليه ، حتى لا يتسع نفوذه ،

فبعث باربعمائة فارس لمحاربتـــه ، بقيـــادة محمد السنوسي ، ولكن القائد اشفق عليه ، فاشار عليـه بالاقلات ، وحينئذ انسحب العياشي الى سـلا مـن جديد ، فاجتمع عليه سكانها ، وحثوه على ان يقـود حركة الجهاد ضد البرتغال الذين كانـوا يحتلـون المعمورة ، ويجراون على التحرك بناحية الغرب حتى وادي المخازن ، كما كانوا ينبثون بالغابة المجـاورة ، يقتطعون خشبها ويستصلحونه لحاجياتهم كصناعـة السفن وغير ذلك . ووفق في حملته الاولى الـى ان يقتل منهم عددا كبيرا ، فلم يجـراوا على مغـادرة المعمورة ، وحينئذ ، امر زيدان قائـده الزعـروري بالقبض على العياشي ، ولكن الزعروري لم يعجـل بذلك ، بل اطلق عليه الجواسيس لتتبـع حركاتـه ومعرفة نواياه . واثناء ذلك جرى نزاع بين الجالية الاندلسية وقائد سلا ، حيث رفض هؤلاء المشاركـة في حملة جديدة وجهت الى درعة ، ونهبوا دار القائد، ثم قتلوا خلقه عجيبا . اما العياشي ، فقـد انسحب الى داره ملازما للصمت ، فتواردت عليه الشكايـات من التجار والمسافرين الذين صاروا عرضـة للنهب، وكانت سلا قد اصبحت بدون وال ، فطلب منهـم العياشي ومن رؤساء القبائل الوافدين ان يوقعوا لـه ميثاقا يلتزمون بموجبه ، بمساعدته وترشيحـه عـن طواعية لتدبير شؤونهم . وهكـذا ضمن العياشـي لنفسه وجودا قانونيا كحاكم سياسي واداري يمتـد نفوذه من تامسنا الى تازا ، ثم هاجم البرتغال بالمعمورة، كما هاجمهم بالعرائش والجديدة وطنجة .

العياشي يحارب القراصنة

ومعظم حملاته ، كان يساعده فيهـا قبائـل العرب . اما الموريسكيون فقد عملوا في اغلب الاحيان لحسابهم في عرض البحر ، حتى تفاقم خطرهم على السفن الاجنبية ، واضطر القبطان الانجليزي مايـن وارين ، الى ان يفاوضهم في فـداء كـل اسـرى المسيحيين . وكانوا يبلغون في تحركاتهم شواطـيء اسبانيا ويحملون الاعلام الاسبانية فيخدعون السفـن التي تصادفهم

وكانوا يعطون عشر مواردهم واسراهم الى السلطان زيدان الذي كان معجبا بنشاطهم ، حتى لقد فكر ان يعهد الى احدهم ، وهو يوسف بسكاينو ، بقيادة تافيلالت او السودان ، ثم رغب ان يستفيـد مـن مواهبهـم العسكرية ، فجند منهم كما تقدم حوالي اربعمائـة لمحاربة ابي حسون ، ولكنهم رفضـوا التجنيـد في حملة ثانية ، وعمدوا الى قائد سلا فقتلوه سنة 1034 (1624 م) ، حتى اذا اصبحوا سادة البلد ، طـردوا سكانه الاصليين ، وكونوا مجلسا سموه بالديـوان ، وعينوا حاكما ينتخب لمدة سنة . وكانت انجلترا أول من اعترف بالجمهورية الجديدة ، مما جعلهم يحررون ازيد من 190 اسير انجليزي . وكان دور الحرناشيين كما سلف ، بارزا في نشاط هذه الجمهورية . وقـد رحب العياشي بثورتهم على السلطان زيدان ، بينمـا ساعدوه من جهتهم ، على مهاجمة الاسبان مدة ، ثم ملوا مواصلة الحرب الى جانبه ، واختـاروا البقـاء مستقليـن .

وفي سنة 1039 (1630 م) توصل الحرناشيون والاندلسيون الى اتفاق يقضي بأن يقطـن القائـد المنتخب بالقصبة ، وان ينتخب كل من الطرفين نصف اعضاء الديوان ، على أن يجتمعوا كافة بالقصبة .

واثناء مهاجمة العياشي للمعمورة ، تأكـد لـه ان الموريسكيين لم يكونوا متحمسين لمحاربة النصارى، وانهم على العكس من ذلك ، كانوا يبطلون خططـه ، ويقدمون اليهم المؤونة ، حتى استصدر فتوى بجواز قتالهم ، بعد ان لاحظ خيانتهم . وكان ممن افتى بذلك، الشيخ العربي الفاسي والشيخ عبد الواحد بن عاشر، الذي لمس عن كثب موقفهم . وهكذا اضطـر الى ان يعلن عليهم الحرب خصوصا بعد ان رفضوا ان يمدوه ببعض المدافع ؛ لمهاجمة المعمورة . وحينئذ ، اقتحـم سلا القديمة سنة 1040 (1631) ، وبقي يحـرس الميناء ، بينما استقر ولده بشالـة ، دون ان يكـون لتدخله نتائج ايجابية . على انهم فضلوا الخضـوع لسلطة الوليد بن زيدان الذي كان هو نفسه مـن أم اسبانية ، ولكـن حصار العياشي للموريسكيين لم يزدهم الا عنادا . وقد امدهم الاسبان بالمؤن مما جعل العياشي يخفف من ضغطه عليهم شيئا فشيئا ، بينما كان يعمل على استرجاع ثغـور اخرى .

وفي سنة 1045 (1636) حدث نزاع بيـن الحرناشيين والاندلسيين الذين طردوا هـؤلاء مـن القصبة ، فالتجأوا عندئذ الى العياشي ، ولكنه كـان مشغولا في جهات اخرى ، مما جعل حاكـم سـلا الجديدة ينتهز الفرصة للاستيلاء على سلا القديمة . واثناء ذلك قدمت بواخر انجليزية لحصار القراصنة ، بعث بها ملك انجلترا شارل الاول ، لفك عدد من أسرى بلاده ، ثم زحف محمد الشيـخ الصغيـر في نفس السنة المذكورة متجها نحو الرباط وسلا . اما العياشي

فقد اكتفى بتخريب نواحيهما ، واعترض جيوش السلطان التي لم تتمكن من تجاوز فضالة . وفي سنة 1046 (1637) انقسم قراصنة ابي رقراق الى ثلاث فرق ، احداها مستقلة بزعامة القصري ، والثانية تناصر السلطان ، والثالثة تناصر العياشي . واخيرا، اعترف القراصنة جميعا بسيادة السلطان الذي عفا عن القصري ورده الى قيادته . اما العياشي فقد اشتبك في حروب مع نصارى الجديدة ، وقتل حاكمهم في احدى المعارك سنة 1640 ، ثم عاد الى محاربة الموريسكيين الذين التجأوا الى الاستنجاد بالدلائيين

وبعد محاولات سلمية قام بها الدلائيون لاقناع العياشي بالعدول عن قتالهم ، اشتبكوا معه في حروب متواصلة ، الى ان هزموه بازغار ، فالتجأ الى الخلط الذين اغتالوه سنة 1051 (1641) ، واصبحت سلا والرباط تحت سلطة الدلائيين الى ان خضعتا للدولة العلوية ، ومع ذلك ، فقد استمر الموريسكيون يباشرون القرصنة الى اواسط القرن التاسع عشر .

ولقد باشر الاندلسيون القرصنة في مراكز اخرى غير ابي رقراق ، ولا سيما أهل تطوان الذين كانت لهم علاقات دبلوماسية وتجارية مع عدة دول اجنبية الا ان القضاء على حكم اولاد المنظري ثم اولاد النقسيس لم يمكنهم من الاستمرار في نشاط القرصنة على غرار اندلسيي أبي رقراق الذين كونوا رأس مال القرصنة ، بفضل الثروات الطائلة التي قدموا بها من اسبانيا .

قوة القراصنة البحرية

لم تكن لدى قراصنة ابي رقراق فيما ترويه بعض الوثائق اكثر من اربع بواخر سنة 1026 (1617) ثم اصبحت في سنة 1036 (1626) تبلغ الستين . وقد اقترح قائد اسطول فرنسي على ريشيليو وزير فرنسا المشهور ، ان يسمح باغراق باخرة فرنسية في حوض ميناء ابي رقراق ، حتى يضطر السلطان الى عقد اتفاق مع فرنسا ، من شانه ان يوقف القرصنة الموريسكية التي كانت حسب هذا القائد ، تستولي على اكبر عدد من البواخر الفرنسية ، بالقياس الى مراكز القرصنة الاخرى . وهكذا يضطر القراصنة الى تحرير الاسرى الفرنسيين . وعلى الرغم من أن الاسطول الفرنسي طبق هذه الخطة فعلا ، فانها لم تؤد الى نتيجة .

ثم نزل عدد البواخر الاندلسية الى 22 سنة 1044 (1635) ، والى عشرين سنة 1058 (1647) وكانت بواخرهم تجلب في الغالب من أروبا ، كما كانوا يصنعون عددا منها بمساعدة الهولنديين في عين المكان وكانوا يصلون في مغامراتهم الى الشواطي الانجليزية، ويهاجمون السفن الاجنبية على غرة لانها تأمن جانبهم حيث كانوا يرفعون الاعلام الاسبانية ايهاما .

علاقة القراصنة بالنصارى

كان للقراصنة علاقة دبلوماسية مع كل من هولندا وفرنسا وانجلترا ، وقد كان لليهود دور في السمسرة التجارية بين القراصنة وهولندا ، وكان القراصنة يضايقون أشد المضايقة ، سائر المراكب التي تخرج للصيد في عرض المحيط الاطلسي ، حتى ان فرنسا فكرت في عهد لويس الثالث عشر ، ان تضمن سلامة صيدها بحراسة قوية كل سنة ، لتمنع خروج القراصنة من سلا ايام الصيد ، الا انها لم تستطع تحقيق هذه الخطة ، اذ اضطرت الى عقد اتفاق في عهد لويس الثالث عشر سنة 1038 (1629) و1039 (1630) ، يقضي بارجاع كل باخرة احتجزها احد الطرفين من الآخر ، وان تفتح موانيء كل من الفريقين، لتجارة الطرف الآخر ، ويسمح باستقرار قنصل فرنسي بالرباط ، ولا يباع الاسرى الفرنسيون بسلا .

وفي سنة 1626 قدم مبعوث عن البلاط الانجليزي ، واسمه جون هاريسن ، بقصد الاتصال بقراصنة ابي رقراق حول القيام بهجوم مشترك ضد اسبانيا . وكان ملك انجلترا في ذلك الوقت ، هو جاك الاول . وكان ضمن شروط الاتفاقية ، تحرير الاسرى الانجليز ، وتسليم اربعة عشر مدفعا مع ذخيرة الى القراصنة ، وقد عاد المبعوث في السنة الموالية ، يقدم ستة مدافع مع كمية من الذخيرة ، ولكن قضية الحلف ضد اسبانيا لم تقبلها الحكومة البريطانية التي لم ترتح اذ ذاك لمساعدة القراصنة ، الذين كانوا قد قطعوا علاقتهم مع السلطان زيدان وحينئذ ، تم تحرير اسرى الانجليز ، بعد ان توصلت جمهورية ابي رقراق في مقابل ذلك بالاسلحة المتفق عليها .

وفي عاشر ماي 1036 (1627) تم الاتفاق بين الجمهورية وجون هاريسن على ان تفتح كل من موانيء الطرفين لترويج بضائع الطرف الآخر ، مع عدم التعرض لسفن اي منهما والتزام انجلترا بتحرير

جميع الاسارى المورسكيين بمملكتها ، وتعهدجمهورية ابي رقراق بمساعدة انجلترا حربيا على اعدائهـا . وكان الذي امضى الاتفاق عن الجمهورية « ابراهيم بركاش » ، ومحمد باركو . غير ان شارل الاول رفض توقيع الاتفاق ، ولم يمض قليل حتى استولت السفن الانجليزية على باخرة للقراصنة ، ورد المورسكيون ، بالاستيلاء على عدد من البواخر الانجليزية وعلى الرغم من ان « جون هاريسن » عاد الى المغرب يؤكد باسم ملكه ، انه يتبرأ من مسؤولية تصرفـات السفـن الانجليزية التي استولت على الباخرة الجمهورية ، فان القراصنة قد اشتد غضبهم على المبعوث ، حتى رفضوا ان يسمحوا له بالنزول من باخرته . وقـد قضـى « جون هاريسن » ست سنوات في التردد بين ابـي رقراق وبلاده بين (1626 ـ 1631) حتى يعمل على تحسين العلاقات بين الجانبين ولكنه لم يوفـق الى ذلك كثيـرا .

ولقد وصف قبطان انجليزي يدعـى « جـون سميث » ، في رحلة له عن المغرب ، ما كانت تعانيـه السفن الانجليزية من قراصنة ابي رقراق ، حتى لقد كان لكثير من العائلات الانجليزية اقارب واصدقاء في الاسر لدى هؤلاء . وكانت تقام صلوات عمومية مـن اجلهم ، وتلقى الخطب استدرارا للعطف عليهم .

وقد كانت القرصنة في هذا العصـر دولية ، فكان القرصان لايراعي مصلحة وطنه في اي بلد كان ، فهو كما يقول دوكاستري ، يعتز بانتمائه الى اسـرة القراصنة ، اكثر مما يعد نفسـه انجليزيا او هولنديا او فرنسيا او اسبانيا ، بل حتى مسيحيا او مسلما .

ومن المؤكد مع ذلك ، ان القرصنة المغربية ، قـد حمت السـواحل الشمالية والغربية من المغرب ، بشكل غير مباشر ، من اطماع دول اوروبية اخـرى غيـر البرتغـال واسبانيـا .

سـلا : ابراهيم حركـات

« المنابـر في الاسـلام »

ان المنابـر فـي الاسـلام مـا رفعـت
الا لتـرفـع ذكـر الحـق فـي الناس

فاختـر لأعـوادها ، مـن لا يليـن لـه
في الحـق عـود ، ولا يصغي لخنـاس

ومن اذا ربـع سرب الحـق ، خف لـه
ولـم يكـن لعهـود الناس بالناسـي

محمد البشير الابراهيمي

نظرة عابرة

حول مشاكل البحث والاستنتاج التاريخي في العصر الحاضر

للأستاذ : المهدي البرجالي

البحث التاريخي بين النظرة العلمية والنظرة الذاتية ـ العوامل التي تتحكم في توجيه البحث التاريخي على المستوى الدولي والعالمي ـ هل يمكن التحكم في هذه العوامل، والاتجاه بها اتجاها إيجابيا صحيحا ـ المحاولات الدولية المحدودة في هذا المضمار : مؤتمرات البحث التاريخي من سنة 58 الى 63 وهل هي كافية لافتتاح آفاق مبدئية من هذا النوع ؟ سعة المشاكل والقضايا المتعلقة بموضوع التدوين التاريخي على المستوى العالمي ـ بعض الاعتراضات المحتملة ـ وجهة التطور الذي يمكن ان يتخذها البحث التاريخي بهذا الصدد والحتميات التي من شانها ان تؤثر في ذلك .

هل من الضروري ان تؤثر الخلافات السياسية بين الدول على وجهة تفكير العلماء والباحثين الذين ينتسبون اليها، وذلك في موضوع التاريخ، والحقائق التاريخية، وما يتصل بذلك من توجيه للمسائل، وتقييم لدلولاتها، ثم تخريج ذلك والاستنتاج منه على نحو او غيره ؟ ان البت في مسألة من هذا النوع، يقتضي قبل كل شيء، التمييز فيما بين الجانب العلمي والجانب السياسي في الموضوع، فمن وجهة النظر العلمية لا يبدو ان هناك ضرورة منطلقة، لتكييف النظر التاريخي بحسب الخلافات الدولية القائمة، واخضاعه للاعتبارات الطارئة والمتناقضة، التي تخلقها مثل هذه الاحوال بين الدول، والكتل الدولية المتنافسة، وذلك لا يعود فقط الى مجرد احترام مبدأ الحفاظ على الحقيقة الذي هو من اولى مقومات الروح العلمية الصحيحة، بل يرجع كذلك الى ان الغموض الذي تلقيه حالة اخضاع التاريخ للنزوات السياسية الطارئة، من شأنه ان يؤدي الى حالات غموض اشد واشمل، ويعرض المفهومات التاريخية لكثير من الاضطراب والتدهور هي في غنى عنه، ومن شأن كل هذا الا يساعد على تقدم الدراسات العلمية الانسانية، بالصفة المطلوبة اي بالصفة التي تستهدف القاء المزيد من الاضواء، على حقيقة التطور البشري، وعوامله وملابساته ونتائجه المتفاعلة، والمتسلسلة خلال العصور، كما ليس من شأنه كذلك ان يجعل جميع الحقائق التي يمكن التوصل اليها في هذا المضمار، ذات جدوى علمية حقيقية، اي ان تؤدي الى تكوين استنتاجات وتقريرات لها قيمة مضمونة، ومما لا ريب فيه ان على الالمام بهذه الحقائق، وتقرير امرها على النحو العلمي المنشود، تتوقف علاقتنا بالموضوع التاريخي من اساسه ويتوقف كذلك مصير معرفتنا بهذه الانسانية التي تنتسب اليها جميعا على السواء، والنظرة العلمية الى التاريخ على هذا النحو، هي النظرة الغالبة التي تميز فلسفة التاريخ، ووجهته العامة في العصر الحاضر، الا ان الضرورة العلمية في المنهج التاريخي لا تقتضي ـ حتما ـ نبذ كل عامل بحثي آخر، والاستغناء عن جميع الادوات المساعدة الاخرى التي قد تؤدي بنا الى ادراك جانب او آخر من الحقيقة، ان هناك نوعا من رد الفعل ضد هذه الروح العلمية المغالية التي يمكن ان تسيطر على طبيعة المنهج التاريخي اي هذه الروح التي لا تحفل باية طريقة اخرى، او مسلك من مسالك البحث ووسائله الا ما كان من قبيل الطريقة العلمية الدقيقة التي من شأنها ان تجعل من التاريخ علما يشبه العلوم الرياضية والطبيعية في اعتمادها المطلق على المقاييس المحسوسة والحتميات المسبقة، وخلو ميدانها من الاهتمام بالمؤثرات النفسية والعاطفية التي لها بالفعل شان كبير في تكييف وتوجيه كثير من الاشياء في هذه الحياة، ولها بالتالي قيمتها في ادراك وتفسير كثير من الوقائع والظواهر التاريخية والآنية، ويقول « اندريان دانسيت » في هذا المعنى : (ان هناك جيلا من المؤرخين قد بدأوا يعنون في ابحاثهم بالانسان اكثر مما يهتمون بالحادث التاريخي، مجردا من عنصره الانساني، انهم

اذا ما اهتموا بمادة الاحداث فلكي يدركو مغزاها الانساني ، وشعارهم يتلخص فيما يلي : « ان وراء الاحداث ، هناك عالم الناس ، والاسرار التي تحيط بهم ، وامام هذه الاسرار كثير من التاويلات ممكنة » .

وغني عن البيان ، ان علاقة المؤرخ بالمادة التاريخية ، هي علاقة مادة قارة ، بمادة متغيرة ، اذ ان الاحداث اذا كانت هي هي في حد ذاتها ، فان نظرة الناس اليهـا ــ بما فيهـم المؤرخون ــ تتغير بحسب الدهور والاجيال ، ولهـذا ، فان ادراك الماضي ــ بصورة دقيقة ــ علميا ــ هو شيء يمكن اعتباره غير ممكن اجمالا ، الا انه يمكن الاقتراب منه ، اذا ما استطعنا ان نستفيد من المزج بين الطريقتين العلميـة والوصفيـة ، وان نعير اهتمامنا للمادة الانسانية ، اكثر مما نعني بمجرد منهـج البحث وشكلياته ...) لكن ، ما ذا تعنيه المادة الانسانية في هذا المضمار ؟ وهل اذا جارينا هـذه الوجهـة من الرأي التي ياخذ بها عدد من رواد البحث التاريخي الحديث كـ « لوش » و « لوفيفـر » ومن اليهمـا ، واذا ما ادخلنـا في عموم المادة الانسانية ما يدل عليه هذا المفهوم من ضرورة اقامة الاعتبار في البحث التاريخي لجملة الظروف العقلية والسيكولوجية والبيئية ، اي مجموعة النزوات والافكار ، والعلاقات الانسانية التي تتحكم في تكييف كثير من صور الاحـداث التاريخيـة ، وتؤثـر ــ بالتالي ــ على وجهة التاريخ وتحولاته ــ اذا ما وضعنـا في الاعتبار مجموع هذه العوامل الانسانية المؤثرة في التاريخ ، فهل نسلم كذلك بمبدأ تدخل المؤرخ نفسه في تصوير الاحداث التاريخية ، والاستنتاج منها ، وذلك بتحكيم مشاعره وافكاره الخاصة والانفعال بالمادة التاريخيـة ، والاندمـاج في جوها اندماجا شخصيا يساعد المؤرخ على استبانة الحقائق من خلال تجاربه ومعاناته للحياة والناس ؟ ، وبتعبير آخر : هـل يجوز للمؤرخ ان يخضع البحث التاريخي للمقاييس الخاصة التـي يكونها ، باستمداد من ظروفه العقلية والبيئية ، ام ان عليـه ــ عوض ذلك ــ الا يخضع الا لما تمليه المقاييس العلمية المجردة ، ملتزما في مثل هذه الحالة ، درجة مطلقة من الحياد ، تقطـع الصلة الشخصية وبين المادة التاريخية التي يعالجها ؟ .

يقول « فليب كونطامين » بهذا الصدد : (ان التاريخ لا يقبل الانفصال عن الشخص الذي يدونه ، ولهذا فان على المؤرخ ان تكون له عن الحياة تجربة مباشرة وعميقة اكثر مما يمكن ، واية مغامرة يصادفها ، او يخوض آفاقها ، فلا بـد ان تكـون مفيدة له ، والى ذلك فان من المعقول ان يحس نحو عصره ــ اذا كان يؤرخ له بنوع من الفضول المتودد ، ذلك انه لا ينبغي له ان ينسى انه المندوب عن مجتمعه ، لتحضيـر قطـاع خاص من قطاعات العلم ، ولكن يجب ان يعرف ــ في نفس الوقت ــ كيف يحايد مشاعره المتطرفة ، نحو مشاكل الساعة ، وبالنسبة للماضي ، فان عليه ان يضع بين قوسيـن ، سـواء وجوده الشخصـي او الجماعي ، اي صلته بالجماعة ، وذلك ليعرف الماضي في نوعيته ، وبالاجمال فان عليه ــ في نفس الوقت ــ ان يكون ملتزمـا وغير ملتزم ...)

والظاهر ان هذه النظرة لموقف المؤرخ وعلاقته بالمادة التاريخية التي يعالجها ، لا يمكن تقبلها تقبلا بسيطا اي بصورة لا تقبل النقاش والمراجعة ، فالمؤرخ لا يستطيع دائمـا ــ وان كانت هذه الاستطاعة ممكنة مبدئيا ــ ان ينفصل نهائيـا عـن المادة التي يفحصها ، ويحاول الخروج من خلالهـا بمواقـف وتقييمات جزئية او شاملة ، ذلك ان المؤرخ لا يسعه في كثير من الحالات التي يتناول فيها ظواهر الماضي ــ الذي هو المادة الجوهرية في بناء التاريخ وتشكيله ــ لا يسعه ــ وهو يتناول هذه الظواهر ــ الا ان يفحصها ويقلبهـا على مختلف الاوجـه والمناحي ، ويقارن فيما بين بعضها البعض ، مستعينا في ذلك بالعلوم المساعدة ، والوسائل المرتبطة بها ، سـواء مرئيـة او مسموعة او معقولة ، لكنه لا بد ان يخرج من مركب العمليـات هذه التي قد يتغمر فيها سنين وعقـودا متطاولـة ــ باستنتاجات ومواقف ونظريات ، يستنتجها حقا مما يفحصه من وثائـق مكتوبة ، او آثار منحوتة او مرائي حية او شواهـد جامـدة ، ولكنه يستعيـن في استخلاصهـا ايضـا بما يعملـه من فكـر ، ويصطنعه من مقاييـس ، وبما هو متوفر له من قدرة على الاستفسار والاستشعار والتخمين والتقييم ، اي بما له من طاقات عقليـة ، ووجدانية وما في نوعها ، فتدخل المؤرخ اذن يكاد ــ في كثير من الحالات ــ يكون ضرورة محتومة ، اذا كان من الـلازم ان تقيم الاحداث التاريخية ، ويتحرى عن حلقاتها المفقودة ، ليتـم النفوذ ــ هكذا ــ الى ما وراء الظواهر السطحية ، و الصـور البراقة ، ومن ثم كان عمل المؤرخ شاقا ، وعلى درجة عالية من الصعوبة والحرج ، لان عليه كمـا تقدم عـن « كونطامين » ان يكون في نفس الوقت ــ « ملتزما وغير ملتزم » ــ ملتزمـا للحقيقة التاريخية ، يتتبعها من مختلف مظانها الممكنة ، ويفحصها على ضوء العقل والتجربة والاحـساس ايضا محاولا من وراء ذلك ــ استخراج اكثر ما يمكن من الاستنتاجات والمكتشفات الصحيحة الثابتة ، الا انه وهو يستعين ــ هكذا ــ في تجرباته هذه بعقله وتجربته الذاتية ومجموع مواهبه ومكتسباته ، فان عليه ــ مـع ذلك ــ الا يكون ملتزما لاية عاطفة او اتجاه مسبق او يمـزج فيما بين تأثراته الذاتية هذه التأثرات التي تاتي مما يمكن ان ينفعل به من عوامل سياسية او اجتماعية او مذهبية او غيرها ، ان يمزج فيما بين ذلك وبين مجرد الحقيقة التي يتخذها الحدث التاريخي بكل ملابساته ونتائجه ، واتجاهاته الطبيعية الحتمية ، وهناك كثير من الحالات التي يقع فيها المؤرخ تحت تأثيرات ذاتية وبيئية من هذا القبيل ، وتتعدد الحالات هذه بتعدد العوامل والمؤثرات الكامنة وراءها ، بيد ان من اشد هـذه العوامـل ، واكثرها اهمية على الاطلاق ، العامل السياسي الذي له كبيـر

الصلة بموقف المؤرخين من الاحداث التاريخية وطبيعة حكمهم عليها سواء من هذا الجانب او ذاك .



يثير الموضوع التاريخي – منذ ان اصبح هناك تاريخ مدون – منقوشا او منحوتا او مكتوبا – يثير قدرا كبيرا من الاهتمام ، عند اغلبية الشعوب الواعية او شبه الواعية ، ولا يختص عصرنا الحاضر بهذا الاهتمام الذي يولى للتاريخ في ابعاده المختلفة ، اي ما يتعلق منها بتاريخ الفكر او تطورات الحكم والسياسة ، او تفاعل المجتمعات بعضها مع بعض ، لكن الملاحظ – مع ذلك – ان هذا الاهتمام قد تضاعف كثيرا وتشعب في هذا العصر الى حد جعل الموضوع التاريخي من اهم ما يسترعي النظر عند المعنيين بقضايا التخطيط والتسيير سواء في نطاق تربوي او ايديولوجي او ما له صلة بذلك من سياسة وحكم وغيرهما ، فقد كان من اولى الاهتمامات التي تستبد بتفكير المشرفين على الاوضاع الاستعمارية في افريقيا وآسيا وغير ذلك : العمل على اغفال القيم التاريخية المتعلقة بماضي الشعوب المحكومة وحضارتها في مختلف الميادين ، وتعويض الفراغ الناشيء عن هذا الاغفال بنشر تاريخ الامة الحاكمة ، ومآتيها في الماضي والحاضر ، وفي نطاق الاوضاع الوطنية نفسها ، اي عند ما يستقل القطر المستعمر (بالفتح) ويصبح ذا اهمية للتصرف في مقدراته ، فان التاريخ القومي حينئذ يستعيد مكانته في الاذهان والمشاعر ، اما طفرة او تدريجيا ، ولكن الموضوع التاريخي مع ذلك يبقى – كما هو ملحوظ في عدد من الحالات الموجودة بشتى الاقطار النامية – يبقى خاضعا لنوع الفلسفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعتنقها اولياء العهد الجديد ، وما يتلاءم مع مفاهيمهم ومعتقداتهم ، والاسس الفكرية والايديولوجية التي يرون من الانسب ان يقوم عليها الوضع الذي يتولون شؤونه ، ففي عدد من بلدان الشرق الاوسط التي تعاقبت عليها تقلبات سياسية ، تتناول طبيعة الحكم واتجاهاته القومية والدولية ، واختياراته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، في هذه الاقطار ، كثيرا ما تعرضت كتب التاريخ – وخاصة المدرسية منها – لسلسلة من التحويرات ، التي تهدف من جهة الى ما يعتبر تصحيحا لروايات تاريخية غير صحيحة ، او تاويلا لصور من التاريخ ، وجوانب منه ، قد ينظر اليها على انها تعكس جملة من المفاهيم والقضايا والاتجاهات غير مرغوب فيها ، لانها تناقض محتوى الفلسفة السائدة ، كما يمكن ان ترمي هذه التحويرات ايضا الى ادخال اعتبارات جديدة على فهم التاريخ القومي والعالمي ، وادراك معطياته الانسانية والمادية ... وتكييف هذه الاعتبارات بشكل يساهم في تدعيم نظرية سياسية ، او مبدأ اقتصادي ، واستخلاص الشواهد له من خلال التطورات والتفاعلات التي ينطوي عليها الموضوع التاريخي من ناحيته الاقليمية والعالمية ، وتاخذ مثل هذه المبادرات التحويرية صورة اوسع افقا ، واكثر اهمية ، وذلك في بعض البلدان ، كالاتحاد السوفياتي مثلا ، حيث تثير الاعتبارات التاريخية حساسية عميقة جدا ، وذلك – اولا – لما للاستنتاجات التاريخية من صلة جوهرية بمذهب كالمذهب الماركسي ، يقوم في اسسه على نظرية اساسية وهي نظرية المادية التاريخية وما تقتضيه من افتراضات وتفسيرات تتناول عموم التاريخ الانساني المعروف ، هادفة في الاساس الى استخلاص العوامل العميقة والشاملة التي ما برحت تحرك ميكانيكية هذا التاريخ ، وما زالت تؤثر في سلسلة التفاعلات والحتميات التي كان من شأنها دائما ان تقوده الى الصورة التي عليها اتجاهه اليوم ، وثانيا ، لان روح التخطيط والتقنين التي تسود اقطارا هي بصدد القيام بمراجعة جذرية لكل شيء ، هذه الروح تتناول المادة التاريخية ، كما تتناول غيرها من قضايا الثقافة والتوجيه العام ، الى جانب التخطيط الاقتصادي والاجتماعي ، وما في نوع ذلك ، وفي كثير من الحالات ، يقتضي التخطيط اجراء بعض المراجعات والقيام بنوع ما من التحوير والتنقيح كلما بدا ذلك امرا ضروريا ، لا تتناول هذه المراجعات محتوى الكتب المدرسية فحسب ، بل تتناول ايضا المظان الجامعية ، والمصادر العامة ، كدوائر المعارف مثلا ، وقد تسببت الستالينية – بادء ذي بدء – ثم اللاستالينية بعد ذلك تسبب كلاهما في اقرار اعتبارات تاريخية معينة ، ثم تعديلها او نقضها بالمرة بعد ذلك ، فمثلا في موضوع اهمية الدور الذي اداه ستالين خلال الحرب العالمية الاخيرة ، فقد كان ينظر الى هذا الدور – كما تسجله المدونات التاريخية الموضوعة في عهد الرئيس السوفياتي السابق – كان ينظر الى هذا الدور باعتبار انه يكتسي اهمية خطيرة واستثنائية ، وانه كان ذا تأثير مباشر وحاسم في وجهة الحرب الجرمانية الروسية ، وما آلت اليه هذه الحرب ، من تحقيق هزيمة الجيش النازي ودحره اخيرا في مجمل جبهات العراك بالقطاع الاوربي الشرقي ، لكن هذا التوجيه في تقدير الحوادث وتحديد صورها وعواملها قد داخله في السنوات الاخيرة قدر من التعديل له اهميته ، وقد وقعت غداة اشتداد الحملة ضد الستالينية بعد ارفضاض المؤتمر الشيوعي العالمي سنة 1960 ، وما رافق هذه الحملة من توسع في عمليات تحديد انتشار الصيت الستاليني وقع بعض التباين في وجهات النظر بين المعنيين بالسياسة والتاريخ حول « العواقب » التاريخية المحتملة، لاستبدال اسم مدينة كـ « ستالينغرد » اقترن اسمها باحدى المعارك الفاصلة في مجرى الحرب العالمية الثانية ، ومن غير شك فان عددا من اولئك الذين احتفظوا بوفائهم للاسم القديم ، لم يكن يحدوهم الى ذلك ، مجرد الحنين للشخصية الستالينية ، او العهد الستاليني ، بقدر ما كان يحدوهم – اكثر من ذلك – الحفاظ على كامل العناصر التاريخية ، والمؤثرات السيكولوجية التي تكون ذكرى المدينة الشهيرة – بما في ذلك عناصر الاستذكار الاسمي ، الذي له في الذهن رنين قد تنال منه عملية التغيير

المقترحة ، والشيء الذي يبدو ـ بهذا الصدد ـ مؤكدا او في حكم المؤكد ، ان الازمة الشيوعية الدولية الجديدة ، لا بد ان تكون لها انعكاسات مهمة على وجه التدوين التاريخي عند الشيوعيين ، وطبيعة التقييمات والاستنتاجات التي يذهب اليها المحللون والنقاد هنا وهناك ، وبالاخص ما يتعلق من ذلك بتحديد بعض المفاهيم والاطلاقات ، وتقرير الامثلة الصالحة لها من خلال اتجاهات الشيوعيين ، محافظين او معدلين ، فالتعديلية الحديثة هي مفهوم شيوعي « انحرافي » يكاد يكون الاتسام به مستكرها عند اغلبية الشيوعيين في هذا الجانب او الاخر ، لكن ما هو المدلول الحقيقي للتعديلية سواء عند هؤلاء او اولئك ؟ ان كل معسكر من المعسكرين الشيوعيين ، يرى ان المعسكر الاخر هو المثل الكامل لمفهوم التعديلية بكل ما تدل عليه من مروق وانحراف ، والمهم في هذا ان كل جانب يجد في سياسة الاخر وسلوكه على المستوى الدولي والداخلي ما يؤكد وقوعه تحت تاثير التعديلية على خط مستقيم ، والاهم من كل ذلك ان المدونات التاريخية والمعاجم والمصادر الجامعية ، لا بد ان تتأثر محتوياتها بهذه التناقضات في التقدير والتوجيه ، فتصبح هي كذلك متناقضة تحير الباحث التاريخي في المستقبل ، زيادة على ما تركزه في اذهان الطلبة من معلومات غير قارة ، وعلى اي حال ، فاين الموضوع التاريخي من كل هذا ؟ وهل من اللازم ان نعتبر ان مثل هذا التناقض هو حتمية ضرورية الوقوع ، لا سبيل الى تلافيها على نحو جدي وعملي ؟ وبتعبير آخر اذا كان التناقض في التدوين والاستنتاج التاريخي كنتيجة لاخضاع هذا التقييم للظروف والاعتبارات السياسية ، وحسب الموقف المتخذ في خضم الاختلافات المذهبية ـ اذا كان هذا النوع من التناقض ـ والمشاكل الناشئة عنه ـ هو محط انكار من طرف الجميع ، ولا يبدو ان هناك اختلاف ـ من ناحية مبدئية ـ في وجوب اجتنابه ، والعزوف عنه ، فلماذا تستمر اذن روح هذا الاتجاه سائدة ، في كثير من اوساط المؤرخين والمعنيين بالقضايا التاريخية وخصوصا هؤلاء الذين يقعون اما اسرى العواطف والارتجال الفكري ، او اولئك الاخرين الذين يوجدون رهن العمل على تنفيذ تخطيطات مسبقة لا تتيح لهم كثيرا من القدرة على التقييم والاستنتاج غير المقيد ؟ لا شك ان القضية هذه ككثير من القضايا من هذا القبيل ، تحتمل اكثر من وجه ، بحيث يظهر ان هناك جوانب متناقضة في ذاتها تبدو هذه ممكنة ، والاخرى غير ممكنة ، وتبدو هذه مجدية من ناحية معينة ، والاخرى غير مجدية من ناحية اخرى ، وهكذا ، واذا ما قلبنا النظر في موضوع القضية الماثلة امامنا ، اي حول موضوع الالتزام للحقيقة التاريخية في حد ذاتها ، او الالتزام ـ عكس ذلك ـ لمقتضى الاعتبارات السياسية والمذهبية التي تفرض نفسها في ميدان او آخر من ميادين الحياة الانسانية ، واخضاع التحليل والتقييم التاريخي لوجهة المذهب السياسي وما تفرضه من مواقف ونظريات ومبادىء معينة ، اذا قلبنا النظر هكذا في موضوع من هذا النوع ، فاننا نجد ان جانب الالتزام للحقيقة التاريخية ـ وان كان غير ممكن دائما لانه لا يتفق احيانا مع ما يستهدف من خدمة افكار قومية ، او مساندة قيم مذهبية ، او اتخاذ سياسة داخلية او خارجية ـ فان فكرة هذا الالتزام ـ مع ذلك ـ لا بد ان تفرض نفسها اكثر فاكثر تحت تأثير اتجاهات التفاهم التي تجتاح العالم باطراد ، ومن الصعب حقا الاستدلال على امكانية تحرير التدوين والاستنتاج التاريخي من مؤثرات المذاهب والمصالح المتناقضة ، فالواقع ان طغيان التناقض بين النظريات والاتجاهات وتأثر الموضوع الفلسفي والتاريخي وغيرهما من مجالات العلوم الانسانية ، بهذا التناقض الواقع ، ان كل ذلك هو من ابرز المظاهر واكثرها صراحة في عصرنا الحاضر ، بل ان القضايا التاريخية والفلسفية ، وكذلك الآداب والفنون وما في حكمها ، لا تختص وحدها بالوقوع تحت طائلة التناقضات السياسية بين الدول ، والتأثر بهذه التناقضات تأثرا يطول مداه او يقصر ، فهناك عدد من العلوم الاخرى كالعلوم القانونية والاجتماعية مثلا تتلون هي كذلك بهذا التناقض وتخضع محتوياتها لدواعيه خضوعا غير معقول احيانا ، لكن الجدير بالملاحظة ان هناك حالات من رد الفعل بهذا الصدد ، ورد الفعل هذا قد بدأ يعترض ـ في بعض الصور ـ سبيل الاتجاه التقليدي الذي ساد الحياة العلمية طويلا ، وبمقتضاه لم يكن هناك من تنظيم دولي فعال يتولى امكانية العمل على تنسيق بعض النشاطات العلمية والفكرية على اساس عالمي شامل اي على قاعدة انسانية مطلقة ، يراعى فيها الا تبقى معرفة للتأثر الدائم بالاحوال السياسية والمذهبية المتناقضة في مختلف ربوع العالم ، وذلك من اجل حماية الانسانية من عواقب الديكتاتورية العلمية والتقنية التي يجوزان تخضع العلم ومنجزاته للاغراض الخاصة بدولة او مجموعة من الدول المتقدمة ، وابقاء الاخرين في الاقطار المتخلفة تحت وطأة التفوق العلمي الساحق عند الاولين ، ان رد الفعل ضد احوال واحتمالات من هذا النوع ، هو الذي ادى الى ما لا يزال يؤدي اليه ، من تدخل عالمي ضد التوسع النووي الموجه للاغراض الحربية ، وضد اتخاذ الفضاء مجالا لاية خطط عسكرية او شبه عسكرية ، اي ضد حالة اخضاع العلم والمجريات العلمية لخدمة اهداف التناقض المذهبي ، والنزوات السياسية عند الدول ، وضد جعل الكلمة العليا هكذا لهذه النزوات تستغل الجهود الانسانية في ميدان الاجتهاد النظري ، وفي حقول العلوم والتيكنولوجية استغلالا سلبيا وضارا ايضا ، وعلى هذا بدأ يتفرع عن العلوم القانونية فرع جديد ما زال في طور النشوء والتطور ، وهو ما يمكن ان يدعى بالقانون الفضائي الذي يهدف في اساسه الى معالجة المشاكل القانونية التي لا بد ان تنشأ عن اتصال الانسان مباشرة بالفضاء ، واتجاهه الى ارتياد الاجرام الفضائية الاخرى ، مع كل ما يمكن ان يثيره ذلك من قضايا تتعلق بعواقب التسابق ، وما يشمله ذلك من امكانيات احتلال المناطق الكوكبية من طرف

هذا الجانب او الاخر ، والحقوق والامتيازات التي يمكن ان يخولها ذلك للدول المتسابقة ، ثم علاقة ذلك بالحقوق المبدئية لبقية دول العالم التي لا تشارك عمليا في برامج الارتياد الفضائي ، الى جملة من القضايا على هذا النحو ، تتعلق بتنظيم العلاقة القانونية بين سكان الارض وبين بقية الاجرام الفضائية، الممكن ارتيادها في امد قريب او بعيد ، ومن المؤكد — كما تدل عليه القرائن الموجودة ، ان بنود القانون الفضائي الجديد الذي سيعرف ولا شك توسعا كبيرا يتلاءم مع احتمالات التوسع الارتيادي المنتظر — لا بد ان تضم هذه البنود — في جملة ما تضم — صيغة قانونية دولية ، تقر عليها مبدأ جعل الفضاء منطقة مشاعة بين سكان الارض ، مع تحديد المقتضيات التنظيمية المتعلقة بذلك ، وتعلن — الى هذا — تحريم استخدام المجال الفضائي لاية اهداف حربية ، سواء كانت صبغة ذات ستراتيجية او عملياتية ، وواضح ان مجرد نشوء فرع معين من فروع القانون او غيره ، هو قضية عادية تقتضيها حالة التوسع في العلاقات الانسانية من جهة ، والعلاقة بين الانسان والطبيعة من جهة اخرى الا ان الروح التي تحاول تكييف بعض المسائل المتعلقة بالقانون الفضائي الناشيء — والتي ترمي الى تحرير هذا القانون من سيطرة الديكتاتورية العلمية ، اي جعله قائما على مرعاة حقوق كافة الدول لا حقوق الدول المتسابقة فقط ، وتلافي الوقوع هكذا في محذور جديد من محاذير اخضاع الطاقة العلمية والتقنية ، لعامل التناقضات السياسية الدولية ، لا لخدمة من الاهداف الجماعية الدولية ، ان روح العمل هكذا من اجل تدويل السياسة الفضائية وتقنينها اي اخضاعها لمقتضيات قانون دولي معترف به من قبل شعوب الامم المتحدة كافة ، هذه الروح، يعود وجودها في الدرجة الاولى الى تدخل الدول الصغرى في الشؤون العالمية ، وتأثيرها المتزايد في الترويج لجملة من الافكار المتفتحة التي تتخذ مكانتها في العالم الدولي اكثر فاكثر، وافساح للمجال هكذا امام احتمالات تطور فكري مهم ، هو الذي تلمح آثاره اليوم من خلال الحوار الواسع الذي يدور الان باطراد بين الاطراف الدولية المختلفة ، وبالاخص بين الدول الكبرى والدول الاخرى الصغيرة والمتخلفة ، وموطن الاهمية في كل ذلك ان هذا التحول الملحوظ في ميدان الاستغلال العلمي يمكن ايضا ملاحظته مظاهر اخرى له في ميدان البحث التاريخي ، والمشاكل المتصلة بذلك على النحو الذي المعنا الى بعضه فيما تقدم ، ولا يعني هذا ان هناك اتجاها ملحوظا لـ « تدويل » البحث التاريخي ، واخضاعه هكذا لنوع من الرقابة المشتركة بين مختلف المؤرخين والباحثين ، ورجال التربية والتوجيه في الشرق والغرب ، اي ان هناك اتجاها ممكنا لـ « تقنين » البحث التاريخي على الصعيد الدولي وصياغة بنود ، تحدد مبادىء وترتيبات لذلك ، على الوجه الذي يمكن ان يتم به الامر في بعض قضايا الاستغلال العلمي ، كالتوسع الفضائي — كما تقدم — فالواقع ان هناك فرقا كبيرا في هذا المضمار بين العلوم التطبيقية التي من الممكن ان يخضع الانتاج او الاستكشاف في بعضها ، لنوع من المراقبة الدولية او التقنين الدولي كلما كانت هذه الرقابة ، او هذا التقنين يشكل ضرورة اساسية ملحة ، وبين العلوم الانسانية التي ليس من اليسير دائما ان تخضع لتقنين من هذا النوع ، بصرف النظر عن الفائدة التي يمكن اجتناؤها من ذلك ، انما القاسم المشترك في مثل هذه القضايا سواء منها ما يتعلق بالعلوم التطبيقية ، او ما يتصل بالتاريخ او غيره — هذا القاسم المشترك ، يتمثل في النزوع الذي اخذ يشتد بين الدول لاقرار نوع من التعاون في هذا المضمار ، وان كان مظهر هذا التعاون ونتائجه يختلفان باختلاف الموضوع والملابسات التي تحيط به ، فاذا كان الامر في مضمار العلوم التطبيقية يمكن ان يصل الى حد اقرار صيغ قانونية ومقتضيات للرقابة المشتركة ، وما في حكم ذلك ، فان الموضوع التاريخي لا يتطلب — على الاكثر — الا اقرار نوع من التعاون حول المشاكل التي تعترض سبيل التدوين والاستنتاج التاريخي ، وعلاقة هذه المشاكل بقضايا التفاهم ، وسعة الادراك بين الناس ، ومثل هذا التعاون بين الاوساط الدولية ، المعنية بالتاريخ هو من بين المهام التي تحاول الاضطلاع بها بعض المنظمات الثقافية الدولية كـ « الاونيسكو » مثلا ، وبغض النظر عن النتائج التي امكن الحصول عليها بهذا الشأن ، داخل هذه المنظمة او غيرها ، فقد بدا يتكون في الفترة الاخيرة اتجاه جديد بهذا الصدد يهدف الى استخلاص بذور للتعاون في موضوع التدوين والاستنتاج التاريخي وتقريب الشقة التي تفصل بين المعنيين بالتاريخ وقضاياه في الشرق والغرب ، وذكر الشرق والغرب في هذا المضمار ، لا ينبغي ان يفهم منه افاق الارض جميعا بل ان المراد به فقط الاصطلاح السياسي المتعارف عليه حديثا ، على اساس التمييز بين عالم الدول الرأسمالية في الغرب ، وعالم الاقطار الاشتراكية في الشرق الاوربي والاسيوي ، فالاتجاه الجديد هذا هو اذن ، اتجاه محدود يقتصر على قطاع معين من قطاعات الارض ، ولا ينزع الى استيعاب المشاكل الموجودة — في هذا المجال — على مستوى الدول كافة ،هذا بالاضافة الى ان المواضيع التاريخية التي بدا الاهتمام بمعالجتها هي كذلك مواضيع خاصة ومحدودة ، ومنذ بضع سنين ، وبالضبط منذ سنة 1958 بذلت المحاولات الاولى — بهذا الصدد — وذلك عند ما انعقد في « لييج » ببلجيكا المؤتمر الدولي الخاص بدراسة « تاريخ المقاومة السرية ضد قوات المحور باوربا » ثم تلاه بعد ذلك مؤتمرات على نفس المستوى ، الاول بمدينة ميلانو بايطاليا (1961) والثاني بـ « كارلوفي فاري » بمقاطعة بوهيميا (تشيكوسلوفاكيا) وقد تم عقده في اوائل خريف السنة الماضية، واهمية هذه المؤتمرات لا تعود فقط الى الاهداف القريبة المتوخاة منها ، اي تناول مواضيع تاريخية معينة بالبحث والدرس وانما تعود هذه الاهمية اكثر من ذلك الى ان هذه المؤتمرات قد هيأت الفرصة للجمع بين مؤرخين من الشرق الشيوعي

والغرب الرأسمالي بين فرنسيين ويوغوسلافيين وايطاليين وروس وانجليز ، ووفود كثيرة من دول اوربا الشرقية ، وغيرهم كثيرون ، هذا كله مع اعتبار ما يوجد بين نظريات الجانبين ومفاهيمها التاريخية ، من فروق ذات صبغة جوهرية في بعض الاحيان وقد يخال المرء لاول وهلة ، ان مؤتمرا من هذا النوع تتحكم فيه الاعتبارات العلمية في الدرجة الاولى ، قد يختلف لذلك في وجوه ونوع السلوك المتخذ في حظيرته عن جملة المؤتمرات الاخرى ، ذات الصبغة السياسية والديبلوماسية، بيد ان الواقع يختلف عن ذلك بكثير فمؤتمرات « البحث التاريخي التي التأمت بين سنة 1958 و 1963 — وان كانت مؤتمرات علمية من حيث المبدأ — الا انها لم تكن تختلف في جوها عن جو المؤتمرات السياسية التي تجمع بين ممثلين للشرق والغرب وتحتد في حظيرتها العواطف وتتصادم النظريات بشكل يهددها بالفشل في احيان كثيرة ، فقد اثيرت في خلال المؤتمر الاول ب « ميلانو » قضايا تاريخية ذات حساسية شديدة وكان من ابرز هذه القضايا موقف الحلفاء الغربيين من حركات المقاومة السرية ضد النازيين في اقطار اوربا الشرقية ، وكذا موضع حكومة « فيشي » الفرنسية ، وقضية التناسق الحربي والستراتيجي بين القوات الحليفة الغربية والقوات السوفياتية ، هذا الى جملة مواضيع على هذا النحو ، لكن المسألة التي كان من شأنها ان تحدث قدرا من الحماسية والانفعال اكثر من غيرها ، هي قضية المعاهدة الجرمانية الروسية ، التي اثارت في حينها موجة من الاندهاش في العالم ، ولا تزال النظريات تتعدد في شأنها ذاهبة مذاهب شتى في التعليل والتحليل ، ونفس الجو من تناقض الرأي في مثل هذه القضايا ساد مؤتمر سنة 1961 وساد بصورة اقل حدة المؤتمر الاخير الذي انعقد في اواخر سنة 1963 ومن الظواهر التي برزت في غضون هذه المؤتمرات ظاهرة الاختلاف الشديد بين ابناء البلد الواحد تبعا لما يعتنقونه — كل على حدة — من اراء سياسية ونظريات مذهبية ، تتلون عند البعض منهم باللون الشيوعي ، وتتأثر عند البعض الآخر بمؤثرات المناوأة للشيوعية ، على نحو او غيره ، فقد انعدمت كل امكانية طيلة هذه السنوات التي بذلت خلالها جملة هذه المحاولات الثلاث ، للتعاون الدولي في مضمار البحث التاريخي (من 58 — 1963) انعدمت كل امكانية خلال كل ذلك ، للجمع بين المؤرخين الذين ينتسبون الى اقطار اوربا الشرقية ولو كانوا من بلد واحد وذلك بسبب ما يوجد بينهم من تناقض في النظريات السياسية ، والاختيارات المذهبية ، ولادراك ذلك يجب التذكير بوجود عدد من رعايا اوربا الشرقية يقطنون في اقطار الغرب ، وخاصة في فرنسا ، وقد هاجر العديد منهم الى الغرب بسبب ميولهم اللاشيوعية،ويوجد من بين هؤلاء المهاجرين عدد من رجال الجامعات يختص بعضهم بفنون التاريخ والقضايا التاريخية وقد كان من الطبيعي ان يحدث قدر من الاختلاف في وجهات التقدير التاريخي بين هؤلاء المؤرخين ذوي الاختيارات

السياسية المتباينة — غير ان مثل هذه المواجهة « العلمية » لم تحدث بالفعل طيلة هذه السنوات ، وذلك لعدم امكانية الجمع بين المؤرخين الشيوعيين واللاشيوعيين من اوربا الشرقية ضمن مؤتمرات مشتركة ، ولو ان هذه المؤتمرات تنعقد تحت شعار البحث عن الحقيقة التاريخية ، وهذه « الحالة » المتحوفلة وغيرها من شأنها ان تدل على خطورة الموضوع التاريخي ، وعلى طبيعة المواقف الصعبة التي يفرضها البحث التاريخي على المشتغلين به ، اي ان موقف المؤرخ من الحقيقة التاريخية ، لا يزال دائما — ولو في عصر العقلانية والمنهجية — يتسم بكثير من المحذورات السيكولوجية والفكرية والاجتماعية ، وتحف به جملة من الملابسات التي لا تكاد تساعد على تنظيم التعاون في نطاقه على مستوى عالمي ، وتوشك بالتالي — ان تبقى عليه — في كثير من الحالات — كمادة غير علمية ، اي غير دقيقة وغير مضمونة الدلالة والاستنتاج ، على انه بصرف النظر عن هذه الافاق السلبية ، فان مجرد حدوث هذه المبادرة التي جمعت فيما بين الشرق والغرب ضمن حلقات دراسية مشتركة ، تتناول فترة من احرج الفترات واكثرها حساسية واثارة في مجال التاريخ الحديث ، مجرد وجود هذه المبادرة له اهميته التي لا تنكر ، وذلك فيما اذا اتبعت بمبادرات دولية من هذا القبيل ، تستهدف — في اطار اوسع اختصاصا ، واشمل افقا — تنظيم عمل دراسي دولي في مادة التاريخ ، يقوم على اسس جديدة واكثر علمية ، وبذلك تعين مثل هذه المبادرات ، على اتاحة قدر من التفاهم والتعاون بين المؤرخين هنا وهناك في مختلف آفاق العالم ، وقد استخلص البعض ممن عنوا بتتبع الندوات التاريخية التي شهدتها السنوات الخمس الاخيرة — استخلصوا بعض الاستنتاجات المتفائلة بهذا الصدد ، وراوا من خلال ذلك آفاقا ممكنة ، لتحقيق نظام من التعاون في الدراسات التاريخية بين الشرق والغرب بل انهم راوا — الى ذلك — ان المرحلة الجديدة التي اصبحت تجتازها العلاقات الدولية ، والتي تتميز بما يتكاثر فيها من محاولات الانفراج والتقارب — من شأنها ان تعين على تحقيق امكانيات من هذا الباب ، ولو بشكل تدريجي ومحدود ، لكن هل يكفي ظهور آفاق من هذا المستوى للاعتقاد بان المسألة — مسألة البحث التاريخي وما يحيط به من ملابسات فكرية واخلاقية متناقضة ، وما يؤثر على توجيهه وتكييف استنتاجاته من عوامل خارجة احيانا عن نطاق الاعتبارات العلمية والدراسية ، هل يجوز الاعتقاد بان هذه المسألة ، قد اصبحت لا تكتسي صبغة المشكلة مطلقا او ان هذه الصورة — صورة المشكلة — هي آخذة طريقها الى التلاشي على نحو او غيره ؟ لا يبدو ان هناك حاجة للاستدلال بان قضية مهمة كهذه لا يمكن ان ينتهي امرها على هذا النحو البسيط ، وانه — وان كان هناك اتجاه للتعاون في هذا الموضوع — فان هذا التعاون ليس من شأنه ان يؤدي الى تصفية التناقضات المبدئية بسرعة ، ذلك ان المشاكل والعقد التي يعاني منها الموضوع

التاريخي في العصر الحاضر ليس من المعقول ان ننظر اليها فقط من هذه الزاوية المحدودة ، المتعلقة بحالة الدراسات التاريخية عند الاوربيين بالاخص ، وعما اذا كان من الممكن اقامة تعاون في هذا المضمار بين الشيوعيين والغربيين ان الضرورة العلمية والعملية تقضي — على النقيض من ذلك — بتوسيع مدى هذه النظرة واعتبار المسألة داخل نطاقها العام الشامل اي ضمن المحيط العالمي بدون تخصيص ، واذا كان الغربيون يرون في المؤرخين الشيوعيين انهم لا يعالجون موضوعاتهم بروح علمية حقيقية ويذهبون دائما الى بناء استنتاجاتهم على جملة فرضيات مسبقة يتحكم فيها العامل الدعائي الاعتباطي قبل غيره ، واذا كان الشيوعيون — من جهتهم — يرون في المؤرخين الغربيين كونهم لا يذهبون في القضايا التاريخية التي يتناولونها مذهبا متحررا من قيود الرأسمالية والاستعمارية التي تسود المجتمع الصناعي الحديث في الغرب ، وانهم لا يحاولون فهم قضايا العالم، وادراك القوى العاملة في محيطه الا من خلال مقاييس ومفاهيم ينقص من قيمتها الجهل بحقائق الشعوب الاخرى ، واغفال نواميس التاريخ وتسلسلاته الحتمية — كما ترى من خلال النظرية الماركسية اللينينية وما يقاربها — اذا كان المؤرخون شيوعيون ورأسماليون قد دابوا طويلا على تبادل مؤاخذات وانتقادات من هذا الباب او غيره،واذا كانت الندوات التاريخية في « لييج » و « ميلانو » و « كارلوفي فاري » قد هدفت فيما هدفت اليه ، محاولة التقريب بين جهود المعنيين بالتاريخ في الشرق والغرب ولو في نطاق محدود يتعلق بالحرب العالمية الاخيرة وتيسير سبل التعاون بين الجانبين بشكل يجعل المؤاخذات المتبادلة بينهما ، اقل شدة واضيق مدلولا ، فان مشكلة البحث التاريخي — كما تقدم — لا يمكن ان تجد — رغم ذلك — حلها بمثل هذه السهولة ، ولو مع الافتراض بان المؤرخين الشيوعيين والرأسماليين ربما يجدون في جو الانفراج الدولي الحالي ، ما قد يؤدي بهم — كما يقال — الى امكانية تحقيق نوع من التفاهم في موضوع المادة التاريخية،والبحث والاستنتاج منها ، ذلك ان المشكلة بهذا الصدد — ليست — كما تقدم — مشكلة شرق وغرب ، تختص بهما وتتأثر — على انفراد — بعوامل التوتر والانفراج المتجددة بينهما آنا بعد آخر ، وعلى اساس التسليم بنظرية من هذا النوع ، فان ذلك يعني ان القضية هنا ، قضية سطحية عابرة ومظهر فقط من مظاهر التجاذب السياسي المتأثر — في عدد من حالاته — بعامل الاهواء والنزوات، لكن في مسألة البحث والاستنتاج التاريخي يختلف عن ذلك بدرجة عميقة جدا ، ومن الممكن اعتبارها ذات ازمان مستحكم من الصعب تصفيته بالكيفية البسيطة الذي قد تلوح في بعض الاحيان، والامر في ذلك يعود الى اعتبارات مهمة ، تجمل معطياتها فيما يلي :

أ) من ناحية المادة التاريخية : المعرفة بالتاريخ عند اكثر الامم المتقدمة تكاد تنحصر في الاطلاع على تاريخ الحضارات اليونانية والرومانية وفترة الانحطاط القروسطي باوربا ثم النهضة الاوربية والامريكية الحديثة ، ثم نشوء بوادر الصراع البروليتاري في شكله الحديث ، وقيام العهد الشيوعي بروسيا وما اليها ، اما الحضارات العالمية الاخرى من صينية وهندية وعربية وغيرها ، فان التعرف عليها يوجد محدودا جدا، ولا يبلغ عشر معشار المعرفة الاولوية التي يلم بها الجمهور الاوربي والامريكي عن الحضارات اللاتينية والاغريقية ، ولا يقصد بهذه الاشارة طبقة الجامعيين المتطلعين،وكذا الاختصاصيون في مثل هذه الفروع من المعرفة ، بل المراد فقط ، مجموع العناصر التي هي حاصلة على درجة ما من المعرفة ، وتشكل في جملتها ما يمكن ان يعتبر كرأي عام ثقافي في البلد ، وحتى اذا ما كان الافراد العاديون من هذا القبيل ، يلمون بشيء من تاريخ وحضارات الشعوب التي تعتبر اليوم متخلفة ، فان هذه المعرفة يكاد يكون ضررها في تكوين نظرتهم الى هذه الشعوب اكثر من نفعها لانهم يحصلون عليها ضحلة محرفة ، او على الاقل مجردة من محتوياتها الاساسية التي تمكنهم من ادراك القيم الحضارية والافاق الانسانية عند الشعوب المتمدنة في القديم .

أ) توجد قطاعات مهمة من التاريخ تستوعب حياة وتطور كتل ضخمة من النوع البشري تكاد تكون مجهولة من طرف الرأي العام المثقف في العالم ، وذلك كموضوع التاريخ الحضاري لافريقيا السوداء مثلا ، او حتى اذا لم تكن مجهولة بالمرة ، فان المعرفة بها لا تعد من قبيل المعرفة المشاعة التي تساعد على التقارب بين الشعوب ومعرفة بعضها لبعض ، ولا شك ان موضوع التطور التاريخي والحضاري لشعوب الشرق الاقصى واقطار جنوب شرقي اسيا يبرز كمثال مهم في هذا المضمار .

ب) فيما يتصل بذلك ايضا ان الواضعين للمدونات التاريخية التي تعالج جانبا او آخر من جوانب حضارات الامم المتخلفة اليوم — هؤلاء الواضعون لا تتوافر لهم جميعا الادوات العلمية الكافية لتشرب روح هذه الامم ، واكتناه جوهرها الحضاري ، وذلك عن طريق الالمام ببعض جوانب ثقافاتها الخاصة ولغاتها المكتوبة والمسموعة ، وادراك ما يعتمل في كيانها الحضاري من عوامل عقلية وروحية ومؤثرات ثقافية وحضارية لها في بعض الحالات صفة مفردة وذات اهمية بالغة وثمة — حقا — في الغرب وغيره ، متضلعون من هذا المستوى ، ولكن المصادر التي يضعونها توجه عادة للاستهلاك الخاص اي في دائرة لا يقبل عليها في الغالب الا طبقة من الاختصاصيين وذوي الثقافات العليا ، وهم لا يمثلون بالقياس لعموم الرأي العام المثقف في كل بلد الا نسبة محدودة جدا ، اما الكتب الموجهة للاستهلاك العام وخاصة الكتب الدراسية فيمكن ان يضعها اختصاصيون واساتذة كبار ، ولكن اختصاصهم — من ذلك — لا يقتضيهم دائما محاولة الاشراف المباشر والشامل على حياة الشعوب ذات الحضارات العريقة ، التي يؤرخون لها ، ذلك اما لان تخصصهم

محدود المدى ضيق الافق واما لانهم يجارون الذوق العام والمفاهيم الغالبة او يتقيدون بروح برامج دراسية يتطلب منها ان تمد لغايات تربوية معينة ، اي لغايات تستهدف تكوين نشء يومن بقيمه وحضارته القومية والقارية ، بينما تبدو الحضارات الاخرى له في مستوى اقل اهمية واضأل اسهاما في ميدان التطور البشري العام . هذا من حيث المادة التاريخية .

2) اما من ناحية المفاهيم والمقاييس العامة التي يقوم عليها التفكير التاريخي عند الكثيرين ، فثمت مجال لابداء بعض الملاحظات في هذا المجال منها :

ا) ما يلاحظ من ان بعض الظواهر التاريخية الخاصة يعمم مدلولها بصورة اعتباطية وتتخذ كقاعدة وكمقياس عام ، ثم تستخرج من ذلك الاحكام استخراجا حيث ترسخ في الاذهان كانها حقائق غالية لا تقبل المراجعة ، ومن امثلة ذلك : اخضاع التقسيمات التاريخية المتعلقة بتحديد مراحل التاريخ العام ، وابراز ميزة كل مرحلة على حدة — اخضاع كل ذلك لماجريات التاريخ الاوربي فقط ، ومراحل التطور الخاصة عند الاوربيين الامر الذي ادى الى اعتبار العصر الوسيط في المفهوم العالمي اليوم على اساس انه يمثل سيادة التأخر والرجعية والظلام ، بينما الحال ان العصر الوسيط كان غير ذلك في العالم الاسلامي، حيث ان الحضارة العربية في خلاله — ممتزجة بالحضارات الشرقية الاخرى ، وبقايا التراث الاوربي القديم كان لها اشعاع مهم حينذاك في الافق العالمي ، اي في كثير من المناطق الارضية التي كانت معروفة عندئذ ولا يدعي بهذا ان الحضارة العربية كانت خالية من عوامل النقص ومظاهره ، بحيث انها كانت متكاملة سواء في معناها او مبناها ، فقد شابت هذه الحضارة — بالفعل — كثير من النقائص الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ايضا ، وما زج المجتمع العربي في غضونها من عناصر الانحلال الخلقي ، والتفكك الاجتماعي ، والاستبداد السياسي ، وعدم التوازن الاقتصادي ، واحيانا ايضا مظاهر من الجمود الفكري والانتاجي ، ما لا يمكن نكرانه ، وكل هذه الادواء ، كانت تعود في كثير من اسبابها الى ان العرب فقدوا بعد حين من الدهر حاسة التاصيل الحضاري ، الذي كان من الممكن ان يستمدوا ينابيعها من معين الطاقة العقلية والوجدانية الضخمة التي اكتسبوها نتيجة التزامهم بنشر الاسلام واقبلوا عوض ذلك على الاقتباس المتهافت في بعض الاحيان الاقتباس من الاوضاع التي كانت سائدة عند الفرس والروم ، ومجمل الافكار التي تروج عند الهنود والمجوس وغيرهم ، وبدون استعداد كاف للهضم هضموا ذلك ، فكان منه ان الحضارة الاسلامية كانت — من حيث وجهها الاجتماعي والسياسي على الاقل — غير ما كان من الواجب ان تكون عليه بالفعل وخامرتها النقائص والعاهات التي لا يمكن تجاهلها على وجه من الوجوه ، ومع ذلك وعلى الرغم مما يمكن ذكره في هذا المجال ، فقد كان البون شاسعا بين صورة العصر الوسيط في اوربا وبين صورته المتحضرة جدا في ربوع الشرق الاوسط ، والاندلس ، وحواضر الشمال الافريقي ، وبذلك فلا معنى لهذه الاطلاقات الاصطلاحية في التاريخ التي لا تكاد تقيدها قيود في اذهان الرأي العام الثقافي في الغرب الا اذا ما افترضنا ان الوضع في اوربا خلال كل العصور يصلح ان يكون مقياسا تقيم به جميع الظواهر والحقائق التاريخية بغض النظر عن ملابساتها الزمانية والمكانية الخاصة ومن امثلة هذا النوع من التقييم ايضا : اعتبار ان بداية الانطلاقة الفكرية الاساسية في التاريخ تعود خاصة الى ما بزغ في الارخبيل اليوناني من آيات الحكمة والفن ، والحال ان هناك ظواهر حضارية مهمة اخرى في اقطار الشرق الاوسط برزت قبل النهضة الاغريقية (بلاد ما بين النهرين وسوريا : السومريون ، الاكاديون ، الاموريون ، الفينيقيون ، حضارة جزيرة كريت وبحرايجه قبل اليونان) ومع ذلك لا يعتد بها في التقييم التاريخي بصورة كافية على الاقل فيما هو شائع عند عموم المثقفين المختصين في الاقطار الاوربية والامريكية .

ب) ويلحق بذلك ايضا الاعتقاد المتركز عند البعض ان التطور الحضاري العظيم الذي تمخض عنه عصر الاحياء ، كان فقط كنتيجة للتفاعل المباشر بين الفكر الاغريقي — اللاتيني ، والفكر الاوربي الحديث ، وان اية حلقة في السلسلة — يمكن ان تسمى حلقة عربية ولها اي اسهام في هذا المجال — كل ذلك لا يذكره مثل هؤلاء الا عرضا ، وبصورة لا تثير اي اقتناع كيفما كان شانه ، وقد تجد مطلق الناس في الغرب الذين تلقوا مسكة ما من المعرفة يجهلونه او لا يلمون عنه بقدر ما يجب ان يلم به ، وذلك كنتيجة بسيطة لطبيعة المنهاج التي تسير عليها الكتب المدرسية في كثير من الاقطار الاوربية وغيرها والطريقة التي تسير عليها هذه الكتب في تقييم ماضي الشعوب المتخلفة .. وخاصة منها الافريقية والاسيوية ، وما هو موقع هذه الشعوب من تاريخ التطور الحضاري عند الانسان .

ج) ومن القضايا التاريخية ذات الشان في موضوع التاريخ الاوربي ظاهرة الصراع بين العلم والكنيسة وما يتصل بهذا الصراع ونتائجه وظروفه من حقائق بارزة، تتعلق بالانظمة السائدة في النظام الكنائسي او ارتودوكسيا او كاتوليكيا او غيره ، وقد كان من نتائج الصراع الذي طال كثيرا بين الجانبين : الكهنوتية من جهة والعقلانية من جهة اخرى ، كان من نتائجه تبلور الموقف اللائكي كما يشاهد فعلا في كثير من الانظمة الدولية (نسبة الى الدولة) الموجودة ، واستقطابه مختلف الجوانب غير الكهنوتية من حياة الانسان بالغرب وخارج الغرب الا ان الملاحظ في هذا الموضوع ، ان المسألة هذه مسألة اللائكية كما يعرفها الغرب تكاد تتخذ الآن مقياسا للحكم على جميع الشعوب ، وتقييم درجة التطور التي نالته الاقطار المتخلفة عبر التاريخ ، والصفة التي تستحقها الآن باعتبارها متقدمة فكريا او انها عكس ذلك ولا ينكر ان العالم الاسلامي عرف كذلك — كما لا يزال يعرف الآن صراعات حادة بين اندفاعية

التقدم الديني والدنيوي من ناحية ، ورواج للجمود والطقوسية السلبية من ناحية اخرى ، الا ان الحقائق المجردة التي تتعلق بوجود الاسلام في حد ذاته ، والاصلاح المضاد للطقوسية الذي يمكن تطبيقه في هذا المجال كل ذلك يختلف كثيرا عما يحيط بالنظام الكهنوتي من حقائق وملابسات تكاد تعتبر الان من مميزاته الجوهرية وهذا الاختلاف بين الحالتين ، يقتضي بالتالي وجود فرق كذلك بين نتائج الصراع ضد الجمود الديني هنا وهناك ، ومن ثم فلا مجال اذن لفرض حتميات في هذا المضمار ، تستهدف تعميم الاحكام والاستنتاجات ، قياسا على ما تم في محيط التاريخ الاوربي خلال العصر الوسيط ، وقبيل عصر الانبعاث الحديث .

3) واما اذا ما نظرنا الامر ، امر التدوين والاستنتاج التاريخي ، من زاوية الملابسات السيكولوجية والعقلية التي تؤثر في توجيهه وتكييفه فان امامنا حينئذ مجالا لاستعراض بعض الظواهر نجمل البعض منها فيما يلي :

ا) حالة التأثر ببعض الفرضيات المسبقة ، التي لا تقوم على اسس نظرية وتجريبية نهائية مثل الفرضية القائلة ، بان الشعوب الملونة هي اقل استعدادا طبيعيا للتطور والابداع من الشعوب البيضاء ، ومن المعروف ان هناك من ينطلق من هذه الفرضية الى معالجة تاريخ الشعوب الملونة معالجة سطحية مستنتجا من ذلك احكاما ومفاهيم مجانية ، تؤول في مجموعها الى القول بان حضارات هذه الشعوب القديمة ليست ذات شأن في التقدم الحياتي الذي عرفته البشرية اذ ان هذه الحضارات ـ في جوهرها ـ هي مجرد حضارات لفظية ونظرية تقوم على الاستبطان النفسي والتحليق الخيالي والتنسيق اللفظي الامر الذي يتفق مع طبيعة شعوب كالشعوب السامية وغيرها ، من التي ليس لها استعداد فطري للتفكير على اسس عقلية متكاملة ، واحتذاء سبيل التجربة والانجاز العملي .

ب) حالة التأثر ببعض الرواسب النفسانية التي لعل بعضها ينحدر من القديم اي حينما كان الشرق الملون والغرب الابيض يعيشان دائما ـ خلال القرون الوسطى واوائل عصر النهضة ـ في حالة ارتياب متبادل ، كل منهما يتوجس من الاخر ، وقد يعبر البعض عن الطريقة التي يعالج بها مؤرخون من هذا النوع مواضيع التاريخ الشرقي والحضارات الشرقية ، قد يعبرون عن هذه الطريقة بانها طريقة المتأثرين برواسب الحروب الصليبية وليس من الضروري ان يجاري المرء هذا التعبير دائما بيد انه من السهل ان يلاحظ المرء ـ مع ذلك ـ ان هذه الرواسب ـ وان لم تكن ذات اصول صليبية ـ الا انها ملاحظة على اي حال في عدد من المؤرخين المعروفين ، مستمدة وجودها من اصول اخرى ، لعلها اقرب عهدا من العصور الصليبية اي انه من الجائز ان تكون لهذه الرواسب صلة بعهود النظام الاستعماري التقليدي ، الآخذ الان في الافول وما احاط بنشوء هذا النظام وتطوره ، واستفحاله من ملابسات فكرية وحساسيات نفسانية متشعبة المناحي كثيرا .

ج) وثمت حالة ثالثة يمكن ملاحظتها في هذا المقام ، وهي حالة المتأثرين ببعض الاوهام والصور الاسطورية المتعلقة بالشرق والحياة الشرقية ، وخصوصا من حيث الماضي القديم ، ان جو « الف ليلة وليلة » يكاد يشكل ـ في كثير من الحالات ـ الصورة الاكثر تمثيلا للشرق القديم في ذهن الكثيرين باوربا وغيرها ، واذا كان المؤرخون لا يصلون هناك من التأثر بهذه الاوهام ، الى درجة ان يخضعوا معالجاتهم التاريخية لمنطق الحريم واسراب القيان ومجالس الحشيش والشراب ، واجواء السحرة والبسط الطائرة فانهم مع ذلك ما زالوا مخفقين احيانا في تصحيح مفاهيم كثير من الناس حول هذا الموضوع ، وتجديد مدلول هذه الصورة التي تمتزج فيها الحقيقة بالخيال والتي تلون نظرة الكثيرين في اوربا عن الشرق على الاقل ، اذهان اولئك الذين ينزعون بطبعهم الى مسارح الخيال ، ولا يرون الشرق الا من خلال هذه المسارح التي تعكس بحق جانبا ما من حقيقة الحياة الشرقية القديمة اما الجانب الآخر ، الجانب الايجابي من حياة الشرق القديم ، فعلمهم به قليل ، او لعل هذا العلم غير موجود اطلاقا .

★ ★ ★

ان المشاكل المتفرعة عن التدوين والاستنتاج التاريخي لا يمكن ان تجد حلها بسرعة ، وعلى النحو الذي تفرضه المثالية المجردة التي يقرها الجميع مبدئيا ولكن دون ان يستطيعوا اتباعها في مستوى التطبيق العلمي ، والمراد بذلك هذه المثالية التي تقتضي تحرير الباحث التاريخي من مؤثرات العاطفة والفعالية السياسية والمذهبية ، وقد ادلوا ـ منذ بعيد ـ بحلول في هذا المضمار ، ترمي ـ مثلا ـ الى اعادة النظر في الموضوعات التاريخية ، وتجريدها نهائيا مما تحتويه من مصادمات واحقاد وحسابات متراكمة تنتظر التصفية وهناك مقترحات من هذا الباب ما فتئوا يدلون بها ـ على هذا الاساس ـ بين الحين والآخر ، والواقع انه ليس من الضروري القيام بهذا النوع من التجريد لان ذلك يؤدي الى اختزال صلب التاريخ وافقاده حالة التسلسل والتفاعل التي يقوم عليها بناؤه ، وانما المهم ـ عوض ذلك ـ هو عدم استغلال الاحداث استغلالا سلبيا اي تركيز النظر فيها ضمن بؤرة الاحقاد التي لا حد لها ، بل توجيهها توجيها ايجابيا ، يستهدف التقارب الانساني ، قبل اي شيء آخر ، واستخراج مفاهيم وصور معقولة ، لها قيمتها في هذا المضمار ، واذا كان البعض يرى في ذلك نوعا من التدخل الشخصي في تدوين التاريخ ، واخلالا بمبدأ حرية المؤرخ في النظر والاستنتاج ، فان هذه المحاذير حاصلة ايضا في حالة تطعيم

البحث التاريخي بالاحقاد والعقد المختلفة ، وفي امكان المؤرخ على اي حال ـ ان يوفق بين ضرورة الامانة العلمية وبين استخلاص العناصر الايجابية من التاريخ التي تبلور مفهوم الوحدة الانسانية هذه الوحدة التي لا تعتبر الحروب والخصامات الا ظواهر ثانوية وسطحية بالنسبة اليها ، ومن البديهي ان هذه الروح روح التوفيق بين الامانة العلمية والاهداف الانسانية الايجابية ـ يجب ان تسود ـ بصورة خاصة ـ ميدان التاليف المدرسي في مادة التاريخ ، وذلك بالنسبة لجميع اقطار العالم وحتى في حالة ما اذا لم يكن ذلك ممكنا بالنسبة للمدونات التاريخية الموجهة لعموم القراء او العينة لخاصة رجال البحث والتنقيب العلمي المتعمق وقد يقال ان مثل هذا الاتجاه الانساني في تدوين التاريخ ، وربما يكون من نتائجه ان يفضي الى التقليل من اهمية الفكرة القومية وتقليص مدى تأثيرها الايجابي في انفس الافراد والجماعات سواء بالنسبة لهذا الشعب او الآخر ، والواقع انه لا يبدو ان هناك تعارضا جوهريا بين الاتجاهين : الاتجاه القومي ، والاتجاه الانساني في تدوين التاريخ والاستنتاج منه ، وذلك راجع الى وجود عدم التعارض بين الفكرة الانسانية ، والفكرة القومية ، ولكن شرط ان تكون هذه الاخيرة مجردة من مؤثرات « الشوفينية » والعنصرية والانطوائية ، ومجمل الانحرافات الخطيرة المنبثقة عن مثل هذه العوارض ، ان امام المؤرخين في العالم الرأسمالي والشيوعي ، في افريقيا وآسيا وامريكا الجنوبية ، مجالا واسعا للتوفيق بين هذه القضيات التي تبدو متناقضة من حيث الظهر ، ولا شك ان التدوين والاستنتاج التاريخي ، المراعاة فيه كل هذه الاعتبارات والحقائق ، من شأنه ان يقدم خدمات مهمة لقضية التعارف والتفاهم الانساني في مختلف الابعاد التي يقوم عليها هذا التعارف والتفاهم ، وكما هو واضح فهذه قضية ذات اهمية قصوى في مجال التطور الذي ما برحت الحياة الانسانية تعرفه طوال النهضة الحضارية الحديثة ، ذلك ان هذه النهضة ـ وقد اوشكت ان تبلغ وسائل الاتصال فيها سرعة قياسية ، نتيجة التوسع في صنع الصواريخ والاقمار المصطنعة ـ فان هذه السرعة والاتصال الواسع الذي تتيحه ، ما زال يخلق مشاكل انسانية معقدة على الصعيد الفكري والروحي وما في مستواهما ، وهذا ما يقتضي ـ بالطبع ـ اهتماما متزايدا بتحسين عوامل هذا النوع الاخير من التواصل بين الناس ، اي التواصل الفكري والروحي وما في معناه ، وتوسيع مدى ذلك اكثر ما يمكن ، والذي لا اخال انه يثير اختلافا واسعا في الرأي ، ان الموضوع التاريخي اذا ما حسن تدوينه ، والاستنتاج منه ، وجرد من عناصر السلبية والانتهازية التي تؤثر في محتوياته ، ووجهات النظر في محيطه ، فان من شأنه ان يؤدي لقضية التفاهم الانساني خدمات لها شان يذكر ، ويسهم بالنتيجة لذلك ـ في التلطيف من حدة المشاكل الناجمة عن ازدياد التناقض الفكري والتباين الروحي بين الناس هنا وهناك في مختلف ربوع المعمور .

سلا : المهدي البرجالي

اسباب ارتقاء المسلمين

ان اسباب ارتقاء المسلمين كانت عائدة في مجملها الى الديانة الاسلامية . فعندما دانت قبائل العرب بديانة الاسلام تحولوا بها من الفرقة الى الوحدة ومن الجاهلية الى المدنية ومن عبادة الاصنام الى عبادة الواحد الاحد ، وتبدلوا بارواحهم الاولى ارواحا جديدة صيرتهم الى ما صاروا اليه من عز ومنعة وفتحوا نصف كرة الارض في نصف قرن ولولا الخلاف الذي عاد فدب بينهم لكانوا اكملوا فتح العالم ولم يقف في وجههم واقف .

شكيب ارسلان

ديوان المجلة

مختارات

من الشعر العربي القديم

القصر البديع

قَدْ تَمَّ حُسْنُ الجَعْفَرِيِّ وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَتِمَّ إِلَّا بِالخَلِيفَةِ جَعْفَرِ ١

عَالٍ عَلَى لَحْظِ العُيُونِ كَأَنَّمَا ... يَنْظُرْنَ مِنْهُ إِلَى بَيَاضِ المُشْتَرِي ٢

مَلَأَتْ جَوَانِبُهُ الفَضَاءَ وَعَانَقَتْ ... شُرُفَاتُهُ قِطَعَ السَّحَابِ المُمْطِرِ ٣

وَتَسِيلُ دِجْلَةُ تَحْتَهُ، فَفِنَاؤُهُ ... مِنْ لُجَّةٍ غَمْرٍ، وَرَوْضٍ أَخْضَرِ ٤

شَجَرٌ تُلَاعِبُهُ الرِّيَاحُ فَتَنْثَنِي ... أَعْطَافُهُ فِي سَائِحٍ مُتَفَجِّرِ ٥

مَلِكٌ تَبَوَّأَ خَيْرَ دَارٍ أُنْشِئَتْ ... وَتُرَابُهَا مِسْكٌ يُشَابُ بِعَنْبَرِ ٦

مُخْضَرَّةٌ، وَالغَيْثُ لَيْسَ بِسَاكِبٍ ... وَمُضِيئَةٌ، وَاللَّيْلُ لَيْسَ بِمُقْمِرِ ٧

البحتري

شرح الكلمات :

1 يصف البحتري قصر المتوكل العباسي المسمى بالجعفري . ـ
2 المشترى : كوكب عظيم من الكواكب السيارة شديد اللمعان .
3 شرفات القصر : ما ارتفع من بنائه .
4 دجلة : نهر بغداد المشهور ، وهو بكسر الدال وفتحها .
اللجة : معظم الماء . ـ غمر : كثير . ـ الفناء : ساحة امام البيت .
5 أعطافه : جوانبه . ـ سائح : ماء جار على وجه الارض . متفجر : سائل جار .
6 تبوا : اقام بها . ـ يشاب ، يخلط . ـ
7 لان عندها دجلة ترويها ، ولان غرفها وساحاتها مضاءة بالمنارات والشموع . ـ

عاد المليك

للشاعر: إدريس الجاي

عاد المليك وعين الله ترعاه ... بشرى بما حملت للشعب يمناه

ما اشرقت بالاماني ارض مغربنا ... الا التقتنا فالفينا محياه

يسر سمع اذا تروى محامده ... ويفرح العين بعد القلب مرآه

ان غاب عنا قليلا ، بالكثير اتى ... لذا نهلل دوما حين لقياه

رباه ، بارك لنا فيمن ابوه ابونا (م) ... (ابن يوسف) للأمجاد رباه

ما طار عاهلنا الا لمكرمة ... ما زار الا الذي للعز يلقاه

مثل الحبيب ابو ركيبة اخيه وان (م) ... الطير والطير أشباه واشباه

يبني مع الحسن الثاني لمغربنا الكبير (م) ... وكرا تردى من تحداه

كلاهما ان يحلق ، فالسماء له ، ... ما تاه ان غيره فوق الذرى تاهوا

كذا نسور بلادي في مساربها ... ما فوقها في علاها الا الله

عاد المليك ، وليت الشعب كان يرى ... كم اكرمت تونس الخضراء مثواه

ما ظنكم ببني حفص عشيرتنا ... ودمهم دمنا ، والمجد زكاه

من يوم ان كان هذا مغربا احدا ... من قبلنا قيل اقصاه وادناه ؟

ما ظنكم بحبيب مكرم حسنا ؟ ... مجدا لمن كان سماه ، وسماه

* * *

يامن حياتهما عمر النضال اطال (م) ... الله عمركما ، ابقاك ابقاه

لسوف ينسى الذي استعلى على جثث ... اما جهادكما ، من ذا سينساه ؟

حييت يا تونس الفيحاء من بلد ... الحسن مرتعه ، والفن مرعاه

ان لقبوك بخضراء فقد صدقوا ... او لقبوك بفردوس فمعناه

جلباب زيتونك الليمون زركشه ... يا ما احلاه جلبابا وأبهاه

والنخل مياس ، انسام تهدهده ... من شاطئ البحر كاد النوم يغشاه

حتى استفاق فحيى ركب سيدنا ... وكان يرقب نورا من محياه

هو الذي تعرف الخضراء نفحته ... والنخل والنحل والريحان رياه

عطر النبوءة لايخفى وان ستروا ... الله اظهره ، ما كان اخفاه

سوى الاله من الطين الجسوم ولكن (م) — من شعاع رسول الله سواه
لم يسع الا لخير الشعب آونة — لذا، فما يرتضيه : الشعب يرضاه
العدل يعرفه، والظلم ينكره — والله يأمره آبا، وينهاه
كل ابن آدم ذو سيما تميزه — والحق، والصدق، والاخلاص سيماه
من اهتدى بسناه لا يضل ومن — لم يهده نوره، فالنور اعشاه!

* * *

لا يعجبن أحد، فالدر معدنه: — في القيروان، وفي بنزرت ذكراه!
كم من كوارث كانت امس ترقبنا — وتلك مجرابها يزهو بتقواه
هذي، قواعدها تزهو بهمته — من كان يدرأ عنا الخطب لولاه؟
ولاتسل عن جماهير الشعب كم هتفت — آل الشريف، ورب العرش يرعاه
عاد المليك، فلله الذي تركت — والله بين بني الاحرار اشباه

* * *

ابناء عمي في الخضراء، ما لكم — بمن اعاد لنا التاريخ احياه!
بجلتم (الحسن الثاني) فلا تربت — ايد له صفقت، لافض افواه
متى يزور (ابو ركيبة) الذي حمل (م) — النعش المقدس، لما العز ناداه؟
متى سترفعه، وكلنا كتف، — ونحن نصرخ : حيا (بوركيبة) الله (م)؟

* * *

عاد المليك، فقرت أعين، وصفت — اذن، ورف فؤاد في حناياه...
عاد المليك، وعين الله ترعاه، — بشرى بما حملت للشعب يمناه

الرباط : ادريس الجائي

« الحمل يهون اذا تحمله كثيرون »

اذا العبء الثقيل توزعته
اكف القوم هان على الرقاب

السري الموصلي

تهنئة الملك بعودته المظفرة من رحلته الميمونة

إلى تونس الشقيقة

للشاعر : محمد العلمي

هنيئا بعودك يا بطل ... ففيك لقد أشرق الأمل
فأنت حفيد الرسول الامين ... وفضلك في الكون لا يجهل
وقومك قوم سراة ، على ... صنوف العلا ، كلهم جبلوا
فلم يخضعوا للدخيل ، ولا ... تراهم لاحكامه قبلوا
وكانوا دواما على يقظة ... فما نبذوا الحق أو غفلوا
فأنت المرجى الوحيد لديهم ... عليك جميعا لقد عولوا
يطيعك شعبك طاعة حب ... وتأمر حينا فيمتثل
وعرشك في خفقات القلوب ... ومثواك من شعبك المقل
وحاشا يخيب المحب الوفي ... وحاشا مطيعك ينخذل
رعاياك قوم كرام اباة ... فلو سئلوا الروح ما بخلوا
وشبل (ابن يوسف) احرى بأن ... يقود البلاد لما تأمل
كسرت بعزمك كل القيود ... وعزمك بالمجد متصل
وحطمت بالحب كل الحدود ... فطاب لك الحمد والموئل
وفي كل ناد تركت عظات ... بها العظماء قد اشتغلوا
وشعبك يحيا بكل امان ... ويحلو له عيشه الخضل
تسير بنا للامام ؛ وفي ... يمينك من حبنا مشعل
تريد النهوض لامتنا ... فما راقك الداء والشلل
وسعيك يشكر في كل حين ... وانت لوحدتنا تعمل
رفعت مقام البلاد عليا ... وقد خسيء الكاذب المبطل
فتونس مثل الجزائر اخت ... وفي ليبيا مجدنا يكمل
ارى الاتحاد ضمان الفلاح ... به دائما سادت الدول
هنا وهنالك اوطاننا ... فما شط اهل ولا منزل
وكان الدخيل يفرقنا ... وتلك عهود له حنظل
ومن نام عن صون حوزته ... فلا ريب يهدمها المعول
اذا الظلم صال بصولته ... فربك يمهل ، لا يهمل

وهيهات ان تستقيم الامور ... اذا اجتمع الذئب والحمل
ومهماتطل شدة الازمات ... فربك في حكمه يعدل
فينجاب ليل ، ويشرق صبح ؛ ... كذا كل شيء له اجل
وقد اذهب الله عنا الشقاء ... فلم يبق خوف ولا وجل
فسبحان من هو حي قديم ... به اينع البلقع المحل

* * *

اعدت لشعبك امجاده ... وانت الجواب لمن يسأل
فكم كربة انت فرجتها ... فحل بك المشكل المعضل
فانت جهاد وعزم وطيد ... ومجد به ضرب المثل
ورايك راي سديد بعيد ... يروق به مجدنا المقبل
بنيت لمجد العروبة صرحا ... منيعا ؛ وانت له الهيكل
اذا نودي الاسد لحت لنا ... وانت لهم سيد أول
وفي المغرب العربي الكبير ... انيرت بحكمتك السبل
واخوانك الغر عاشوا كراما ... واعداؤنا اللد قد زلزلوا
فذرهم فاحلامهم كاذبات ... ويكفيهموا كل ما اولوا
اذا افلت في السماء النجوم ... فنجمك في العز لا يأفل
اذا شئت افلحت فيما تشاء ... ففيك لوحدتنا جحفل
وانت الضمان لها كل حين ... ففيك مطامحنا تجمل
بذلت فكنت الجواد الاصيل ... فلله ما انت قد تبذل
و (فاس) العزيزة بـ (القيروان) ... لها صلة ليس تنفصل
واصواتنا تلك اصداؤها ... بتونس ضج بها المحفل
ففي كل ناد (عكاظ) يموج ... ثناء عليك ، وآياته تصقل
وفي كل حفل نشيد جميل ... وفي كل زاوية بلبل
فمرحى باخواننا في النضال ... وطوبى لهم حيثما انتقلوا
عواطفهم اصبحت كالرحيق ... يذوب بها العطر والعسل
فكم اترعوا من كؤوس الاخاء ... وما انقطع الورد والمنهل
لقد كنت من بينهم كالهلال ... وكنت باهدابهم تحمل
قد استقبلوك بكل اشتياق ... فهم بسناك قد اكتحلوا
قد استقبلوك بكل حنان ... وملؤهم البشر والجدل
وهم رحبوا بك ، بل رحبوا ... بنا ، بالاخاء وما يشمل
وتونس صارت فراديس خلد ... يروق بها السهل والجبل
وولدانها ، كاليواقيت قد ... أتت وهي من شعبها قبل
و (بنزرت) بعد الجلاء تبدت ... وعنها لقد زالت العلل
فصارت عروسا تسر العيون ... وفوق رباها ازدهت حلل

وابطالها في الكفاح أسود ... فهم في النضال قد استبسلوا
فللمجد من منهمو سلموا ... وللخلد من منهمو قتلوا
وتحقيق ما نرتجي من منى ... بدون المتاعب لا يعقل
وكنا جميعا هناك ؛ وفي ... وجودك من جبننا رسل
واني أرى الجاحدين بما هم ... قد راوه هنالك قد قنبلوا
فنحن هنا قد اقمنا احتفالا ... واخواننا مثلنا احتفلوا
ونحن بأوطاننا قد حللنا ... وفيها هنالك نستقبل
فلم يبق في راينا خطل ... ولم يبق في خطونا زلل
ونحن مضينا بعزم وطيد ... الى المجد نسعى ونسترسل

* * *

خطابك اثر في كل قلب ... فهش له الصخر والجندل
فلله درك يا ابن البيان ... فمرحى بما انت ترتجل
وانت لشعبك مفخرة ... تشرفه حيثما تنزل
وايقظت همة شعب ابي ... فما راقه النوم والكسل
وما المجد الا لكل قوي ... على غيره ليس يتكل
ومن عرف القصد سار حثيثا ... وما راعه الشك والملل
فبالعزم تدرك كل المنى ... وكل عسير به يسهل
وكل الحياة عراك شديد ... وليس بخوض الوغى اعزل
ارى القوم خاضوا الحياة بجد ... وللمعجزات لقد وصلوا
فعاشوا كراما كما رغبوا ... ونالوا نتيجة ما استاهلوا
فما قد راينا وما قد نرى ... يحققه العلم والعمل
وما كان من جنسنا من يهون ... ومن شانه الذل والخجل

* * *

امولاي شعبك غايته ... حياة كما ترتجي افضل
بنصرك شعبك اصبح طرا ... الى الله يدعو ويبتهل
سلمت هنا وهناك فقد ... صفا لك حل ومرتحل
فدم للعروبة حصنا حصينا ... وعش للعلا ايها البطل !

الرباط : محمد العلمي



حوار...

للشاعر: عبد المالك البلغيتي

الشـاب :

الـى ايـن تذهـب يا سيـدي — وفي يـدك القفـة الهائلـه ؟

الكهـل :

الى السوق ، حيث الاقي الذي — تطلبـه الـدار والعائلـه

الشـاب :

أتتـرك زوجـك ، يـا سيـدي — شريكـة عيشك ، في القابعـات ؟
فانـت احـق بـذاك الجلوس — لانـك لا تعـرف الواجبـات
فحـواء فـي السـوق سائـرة — وءادم فـي الشغـل منغمـر
الست تـرى السـوق زاخـرة — بهـن ، ولا رجـل ينكـر ؟

الكهـل :

صـدقـت بنـي ، ولكننـي — اغـار على زوجتـي وابنتـي
وتبلـغ بـي غيـرتـي مبلغـا — فامتـع مـن هرهـم هـرتـي
فكيـف ، وانـي كما قـد سمعت — تـريـد اسامـح فـي زوجتـي؟

الشـاب :

تعديـت ، يا سيـدي واجبـا — وسـرت مـع الظـن في جانـب
وافـرطـت فـي غيـرة مالهـا — بعصـر الحضـارة مـن راغـب

الكهـل :

أ اتركهـا بيـن هـذي الجمـوع — تـنـازلها اعيـن الخائنيـن ؟
فدعنـي مـن السخـف يا ولـدي — فانـي مـن نمـط الغابريـن

الشـاب :

فلـو كنت يا كهـل في منزلـي — وقـد جمعـت شملنـا المائـده
وكـل نـديـم تحـادثـه — جليلـة صاحبـه الناهـده
وحثت مشعشعـة في الكـؤوس — وهـب السـرور مـن النافـذه
لمـا عـدت ذا غيـرة ابـدا — وخلفتهـا جثـة هـامـدة
فهيا معـي ، سيـدي عـاجـلا — الـى منزلـي متعـة الناظريـن
لتفعـل مثلـي وتحيى سعيـدا — ولا تبـق في كتلـة الجامديـن

الكهل :

عجبت بني ، لما قلته   لعلك تمزح يا ابن الأباة
لأن اباك له غيرة   على عرضه ، فله الرحمات
واربا يا ولدي بك عن   سلوك يشين ذوي المكرمات
فان المروءة ، يا ولدي   تعادي وتمقت تلك الهنات

الشاب :

كفى سيدي من هزيل الكلام   ومن رجعة ، سفلت ، للوراء
فنحن شباب الزمان الذي   بذرته سوف يغزو الفضاء
ولفظ المروءة ليس له   بقاموسنا ، غير معنى الغباء
وهل نظرة الغير فيمن تحب ، ستنقصها حاجة في النساء ؟
فبالعكس ، تزداد معرفة   بأشياء تغدو بها في غناء
فماذا جنيت وزوجك ، في   حياة حجاب ينير الحياء ؟
يعز على سلوكك ذا   وفيك للون الشباب رواء
فيها السيدات ملان الفجاج   أيحسن الجمال بكل سخاء
فهل ضاع منهن يا سيدي   عزيز ، وهل شانهن العراء ؟
نما نظرة البعداء لهن   بأخوف من نظرة القرباء
تعال الى دارنا سيدي   لأمحو عنك مساوي القديم
وترقص مع غادتي رقصة   وتعرف كيف حياة النعيم
فذاك عندي مثل أبي   أريد انتشالك من ذا الغرور
فلو قمت ترقص مع غادة   وقد ضمخت جسمها بالعطور
وبالمعصم الرخص قد ساورتك   وأنت تميل بها وتدور
تغازلها برقيق الكلام   وتجني من الحسن خير الزهور
لما عدت تلبس زي القديم   وقلت : ليحيى دعاة السفور

الكهل :

بني ، كفى ، انني آسف   على ما تفوه به من كلام
فشرب الخمور وكشف النحور   وضم الخصور ، حرام حرام
فديني ينافي الذي قلته   ومالي في غيره من مرام
اخذتم عن الغرب كل مشين   نسيتم صلاتكم والصيام
وكل حرام غدا عندكم   حلالا ، بمرآى جميع الانام
وفرطتم في تقاليدكم   وفيها لكم حرمة لاترام
فياضيعة الدين بينكم   لقد كان من قبلكم في احترام
اذا ما الحديث جرى بينكم   فلا ذكر لله عند الكلام
كذاك النبي واصحابه   عليه الصلاة وازكى السلام
بربك قل لي : اما تستحي   وانت واختك في المسبح ؟
ترى عورة منك نائتة   وناظرها عنك لم يبرح
وتنظر منها ومن غيرها   مفاتن ، في الشرع لم تبح

وكم للغرائز من ثورة   اذا لم تراجع ولم تكبح
اما للحيا فيكم وازع   اذا وازع الدين لم ينجح ؟

الشاب :

اما ءان يا شيخ ان ترعوي   وتسلك مثلي طريق الصواب؟
لعل بنيك يلاقون منك   لنهج الجديد ، صنوف العتاب
فهم بك ، لاشك ، في عيشة   من الغم والكرب لا تستطاب
اتزري بنا بالمساوي التي   تراها محاسن ، ليست تعاب ؟
فترك الصلاة واشباهها   ترى من خصائص يوم الحساب
تسيرون يا ناس للقهقرى   ونحن ، نعادي ركاب الاياب
تحيطون بالدين اعمالكم   فيوصد في وجهكم كل باب
ويؤسفني ان يكون بنوك   ينالون منك شديد العقاب
لانك بالطبع يا سيدي   تعادي تطور هذا الشباب

الكهل :

بني ، على حالة مرضيه   وليسو كحالتك المضنيه
اذا ما رايت صغيرهم   بكيت لاحوالك المزريه
واكبرهم من رجال الحقوق   ويهفو ، بطبع ، لنيل المزيد
واوسطهم ضابط الطيران   وسوف يرى قائدا للجنود
وبنت تدرس طب النساء   وتبذل للفوز اقصى الجهود
وتذهب للدرس سافرة   وتكره صبغ اللما والخدود
مثالية في سلوك الفتاة   تفوق رفيقاتها وتسود
يهيمون ، حقا ، بكل جديد   اذا كان فيه لنا ما يفيد
ولا يصدم الدين في حاجة   وبالخير عنا وعنهم يعود
وهم يقدرون تراث الجدود   وءاثاره في مجال الوجود
فلا يستسيغون تشويهه   وكم يعملون لكيلا يبيد
يقومون بالدين خير قيام   وفي الذود عن وطن كالاسود
طرابيشهم فوق هامهم   خلاف النصارى خلاف اليهود
وكم يكرهون بطبعهم   ميوعة بعض الشباب العنيد
كذاك التكسر عند الكلام   وتغبين الاوجه مثل القرود
وكل مكان به ريبة   كمرقص دارك حيث تجود
يعادونه ، فهو ركن الفساد   وهل يرتضيه الغيور الرشيد؟
لان المروءة رائدهم   فهم دائما في سلوك حميد
وليس لهم عن عروبتهم   وان حذقوا السنا ، من صدود
وشاهدهم في احاديثهم   كتاب الالاه الحميد المجيد
فهم ، بالحياة معي سعداء   كما انني بهم لسعيد

سلا : عبد المالك البلغيثي

الإنسان والمرض

للشاعرة: جليلة رضا

نقدم هذه القصيدة للشاعرة العربية الكبيرة « جليلة رضا » التي نال شعرها اهتمام جميع النقاد والادباء في العالم العربي ، والتي تحتل منزلة الصدارة في الشعر النسوي المعاصر .

و « دعوة الحق » اذ ترحب وتحتفي بقصائدها المبدعة ترجو ان تبعث لها من ديوانها حتى يطلع هذا الجناح المغربي على ما ينتج في الجناح الشرقي .

توقف عن سيره متعبا وسمر رجليه فوق الصخور
ولكن صاحبه شده وصاح به أن يحث المسير
اجاب : حنانك كلت خطاي وليلي ضرير ودربي عسير
الى اين تدفعني هاربا وما منتهاي ؟ واين المصير؟
الا ايها الشيخ قف برهة لاشهد خلفي الضياء المنير
اما كنت من قبل لي طائعا سريع الرضاء ، عطوفا ، صبور !

فما بالك اليوم تسخر مني ومن ادمعي ؟
وتصرخ : سر . سر .. وصوتك يعصف في مسمعي
ويطعن ظهري خنجرك المستبد العنيد
وتلهو براسي فيبيض شعري مثل الجليد
بانفي فتنفخه كالكرة
بكل عروق يدي الناقرة

ويالك من زمن ظالم تشيع الفناء على ارضنا
وتمتم صاحبه في استياء وقطب جبهته في اكتئاب
ونادى : ايا نك من جاحد ظلمت زمانك يابن التراب

اذا ما حرمتك عز الشباب وفخر الجمال
فاني وهبتك تاج الوقار وعرس الخيال
وهدات اعصابك الثائرات
وبدلت طيشك بالذكريات
وبالصبر قلق الهوى والمجون
بروح القناعة ضيم السنين
ومن ضوء الهام معرفتي
غمرتك بالوعي والخبرة
فاما هرمت واصبحت مثلي
فحسبك اني وهبتك .. عقلي

للشاعرة : جليلة رضا



عرفته شامخا كالطود توجه / بالشمس من أخصب المرعى لراعينا

يمتد كالبحر في صدر الخلود وما / يفوته البحر لا عنفا ، ولا لينا !

تسلم العام فيه خير اربعة (*) / وانشد الليل فيه خلف حادينا

اهدت اليه عيون المجد بؤبؤها / والصين اؤلؤها . ما ابعد الصينا !

لكن اذا دوخ الدنيا بنوه فما / كانت هناك هدايا لا توافينا

فمن قبائله اجدادنا بعثوا / الى الملوك المزايا والقوانينا

على سواحلنا نامت بضاعتهم / وفي سواحلهم قامت مراسينا

وفي سواعدنا غنت حرائرهم / ومن سواعدهم فرت مواشينا !

اي سيدي ! واخي ! يامغربي ! وابي ! / امي ! وسكان دربي ! والبعيدينا ..

شربت من كل نبع ، ثم ما لقيت / نفسي كنبعك حلوا ، في مجارينا !

محمد البوعناني

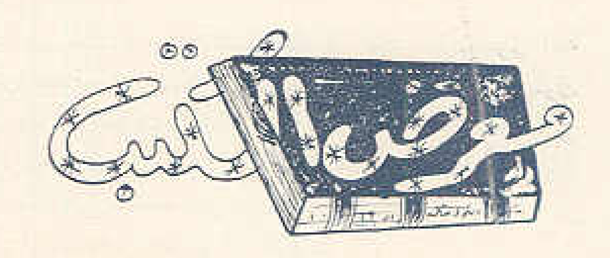
(*) الأربعة بكسر الباء : جمع ربيع





ينشد الشعر والمعاني تلقاها من الحب قلبه الموهوب
هو يبكي مع الدجى ، واذا ادبر يشدو كأنه عندليب
باكرت روحه الصبابة حتى عاد من فرطها حشاه يذوب
حبه خالد كأنه نور سرمدي عن الدنى لا يغيب
سهر دائم ، وفكر شرود ، وعذاب مقدر مكتوب
هو روح مجنح ، وهو قيثار ولحن به الحياة تطيب
يكشف الستر عن جميع الذي يجهل اسراره الذكي اللبيب
ويناجي الربى وينبت للناس ربيع الحياة وهو كئيب
ويمد الوجود بالسحر والفتنة والقلب تعتريه الكروب
هو مثل السراج يعطي ضياء لسواه وفيه يسري اللهيب
في معانيه رقة وجمال ، وبالفاظه هوى ونسيب
يجعل الحرف نجمة ، والقفار الجرد روضا تضوع فيه الطيوب
فيه سر الوجود ، فيه جلال الحب .. فيه الحبيب والمحبوب
دينه الروض ، والشحارير ، والألحان ، والفجر ، والربيع الخصيب
حظه اسود ، وقلبه كالبحر — على الرغم من أساه — رحيب!

العرائش : حسن محمد الطريبق



الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الفكرية

تقديم وتعليق للأستاذ: عبد السلام الهراس

تفضل ـ مشكورا ـ الاستاذ الاديب السيد انور الجندي باهدائي كتابه الجديد « الفكر العربي المعاصر .... » وقد كنت في اشد الرغبة لقراءته لموضوعه الخطير الذي يعالجه ، ومن الغريب والمؤسف ان نحرم من كثير من الانتاج الفكري والثقافي العربي في عصر السرعة والمواصلات والتبادل الثقافي الدولي ، وكم من كتاب نسمع به صدفة او نقرأ عنه من حين لآخر في بعض الجرائد ولكنك ان بحثت في المكاتب لا تعثر على اي أثر عنه ، في حين تتوفر في السوق الكتب والمجلات الاجنبية .

وبهذه المناسبة اريد ان اشير الى ان مما يحول بين القاريء المغربي والكتاب العربي الغلاء الفاحش الذي « يتمتع » به هذا الكتاب ببلدنا ، ونظرة سريعة لثمن الكتاب الحقيقي ، والثمن الذي يباع به هنا تطلعك على مدى الاستغلال المؤسف للعلم والثقافة .

والاستاذ انور الجندي ليس جديدا على القاريء المغربي فقد عرفه كاتبا في اشهر المجلات العربية ، ومن الذين يسهمون بحظ وافر في الكتابة « بدعوة الحق » .

والمؤلف الكريم ممن يعيشون « للفكرة » ويلتزمون بها ، فعنها يصدر في مؤلفاته وكتاباته . وفي هذا الكتاب تتجلى اتجاهات المؤلف الاسلامية والعربية .

ويقع الكتاب في 650 صفحة ويشتمل على ابواب ثلاثة وفصول كثيرة ومتنوعة ، وكل فصل مجزأ الى فقر متعددة ، والمؤلف يبسط القول بسطا في بعض تلك الفصول ويستقصي الجزئيات للفكرة التي يستعرضها ويعالجها .

والكتاب على كثرة صفحاته يستبد بالقاريء ويفرض نفسه عليه لانه يتناول موضوعا خطيرا ومهما بالنسبة للمسلمين والعرب ، وان كل فصل فيه ليدعوك لقراءة الفصل الذي يليه ، وهو مع ذلك مرجع مهم عن فريد الكتابة في موضوع الفكر العربي المعاصر ، والصراع الثقافي العربي والاستعماري .

فالكتاب ذو موضوع خطير في عرض شيق ، يعرض علينا اخطر معركة عاشتها الامة العربية ، تلك المعركة الفكرية والثقافية التي ما زلنا نعيشها اليوم ، بل قد اشتد اوارها وحمي وطيسها في البلاد العربية القريبة العهد بالاستقلال ، وان السير المعوق الذي نسيره ، والحركة المشلولة التي نتحركها ، ليست سوى احدى نتائج تلك المعركة القاسية الضروس التي لم تقدرها حق قدرها بعد .

قسم المؤلف الكتاب الى ابواب كبيرة ذات فصول كثيرة :

1) الفكر العربي في مرحلة اليقظة .
2) الفكر العربي ازاء الغزو الثقافي .
3) مرحلة التحدي ورد الفعل .

وقد تحدث في الباب الاول عن يقظة الفكر العربي ، ويرى أن النهضة العربية لم تبتديء بحملة نابليون على مصر سنة 1798 او بوصول البعثات التبشيرية الفرنسية سنة 1847 والامريكية سنة 1868 الى بيروت بل ان بداية هذه اليقظة الفكرية كانت قبل ذلك بأمد طويل ، انها تبتديء بدعوة محمد ابن عبد الوهاب الذي قام بها حوالي 1740 ومعنى ذلك ان بداية اليقظة كانت اسبق من البعثات التبشيرية بمائة عام (ص 21 / 22) . ويعقد المؤلف فصلا

لتيارات الفكر العربي حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، ويصنف هذه التيارات فيما يلي :

1) تيار التجديد الديني .
2) التيـار الثقافـي .
3) التيـار السياسـي .
4) تيـار الاصـلاح الاجتماعـي .

ويتمثل تيار التجديد الديني في محمد بن عبد الوهاب ، الشوكاني ، الالوسي ، السنوسي ، المهدي، محمد عبده . ولم يذكر الاخ المؤلف من يتمثل فيهم بوضوح هذا التيار في المغرب العربي ما عدا السنوسي

وفي فكرة التيار الثقافي عن فكرة المـزج بيـن الثقافة العربية والاجنبية وعن المدارس التي اسست في فجر النهضة بالبلاد العربيـة وعـن الترجمـة والطباعة ، كما ابرز دور الازهر في المجال الثقافـي ، وكذلك دور التربية والتعليم ، وقد فصل القـول فى هذا التيار وبين اهدافه بدقة ومعالمه بتحديد .

وقد اسهب بعض الشيء في التيار السياسـي وضمن ذلك تحدث عن تيار الجامعة الاسلامية وبيـن الدوافع للمناداة بذلك ، واول من دعـا الى هـذه الجامعة هو جمال الدين الافغاني (ص 91) .

وفيما يتصل بالقومية العربية يرى المؤلف بانها كانت كرد فعل للقومية الطورانية ، وتركزت في الشام (سوريا ولبنان) واحتضنها اول الامـر العـرب المسيحيون الذين تاثروا بالثقافة الغربية عن طريـق الجامعات الامريكية والفرنسية التي انشئت بلبنـان، والتي حملت لواء الدعوة الى القومية كوسيلة للقضـاء على الخلافة الاسلامية وتمزيق كيان الامبراطوريـة العثمانية ، وقد اعتبر هذا التيار الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي تراثـا عربيـا .

ويشير المؤلف الفاضل الى ظاهرة اخرى خطيرة، وهو تحويله نحـو التغريب كمحاولـة للتشكيك في مقدار العرب والمسلمين (ص 100) .

واعتقـد ان من اكبـر المؤامرات على الفكـرة الاسلامية وعلى المسلمين هذه الدعوة الجاهلية الجديدة التي تدعي ان كل عبقرية اسلامية مصدرها «العروبة» حتى ان **الاسلام مظهر من مظاهر هذه العبقرية** ، وانهم يتخذون ذلك وسيلة للتشكيك في بعثـة رسول الله الذي يصفونه بالعبقري العربي وبعض هؤلاء يقـول بان رسالة العرب كانت دينية ، ولما استنفذ الديـن اغراضه وتغير العصر اصبح لزاما ان تتغير هـذه الرسالة الى ناحية غير دينية الى غير ذلك من الافكار التي تستهدف تحطيم الاسلام .

فالمؤلف الفاضل يكشف لنا بان « القوميـة » نشات في احضان مؤسسات تبشيرية استعماريـة وهذه المؤسسات اقامها الاستعمـار لتزييف الفكـر العربي الاسلامـي ، ومسخ القيم ، وتفتيت الكيـان الروحي والطاقة النفسية للامة الاسلامية .

وان المطلع على حقائق الامور وما يدبـر لهذا الاسلام من مكائد باسم دعوات مختلفة ومؤتمـرات مختلفة ومؤسسات كثيرة ليعلم الاستعداد الهائـل لتخريب العقيدة الاسلامية .

ان المؤلف قـد اصاب في نصـه على هاتيـن الظاهرتيـن :

1) نشوء القومية في احضان المدارس التبشيرية
2) تحويلهـا نحـو التغريب .

والواقع ان منشاها كان اساسا محاولة للتغريب والبلبلة والاضطراب لتجريـد الشباب المسلم مـن الوجهة الصحيحة ، والهائه بالضحالـة والشعارات التي لاتكون حصانة ولا تنقذ من تأخر .

وان الاحداث الجارية في بعض بلاد المسلميـن والعرب لتطلعنا على مدى رزء هـؤلاء في افكارهـم ووحدتهم الروحية ووجهتهم الاسلامية .

وفي فصل « تحرير المراة » عـرض السيـد المؤلف آراء بطرس البستاني والشدياق والطهطاوي ، وفصل القـول في دعـوة قاسم اميـن .

والجميع يعرف ان هذا الكاتب قد اثار ضجـة كبيرة في الشرق حول تحرير المـراة ، ولكـن الذي لا يعرفه الجميع هو ان هذا الداعية الجـريء قـد تراجع عن افكاره بعد (*) وهذا التراجع يسجلـه السيد المؤلف بتثبت وتحـر (ص 125) .

وفي الباب الثاني تحت عنوان « الفكر العربـي ازاء الغزو الثقافي بعد الحرب العالمية الاولى » يتحدث المؤلف عن وقـوع البلاد العربيـة تحت سيطـرة

(*) اما المرحوم الدكتور منصور فهمي فقد اعلـن تراجعه في صحف القاهرة كمـا سمعت ذلك منـه مشافهة عند اجتماعـي بـه في بيت المرحـوم الامير محمد عبد الكريـم الخطابـي وقـد نشرت حديثـه في حينـه ....

الاستعمار الذي تقاسم تركة الرجل المريض ، ومزق بلاد العروبة شر تمزيق ، وبعد اخذ كل دولة حصتها من التركة ابتدات حملة الغزو الثقافي لتركيز اقدام الاستعمار ، وقد بين المؤلف أسس هذا الغزو وادواته؛ وكلها تتفق في تمزيق الفكر الاسلامي العربي ، وبث العنصرية الدينية والقومية ، والاستعمار ينوع اساليبه حسب مصلحته وقد يدعو الى الطائفية الدينية حيث يجد العنصر الديني مادة للاستغلال ، فاذا وجد امة متحدة العقيدة والدين ، اثار العنصر القومي والقبلي كالكردية والبربرية ، وقد ينبش في التاريخ القديم لاستخراج عنصر الاستغلال كالفرعونية والفينيقية ، ولكان يعلم من التاريخ ابعد من ذلك لاتى بالعجب العجاب .

وفي رايي ان من اكبر وسائل التغريب والتخريب الجهاز التشريعي والقضائي الذي اقامه الاستعمار فى البلاد الاسلامية ، وما زلنا نرعاه الى اليوم بل نجعله اساسا للتحاكم بيننا ومنوالا تسبح عليه كل قوانينا .

وقد ابان الاستاذ المؤلف عن مدى تأثر الفكر العربي بالنظريات والمذاهب والآراء الغربية المادية ، ومظاهر ذلك التأثر والصراع الذي حدث بين انصار فكرة واعدائها كالمعارك التي ثارت حول النشوء ، والارتقاء ، والمادية التاريخية لماركس ، ونظرية الشك لديكارت ونظرية فرويد في الجنس ، ومذاهب الفاشستية والنازية ... الخ .

كما تحدث عن الاستشراق وبين انه اداة طيعة في يد الاستعمار وفضح المؤلف بعض نواياهم ومؤامراتهم ، وقد كان للمستشرقين « ابناء » رددوا آراءهم وحملوا لواء التحدي للفكر الاسلامي وللتراث الديني ، وذكر المؤلف اسماء بعض هؤلاء الابناء مثل: منصور فهمي ، واحمد ضيف ، وطه حسين ، وزكي مبارك ، واسماعيل مظهر .

فقد اعد منصور فهمي رسالة الدكتورة في باريس تحت اشراف المستشرق الاسرائيلي ليفي بريل عن « حالة المراة في التقاليد الاسلامية وتطوراتها » ومما جاء فيها « ان محمدا شرع لكل الناس واستثنى نفسه ... » وسار على هذا الدرب..

كما حضر طه حسين رسالة الدكتوراة في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية تحت اشراف اليهودي دركايهم ، ولم ينس ان يهاجم كفاح المغاربة ضد الاستعمار الفرنسي ، « واستعصاءهم على رسالته التحضيرية » .

واستسمح القاريء الكريم اذا انا وقفت عند هذا الحد من استعراض ابواب وفصول هذا الكتاب القيم . فما تزال هناك فصول عن مواجهة الغزو ومعارك المقاومة .

ومما يحمد عليه الاستاذ انور انه ذيل كل فصل بذكر المراجع وبذلك يقدم لنا مكتبة عربية مهمة عن هذا الموضوع الخطير لمن اراد استزادة البحث فاذا اضيفت اليها المصادر المكتوبة بالاجنبية تكونت لدينا مكتبة ضخمة عن هذا الموضوع الخطير .

والكتاب يصلح لان يكون نواة لموسوعة تبحث فى علاقة الفكر العربي الحديث وصلته بالاستعمار ، وان الكتب التي تناولت هذا الموضوع قليلة جدا ومن ابرزها : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار للدكتور البهي ، والتبشير والاستعمار في البلاد العربية لفروخ والخالدي ، وفصول من كتب مالك بن نبي وكتابه : الصراع الفكري ... واننا لفي حاجة شديدة لمثل هذه المؤلفات .

وان تكن لي ملاحظة فهي اقتضاب المؤلف حديثه عن المغرب العربي الذي كان مسرحا خطيرا ، وما يزال ، للتغريب والتبشير والغزو الثقافي ، وما تزال المعركة على اشدها هنا في الجناح الغربي لبلاد العروبة ، وان كانت هذه الملاحظة لا تعفينا ، نحن كتاب المغرب من مسؤولية التقصير فى واجب القيام بالبحث في هذا الموضوع .

وبعد ، فانا لنرجو من الاستاذ المؤلف مزيدا من الانتاج في هذا الميدان لان شباب العرب في امس الحاجة لمن يكشف لهم عن حقائق الامور ويبصرهم بمواطن الخطر ، ويطلعهم على ماضيهم ومجادهم ، ويحضهم على بناء مستقبل وطنهم في ظلال من حرية الفكر والضمير ، وتحت راية القرآن .

تطوان : عبد السلام الهراس

قصة العدد

حبة السلت

قصة ليو تولستوي ترجمة: ابراهيم السولامي

عثر اطفال ذات يوم في حفرة على شيء في حجم بيضة دجاجة يخترقه خط ؛ وتوهم الجميع ان ذلك الشيء هو حبة قمح ، فمر احد الناس ورآها بين ايدي اطفال فاشتراها منهم بخمس كوبيات وحملها معه الى المدينة وباعها الى القيصر على اعتبار انها شيء غريب .

فامر القيصر باحضار الحكماء وعرض عليهم ذلك الشيء طالبا منهم ان يتعرفوا على طبيعته ، فقلبه الحكماء على وجوهه دون ان يستطيعوا استكناه حقيقته .

ولما عجزوا عن معرفة الكنه وضعوا ذلك الشيء على حافة نافذة وتركوه ، واذا بدجاجة تمر حذاء النافذة فتنقره وتخلف به ثقبا ، فتأكد لدى الحكماء أن ذلك الشيء هو بذرة وساروا الى القيصر واخبروه بأن ذلك الشيء هو حبة سلت ، فبهت القيصر لذلك وطلب من الحكماء أن يبحثوا أين ومتى امكن لحبة سلت من ذلك الحجم ان تنمو ، وعاد الحكماء ليغرقوا في تأملاتهم ويستشيروا اهم كتبهم ، ولما لم ينتهوا الى نتيجة ساروا الى القيصر وقالوا له :

— ليس في امكاننا ان نطمئنك . ان كتبنا لم تهدنا الى معرفة هذه الحالة ، وعليك ان تسأل الفلاحين فربما كان بينهم من سمع بالمكان والزمان الذي استطاعت هذه الحبة ان تنمو فيه .

فارسل القيصر يطلب اكبر الفلاحين سنا فجيء بفلاح عجوز ذي وجه اخضر ، وفم خال من الاسنان فدخل وهو يستند الى عكازتين . فعرض عليه القيصر حبة السلت ، لكن العجوز لم يكن يبصر بوضوح وكان عليهم أن يساعدوه ليتفحصها بعينيه ويديه فسأله القيصر :

— هل تقدر يا ابتاه على معرفة أين يمكن أن تكبر هذه البذرة ، وهل اتفق لك أن زرعت منها في حقولك او اشتريت مثلها من مكان ما ؟ .

كان الشيخ من الصمم حتى انه كان يجد صعوبة كبرى في السماع ، لكنه أجاب آخر الامر :

— لا ، لم أزرع قط مثلها ولا حصدت ولا اشتريت سلتا من هذا النوع ، فالقمح الذي كنت اشتريه او ازرعه لم يكن باكبر من قمح هذه الايام . وعليك ان تسأل ابي ان مر بسمعه المكان الذي يمكن أن تنمو به هذه البذرة .

فامر القيصر باحضار اب العجوز فجيء به وكان فلاحا طاعنا في السن يمشي مستندا على عكازة واحدة ؛ فعرض عليه القيصر حبة السلت قائلا :

— اتعرف ايها الشيخ اين يمكن ان تنمو بذرة من هذا النوع ؟ وهل زرعت مرة مثلها في حقولك او اشتريتها ؟

كان سمع الشيخ ثقيلا الا انه كان احسن حالا من ابنه فاجاب :

— لا . لم أزرع مثل هذا السلت ولم احصده ولم اشتر قمحا من نوعه . لقد كانت النقود مجهولة في عصرنا ، وكان كل واحد ياكل من قمح حقله ، والذين يملكون حقولا اكثر يقتسمونها مع الذين لا يملكون . اني لا أعرف اين يمكن أن تزرع مثل هذه البذرة . ففي عصرنا وان كان السلت أضخم حبا منه اليوم لكنه

(*) السلت : نوع من القمح لكنه اعلى منه ينبت في الاماكن الباردة .

اقل حجما من هذه البذرة . ولقد سمعت من ابي ان السلت في عهده كان اجود وكان يعطي بذورا اضخم ، فاسال ابـي .

واستدعى القيصر ابا الشيخ فاتى وكان بلا عكازة ، خفيف المشي ، حاد العينين ، قوي السمع ، واضح الصوت ، فقدم له القيصر البذرة ، فاخذها وفحصها وقوم وزنها ثم قـال :

— منذ سنين لم ار سلت العصور القديمة .

وبعد ان عض عليها ومضغها بين اسنانه تابع كلامـه :

— انها تماما بذرة تلك العصور .. فساله القيصر:

— ستقول اذن ايها الاب اين ومتى زرع مثل هذا السلت ؟ وانت ؟ اما كنت تشتريه وتزرعه في حقولك؟

فاجاب الفـلاح المسن :

— في عصرنا لم نكن نعرف سلتا غير هذا . انه نفس السلت الذي كنت آكله واعطي للآخرين لياكلـوا منـه . بل هو السلت نفسه الذي كنت ابذره واحصده وارسله الى الطاحونة .

فساله القيصر من جديد :

— وهل كنت تشتريه ؟ أم كنت تبذره بنفسك في حقـولك ؟

فقهقه الشيـخ ثم قـال :

— في عصرنا ، لم يكن احـد منا تراوده حتـى مجرد الفكرة في اقتراف مثـل هذا الذنب ، ذنب ان يشتري الخبز أو يبيعه ! . فالنقود لم تكن موجـودة ، وكل واحد عنده من الخبز ما يكفيه ليعيش .

فساله القيصر :

— قل لي ايها الاب اين كنت تزرع حبـا من هذا النوع ؟ واين كان حقلك ؟ فاجاب الجد :

— كان حقلي هو ارض الله ، فالتربة كانت حرة ولم يكن احد سمي الارض ارضه . العمـل وحده الذي نسميه عملنـا .

فمضى القيصر يسال :

— والآن ايها الاب اريد معرفة شيئين آخريـن : أولا : لماذا كانت هذه الحبة تنمو في عصركم ولا كذلك في عصرنا ؟ وثانيا : لماذا يحتاج حفيدك الى عكازتيـن ليمشي ، وابنك الى واحدة بينما انت نشيط خفيـف الحركة ؟ عيناك تبصران بوضـوح ، واسنانك تعض وتمضغ ، وكـلامك صريـح بشوش .. لماذا اذن ايهـا الاب ؟ .

فاجاب الفلاح فـورا :

— لان اناس هذا العصر تخلوا عن طلب خبزهـم من عمل ايديهم ، واصبحوا يؤثرون العيش من عمـل الغير . اما نحن فلم نكن نعيش بهذا الشكل فـي عصرنا . لقد كنا نتبع شريعة الله ونعيش قانعيـن بالكفـاف دون ان نحسد احـدا .

القنيطرة : ابراهيم السولامي

« الا انـه اسـد ! »

عيـر ثعلـب لبـوءة ، بأنهـا انما تلـد فـي عمـرهـا كلـه شبـلا واحـدا .

فقالـت : نعـم ، الا انـه اسـد ! ! .

فتاوى دعوة الحق

حول سؤال متعلق بالرضاع

للأستاذ : الطيب البواب

بعث السيد العلمي الطيب الشاوني من مدينة شفشاون الى مجلة « دعوة الحق » السؤال الآتي :

تزوج رجل بامرأة فولدت معه ، ثم بلغ الى علمه ان زوجته هي اخته من الرضاع فاصابته حيرة شديدة ولم يدر ما ذا يفعل .

فما هو الحكم في هذه النازلة ؟

1) فهل يستمر مع زوجته ام يفارقها ؟

وهل في حالة الفراق ينتسب الاولاد لابيهم ام لامهم ام لهما معا ؟

وقد التمست المجلة من الاستاذ السيد الطيب البواب المستشار بمحكمة الاستيناف بالرباط والكاتب العام للمجلس الاعلى للقضاء ، وهو من المحرزين على شهادة العالمية من القرويين وشهادة الليصانص في الحقوق ، ان يتولى الاجابة على هذا السؤال مع اعطاء البيانات الوافية التي قد يقتضيها المقام ، فتفضل مشكورا بالجواب الآتي :

من المتعذر الجواب بالدقة الكافية على السؤال اعلاه نظرا لما يحيط به من الغموض . فلئن كان من السهل الجواب بانه لا يجوز ان يتزوج الرجل اخته او بنته مثلا من الرضاع ، فانه على العكس من ذلك يصعب في هذه النازلة القول بالتفريق بين الزوجين او عدمه ، لان ذلك يتوقف على بيان عدة فصول كان ينبغي تحديدها في السؤال . واهمها كيف بلغ الى علم الزوج اشتراكه في الرضاع مع زوجته وكيف كا هذا الرضاع ؟ .

فالفقه لا يكتفي في التفريق بينهما باي طريق بلغ ذلك الى علمه . كما ان الرضاع المحرم له شروط اذا لم يتوفر وجودها لم يكن له اثر في التحريم .

ولعل ادارة مجلة «دعوة الحق» قد استشعرت هذا الغموض الذي يكتنف السؤال الوارد عليها وتنقصه بعض البيانات ، وهذا ما حدا بها ، فيما اعتقد ، الى طلب اضافة بعض الايضاحات في الموضوع تلافيا لذلك النقص .

وايا ما كان ، فانني جمعا بين الرغبتين : رغبة السائل من جهة ، ورغبة مجلة « دعاة الحق » من جهة اخرى والتي هي في الواقع تكملة ضرورية للسؤال ، رأيت من الافضل ان يكون الجواب محتويا على :

اولا ــ شروط الرضاع المحرم للنكاح

ثانيا ــ طرق ثبوته

ومن بيان هذين الفصلين يمكن للسائل ان يتحقق بما اذا كانت الصورة التي يسأل عنها تتوفر فيها شروط التحريم وثابتة ثبوتا كافيا فتترتب على ذلك جميع آثار التحريم ام تنعدم فيها بعض الشروط فلا يلزم فيها تحريم .

ثالثا ــ آثار التحريم . واتناول في هذا الفصل بيان حكم وضعية الزوجين المحرم نكاحهما ووضعية اولادهما .

وابادر هنا ببيان معنى كون الرضاع محرما فاقول باختصار كل رجل وامراة يحرم نكاحهما بسبب قرابة النسب او المصاهرة ، يحرم كذلك نكاحهما بسبب قرابة الرضاع . لقوله تعالى (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم كما اخرجه الامام مالك في الموطأ والبخاري ومسلم في صحيحهما وغيرهم من المحدثين (الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة) وفي رواية اخرى « يحرم في الرضاعة ما يحرم من النسب » .

وسياتي بيان ذلك بعد بيان شروط الرضاع المحرم وطرق ثبوته .

اولا ــ شروط الرضاع المحرم للنكاح

1) شرط الرضاع في الحولين وما قاربهما .

اجمع الفقهاء على ان الرضاع داخل الحولين يحرم اخذا من الآية الكريمة « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة »

والرضاع فيما زاد زيادة يسيرة على الحولين هو كحكم الرضاع داخلهما لان ما قارب الشيء يعطى حكمه ، وحددت الزيادة اليسيرة عند الامام مالك بالشهر او الشهرين او ثلاثة اشهر حسب روايات مختلفة عنه اقتصر منها الشيخ خليل في مختصره على الشهرين . ونصت مدونة الاحوال الشخصية الفصل 28 على ان الرضاع لا يمنع من الزواج الا اذا حصل في الحولين الاولين . وظاهرها ان الرضاع خارج الحولين لا يحرم ولو كان في زمن يسير بعدهما .

2) شروط عدم فطام الرضيع داخل الحولين .

هل يشترط في كون الرضاع محرما ان لا يكون الرضيع قد فطم واستغنى بالطعام ، او يقع التحريم بالرضاع كلما كان داخل الحولين ولو كان الرضيع مفطوما يكتفي بالغذاء ؟

مذهب الحنفية والشافعية ، ان الرضاع تترتب عنه الحرمة اذا وقع داخل الحولين ولو بعد فطام الرضيع واستغنائه بالطعام استنادا الى ما في الصحيحين (انما الرضاعة من المجاعة) بتاويل ان المراد الرضاع الواقع في سن المجاعة اي سن الرضاع . وسنه حولان كما في الآية (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة) وفطام الولد قبل انتهاء الحولين لا يخرجه من سن الرضاعة .

ومذهب الامام مالك ان الرضاع لا ينشر الحرمة اذا كان بعد فطام الولد واستغنائه بالطعام ولو وقع داخل الحولين ولو لم تمر سوى مدة يسيرة على فطامه على المشهور . وذلك على اساس ان المراد بالحديث (انما الرضاعة من المجاعة) الرضاع الذي يسد جوع الرضيع . فاذا فطم الولد داخل الحولين وصار مستغنيا بالطعام فان رضاعه بعد ذلك لن يسد من جوعه وبالتالي لا يترتب عليه اثر التحريم . وبناء على ذلك فان المذهب المالكي يتفق مع المذهبين الحنفي والشافعي في نشر الحرمة اذا كان ارضاع الطفل داخل الحولين يكفيه عن الطعام ولو بعد فطامه كان يرضع بعد فطامه بزمن يسير نحو اليوم واليومين .

ويعلم مما تقدم ان الرضاع داخل الحولين لا يحرم اذا توفر فيه امران : (1) ان يقع بعد فطام الولد (2) ان يكون الولد قد الف التغذي بالطعام وصار يستغنى به عن الرضاع بحيث لو ارضع بعد ذلك لما سد جوعه . فان تخلف الامران او احدهما وقعت الحرمة بالرضاع . لكن مدونة الاحوال الشخصية (الفصل 28) اخذت بمذهب الحنفية والشافعية حيث اطلقت في التحريم بالرضاع اذا حصل في الحولين الاولين فظاهر اطلاقها ان الرضاع يحرم فيهما ولو كان الرضيع مفطوما واستغنى بالغذاء . وبه قال بعض المالكية كمطرف وابن الماجشون وهو خلاف المشهور في المذهب المالكي المشار اليه بقول خليل (الا ان يستغنى ولو فيهما)

رضاع الكبير :

اما رضاع الكبير فان جل المذاهب على عدم التحريم به اعتمادا على الآية والحديث المتقدمين وآثار كثيرة اخرى :

ففي سنن ابى داود لا رضاع الا ما شد العظم وانبت اللحم وفيه ايضا انما الرضاع ما انشز العظم وفتق الامعاء .

وفي موطا الامام مالك عن عبد الله بن دينار قال رجل الى عبد الله بن عمر وانا معه عند دار القضاء يسأله عن رضاعة الكبير فقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال اني كانت لي وليدة وكنت اطؤها فعمدت امرأتي اليها فارضعتها فدخلت عليها فقالت دونك ، فقد والله ارضعتها — تريد انها حرمتها عليه لانها صارت ابنته من الرضاع — فقال عمر اوجعها وائت جاريتك فانما الرضاعة رضاعة الصغير .

وفيها ايضا ان رجلا سأل ابا موسى الاشعري فقال اني مصصت من امرأتي من ثديها لبنا فاذهب في بطني . فقال ابو موسى اني لا اراها الا حرمت عليك . فقال عبد الله بن مسعود انظر ما ذا تفتى به الرجل فقال ابو موسى فما ذا تقول انت ؟ فقال عبد الله بن مسعود لا رضاعة الا ما كان في الحولين فقال ابو موسى : « يا اهل الكوفة لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الحبر بين اظهركم . »

اما الظاهرية وعطاء والليث فقالوا بان الرضاع ينشر الحرمة ولو كان المرضع (بفتح الضاد) رجلا كبيرا مستندين في ذلك على اطلاق الآية (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) وعلى الحديث الذي اخرجه مالك والشيخان وغيرهم ان سهلة بنت سهيل امرأة ابى حذيفة ، وكان تبنى سالما كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة ، جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان نزل قوله تعالى (ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) فقالت يا رسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل علي وانا فضل — اي غير متسترة بما تستر به المرأة عن الرجل الاجنبي — وليس لنا الا بيت واحد وان سالما قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما عقلوه وانه يدخل علينا واني اظن ان في نفس ابي حذيفة من ذلك شيئا . فما ذا ترى في شأنه ؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضعيه خمس رضعات تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس ابي حذيفة . فقالت كيف ارضعه وهو رجل كبير فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال : قد علمت انه رجل كبير ، فرجعت اليه وقالت انى قد ارضعته فذهب الذي في نفس ابي حذيفة وكانت تراه ابنا من الرضاعة .

وبهذا قالت ايضا ام المومنين عائشة رضي الله عنها فكانت تامر اختها ام كلثوم وبنات اخيها عبد الرحمن ان يرضعن من احبت ان يدخل عليها من الرجال .

وبعض العلماء اخذ به في رفع الحجاب خاصة ولم ياخذ به في تحريم النكاح .

لكن باقي ازواجه صلى الله عليه وسلم لم يعملن بذلك ولو في رفع الحجاب وكن يرون ان رضاع الكبير لا اثر له مطلقا ولا يصير به المرضع محرما للمرضع ، وابين ان يدخل عليهن بتلك الرضاعة احد من الناس وقلن لعائشة « لا والله لا نرى الذي امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة بنت سهيل الا رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في رضاعة سالم وحده . لا والله لا يدخل علينا بهذه الرضاعة احد » .

وهذا هو مذهب الجمهور حتى قال الباجي كان الخلاف اولا في تحريم رضاع الكبير ثم انقطع وانعقد الاجماع على انه لا يحـــــرم .

3) قدر العدد المحرم من الرضعات .

هل يشترط في الرضاع المحرم ان يبلغ عـــددا معينـــا من الرضعات ام لا يشترط في ذلك قدر محدد ؟

أ – ذهبت جماعة الى ان التحريم لا يقع الا بعدد معين من الرضعات :

فعند ابي عبيد وابي ثور وداود لا تحريم الا بثلاث مصات فاكثر لما في صحيح الامام مسلم عن عائشة مرفوعا (لا تحـــرم المصة والمصتان) وحديث ام الفضل مرفوعا ايضا (لا تحـــــرم الرضعة والرضعتان)

وعند آخرين اقل ما تقع به الحرمة عشر رضعات .

وقال الشافعي لا يقع التحريم الا بخمس رضعات فما فوقها اعتمادا على حديث سهلة المتقدم وعلى حديث عائشة ايضـــا كان فيما انزل من القرآن عشـــر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فيما يقرأ من القرآن (✶)

ب) وقال مالـــك وابو حنيفة وجماعة كبيرة ان قليـــل الرضاع وكثيره سواء ، فيقع التحريم ولو بمصة واحدة . اخذا باطلاق الآية (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) فظاهرها يقتضي التحريم بكل ما يصح ان يطلق عليه اسم الرضاع دون تقييد بقدر معين . وتؤيد ذلك الاحاديث المتقدمة الواردة في تحريم الرضاع من غير تقييد .

قال الزرقاني على الموطا ومن المقرر انه اذا كان علماء الصحابة وائمة الامصار وجهابذة المحدثين قد تركوا العمـــل بحديث مع روايتهم له ومعرفتهم به كهذا الحديث اي حديـــث عائشة المتقدم فانما يتركونه لعلة كنسخ او معارض يوجب تركه، وللقاعدة التي تعتبر اصلا في الشريعة وهي انه متى حصل اشتباه في قصة كان الاحتياط فيهـــا ابرأ للذمـــة ومتى تعارض مانع ومبيح قدم المانع لانه احوط .

وقد شنع الشافعية على المالكية والحنيفة وغيرهم اهمالهم العمل بحديث عائشـــة الذي هو صريح بان التحريـــم كان بعشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس . ولئن سلم بان ظاهر الآية القرآنية وبعض الاحاديث الاطلاق فان هذا الحديث قد قيد فوجب العمل بمقتضاه .

وقد اخذت مدونة الاحوال الشخصية (الفصل 28) بمذهب الشافعي فاشترطت في التحريم ان يقع الرضاع خمس مرات على الاقل . وهذا ايضا مما خالفت فيه المدونة مذهب مالك .

كما نصت المدونة ايضا على ان الرضعة لا تحســـب الا اذا عدت في العرف رضعة كاملة .

4) شرط تحقق وصول اللبن الى جوف الرضيع

وهذا الشرط يوخذ من الحديث الشريف المتقدم (خمس رضعات معلومات) قال القرطبي وصفهـــا صلى الله عليه وسلـــم بمعلومات تحرزا عما شك في وصوله . والذي قال به المالكيـــة ان تحقق وصوله غير مشترط وان الظن كاف في التحريم وكذا الشك احتياطا .

ومدونة الاحوال الشخصية (الفصل 28 نصت صراحة على عدم التحريم الا بحصـــول اليقيـــن وهو موافق لما قاله القرطبي لكنه مخالف لمذهب مالك كما رأيت

هذه هي شروط الرضاع الذي يحرم به ما يحرم من النسب او المصاهرة . ويتلخص مما تقدم ان المعمول به حسب مدونـــة الاحوال الشخصية ان الرضاع لا ينشر الحرمة الا اذا توفـــرت الشروط الآتية :

1) وقوعه داخل الحولين ســـواء كان الرضيع مفطومـــا واستغنى بالطعام ام لا حسب ظاهر لفظ المدونة .

✶) قال الزرقاني في شرحه للموطا ان العشر نسخن بخمس ولكن هذا النسخ تاخر ولم يبلغ بعض الناس فبقي يتلوه قرآنا حتى بلغه النسخ فتـــرك تلاوتـــه فالعشر منسوخة الحكـــم والتلاوة والخمس منسوخة التلاوة فقط ، كآية الرجم . وليـــس المراد ان تلاوتها كانـــت ثابتـــة فتركوها لان القـــرآن محفـــــــوظ .

2) ان يبلغ عدد الرضعات خمسة على الاقل
3) لا عبرة بالرضعة الا اذا عدت رضعة كاملة في العرف
4) ان يحصل اليقين بوصول اللبن الى جوف الرضيع

ثانيا – طرق ثبوت الرضاع

1) شهادة رجلين – لا خلاف بين الايمة بان الرضاع يثبت بشهادة رجلين عدلين فان لم يكونا عدلين فلا تقبل شهادتهما ولو كان الرضاع فاشيا عند الناس على ما قاله اللخمي وقال ابن رشد تقبل شهادتهما ولو لم يكونا عدلين ان كان فاشيا وهو الراجح .

2) شهادة النساء – اشترط الشافعي وعطاء شهادة اربع نسوة على الاقل جريا على ان عديل كل رجل امرأتان . وقال مالك تقوم شهادة امرأتين مقام شهادة الرجلين جريا على ان ما لا يمكن فيه عادة حضور الرجال يكتفي فيه بامرأتين ويكونان بمنزلة الرجلين بشرط فشو الرضاع عند الناس قبل شهادتهما والا لم يعمل بشهادتهما ويأتي هنا ايضا الخلاف المتقدم بين اللخمي وابن رشد في شرط العدالة او عدمها .

3) شهادة رجل وامرأتين فاكثر – حكمها كحكم شهادة رجلين

4) شهادة رجل وامرأة – حكمها كحكم شهادة امرأتين

ويضاف الى ما تقدم من صور الثبوت اعتراف الزوجين وتصادقهما على وجود قرابة رضاع محرمة بينهما ، كما يثبت باعتراف الزوج وحده . اما اعتراف الزوجة وحدها فلا يؤاخذ به الزوج لاتهامها على ارادة فراقه الا ان تقع الشهادة بسماع ذلك منها قبل العقد .

واعتراف ابوي الزوجين المتراضعين (ابواهما الذكران او ابو احدهما وام الآخر) حكمه كحكم شهادة الرجلين الاجنبيين اذا كان الزوجان كبيرين . فان كانا صغيرين او سفيهين فيعمل باعتراف ابويهما قبل العقد ولو لم يكن فشو كما يعمل باعتراف ابي احدهما فقط اذا كان ولده غير بالغ . اما بعد العقد فلا قيمة لهذا الاعتراف في الصورتين معا . واما اعتراف الامين فكشهادة المرأتين الاجنبيتين .

ومما يثبت به الرضاع ايضا شهادة السماع باقرار احد الزوجين به قبل العقد . غير ان شهادة السماع يعمل بها قبل العقد فقط ولا يعمل بها بعده لان الزوجة تعتبر محوزه للزوج وفي عصمته بمجرد عقده عليها وقاعدة بينة السماع ان لا ينتزع بها من يد حائز .

ويعلم مما تقدم انه لا تقبل شهادة الرجل الواحد او المرأة الواحدة ولو كان الشاهد منهما عدلا ولو كان هناك فشو قبل العقد على المشهور .

ومما تجب الاشارة اليه انه يتعين على الشهود الذين لهم علم برضاع اثنين يحرم نكاحهما ان يبادروا باداء شهادتهم لمنعهما من النكاح فان سكتوا حتى دخل الزوج بزوجته المحرمة عليه في علمهم ثم قاموا بعد ذلك باداء شهادتهم فانها لا تقبل منهم ان لم يكن لهم عذر قاهر .

وهذه قاعدة في كل من رأى حقا من حقوق الله تعالى يغير عن سبيله ويتصرف فيه بما لا يحل وامسك عن القيام به فان شهادته لا تقبل فيما شهد به كما قاله ابن هلال وغيره .

ثالثا – آثار التحريم

اذا ثبت باحدى طرق الاثبات المشار اليها اعلاه اشتراك في رضاع جرت عليه احكام النسب لانه بمنزلته لقوله تعالى (وامهاتكم اللاتي ارضعناكم واخواتكم من الرضاعة) وقد عمم الحديث هذا الحكم بقوله صلى الله عليه وسلم (يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) فلا مفهوم لخصوص الامهات والاخوات في الآية . ومثل النسب المصاهرة .

وبناء على ذلك فمن ارضعته امرأة يعتبر ابنا لها وبالتالي تجري عليهما احكام النسب من تحريم النكاح وجواز النظر والخلوة والسفر معها دون احكام الميراث والنفقة كما يعتبر ابنا لزوجها صاحب اللبن .

والضابط في ذلك ما اشارت اليه مدونة الاحوال الشخصية (الفصل 28) بقولها : (يعد الطفل الرضيع خاصة – دون اخوته واخواته – ولدا للمرضعة وزوجها)

واذا كان يعد ولدا لها ولزوجها فان كل من يحرم نكاحه نسبا يحرم نكاحه رضاعا ، ومثل النسب المصاهرة ومحرمات النسب والمصاهرة معروفة فلا نطيل بذكرها .

غير انه تجب الاشارة الى ان الرضيع لا يعتبر ولدا لزوج المرضع الا اذا كان لبنها له اي ناشئا بسبب وطئه . والى ذلك اشار الشيخ خليل بقوله : (ولصاحبه اي صاحب اللبن من وطئه لا نقطاعه ولو بعد سنين)

فلو ان امراة توفى عنها زوجها او طلقها وهي ترضع ولدا له او كانت حاملا فوضعت ثم تزوجت بآخر وبثديها لبن فان هذا اللبن محكوم به للزوج الاول ولا يعد الرضيع في هذه الحالة ولدا للثاني ما دام لم يقع منه وطء فان وقع فان اللبن يشترك فيه كل من الزوجين وبالتالي يعتبر الرضيع ولدا لهما معا واليه اشار خليل بقوله (واشترك مع القديم) فلو تعدد الازواج تواليا ووقع منهم وطء ولم ينقطع منها لبن الاول كان الرضيع ابنا للجميع على الاشتراك .

وقد اتفقت المذاهب الاربعة وجمهور الائمة خلافا لربيعة وداود واتباعه على ان لبن الفحل يحرم . والاصل في ذلك ما جاء في موطا مالك والصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان افلح اخا ابن القعيس جاء يستاذن عليها وهو عمها من الرضاعة (كان ابو القعيس زوجا للمرأة التي ارضعت عائشة فهو ابوها من الرضاع واخوه افلح عمها منه ايضا) بعد ان انزل الحجاب (اي آيته) فابت ان تاذن له بالدخول عليها فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته بالتي صنعت فقال لها انه عمك فاذني له فقالت يا رسول الله انما ارضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل فقال انه عمك فليلج .

فدل الحديث على ان الرضاع تثبت به القرابة من جهة صاحب اللبن فيكون بمنزلة ابن الرضيع كما تثبت به من جهة المرضع فتكون بمنزلة امه لان لبن المرأة سببه ماء المرأة وماء الرجل معـــا .

واذا كان يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب كما تقدم فانه يحرم ابتداء ودواما نكاح من تجمعهما قرابة رضاع اذا كان مثلها نسبا محرما واذا وقع ان تزوج رجل بامرأة وكشف الحال اشتراكهما في رضاع وتوفرت فيه شروط التحريم التي بيناها سالفا وثبت ذلك باحدى طرق الاثبات المتقدم ذكرها فان نكاحهما يفسخ قبل الدخول وبعده لانه نكاح فاسد لعقده . ولا يكون هذا الفسخ طلاقا لانه نكاح محرم بنص القرآن والسنة واجماع الامة . وكل نكاح مجمع على فساده فانه يفسخ اي يفرق بين الزوجين من غير احتياج الى طلاق فكان نكاحهما لم يكن وهو والعدم سواء واذا توفى احد الزوجين قبل الفسخ فلا يرث الحي منهما الميت .

واما حكم الاولاد الناتجين عن هـذا النكاح الفاسد فانهم اولاد للزوجة مطلقا واما بالنسبة للزوج فان ثبت انه كان يعلم قبل العقد حرمتها عليه ومع ذلك تزوج بهـا فان الاولاد لا يلحقون ولا ينسبون اليه لانهم من محض زنـا وان لم يعلم بحرمتها عليه الا بعد النكـاح فان الاولاد اولاده ونسبهم اليه ثابت شرعا نظرا لحسن نيته وسلامة قصده والى ذلك اشارت المدونة في الفصل 37 (كل زواج مجمع على فساده كالمحرمة بالصهر منفسخ بدون طلاق قبل الدخول وبعده ويترتب عليه تعين الاستبراء وثبوت النسب ان كان حسن القصد)

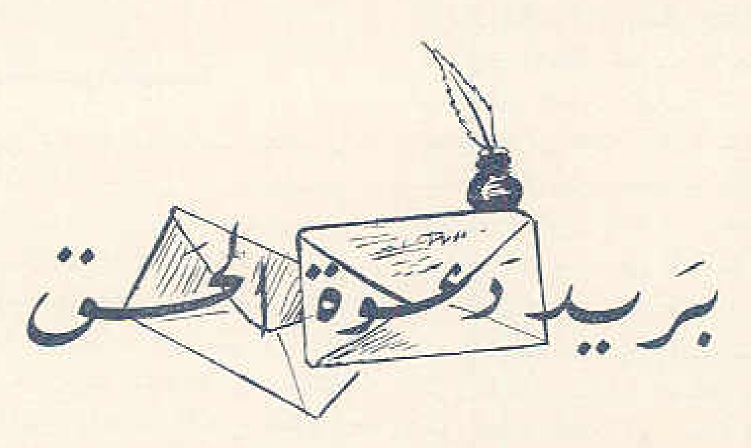
واعتقد ان ما عرضت اليه من بيانات واوضحته من احكام يفي بحاجة السائل ورغبة مجلة « دعوة الحق » . فان كانت الصورة التي يسال عنها تتوفر فيها شروط الرضاع المحرم التي اشرت اليها وثبت الرضاع باحدى طرقه المتقدمة فتترتب على ذلك آثار التحريم المذكورة وان لم تتوفر كل الشروط او توفرت ولم يثبت الرضاع فانه يلزمه فراق زوجته .

الرباط : الطيب البواب

الصـــدى

ســال الفضــا عنــه ، واصغــى للصــدى
كيمــا يجيــب ، فقـــال : مثــل مقالـــه
نــاداه : ايـــن (تـــرى) محـــط رحالـــه ؟
فــاجــاب : ايـــن (تـــرى) محـــط رحالـــه

ناصح الدين الارجاني



القى الينا بريد هذا الشهر طائفـــة من الكتب والمجلات والنشرات والرسائل في مختلف المواضيع : فمما ورد علينا من الكتب : « **الاعلام بحدود قواعد الاسلام** »

فقــد بعثت الينا وزارة الشؤون الاسلاميــة (كتاب الاعلام بحدود قواعد الاسلام) تاليف القاضي ابي الفضل عياض بن موسى بن عيـاض اليحصبـي السبتي بتحقيق وتقديم الاستاذ الكبيـر محمـد بن تاويت الطنجي

ويعتبر كتاب (الاعلام) السلسلة الاولى مـن مطبوعات وزارة الشؤون الاسلامية ، وقد طبع هـذا الكتاب بامر من امير المومنين صاحب الجلالة نصره الله ومعلوم ان وزارة الشؤون الاسلاميـة لها ادارة

تختص بالثقافة الاسلاميــة كالتاليف والترجمـة والنشر ، والنشـــرات الثقافيـــة والمحاضــرات والندوات ، وكل ما يتعلق بالاعـلام .

ولقد انجزت هذه الوزارة عدة كتب سواء منهـا المخطوط او التآليف الحديثة ، فقــد طبعت منــذ تاسيسهـــا :

1) مختصر العين : لابي بكر محمـد بن الحسن الزبيـدي الاشبيلي .

2) الاربعون حديثـا في اصطناع المعـروف : للمنـذري .

3) الاسلام دولة نظام : عبد الحي العمراني .
4) بقيت وحـدي : ابو بكـر اللمتونـي
5) ماضي موريطانيا المغربي : بالفرنسية .
6) الاعلام بحدود قواعد الاسلام : القاضي عياض

ويوجد تحت الطبع « ترتيب المدارك » للقاضي عياض ، وكتاب « التمهيد » لابن عبد البر ، « والاحكام الصغرى » لابن عبد الحق الاشبيلي . كمـا تعتـزم الوزارة طبع الكتب التالية :

البيان والتحصيل : لابن رشـد .
كتاب العلل لمعرفة الرجال : احمد بن حنبل .
شرح حديث ام زرع : للقاضي عياض .

والكتاب الذي بين ايدينا عبارة عن جواب مـن القاضي عياض لسائل طلب منه جمع « فصول سهلة المأخذ ، قريبة المرام ، مفسرة حدود قواعد الاسلام »

وهو مشكول بالشكل التام حتى يسهل على القاريء العادي تناوله في ابسط عبارة ، فقد الفه للمتعلميـن من اطفال المغرب وقصد فيه الى تفسير « قـواعـد الاسـلام » الخمس ، في لغة واضحة سهلة ، ابتعـد فيها عن كثير من التعابير والجمل الاصطلاحية بحيث اصبحت غير بعيدة عن مدركات الاطفال الذين الـف لهـم .

ويمتاز الكتاب بالمقدمة الهامة التي كتبها فضيلة الاستاذ الثبت الحجـة السيـد محمـد بـن تاويت الطنجي بعنوان : (حياة الاسلام في قواعده الخمس) وقد اثبتناها كاملة في هذا الصـدد .

ونحن اذ نشكر قسم الثقافة الاسلاميـة على هديته اللطيفة نرجو من الله ان يوفقـه على انجـاز ما تبقى من اعمال يقوم بها خدمة للفكـر المغـربـي والثقافـة الاسلاميــة .

كما تسلمنا هذا التقرير من المكتب الدائم للتعريب :

حول المعاجم العلمية

بعد الملاحظات التي توصل بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي على معاجم الرياضيات والفيزياء والكيمياء التي وضعها بتعاون مع خبراء الشعبة الوطنية المغربية (المركز الوطني للتعريب) ، تلك الملاحظات التي ابدتها شخصيات وهيآت علمية مرموقة وخصوصا بعض وزارات التربية في البلاد العربية ولجنة الكيمياء والصيدلة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجلس الاعلى للعلوم بسوريا الشقيقة وقسم التعريب بوزارة التربية بتونس :

وبعد تاجيل ندوة الرياضيات التي كان من المقرر ان تنعقد في اواخر شهر دجنبر (بناء على مصادقة معالي وزير التربية بالجمهورية التونسية وندوة علم الاحياء بالقاهرة اوائل سنة 1965) بناء على اقتراح معالي وزير البحث العلمي بالجمهورية العربية المتحدة وذلك تلبية لطلب الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية التي اقترحت تأخيرها حتى تقوم المنظمة العربية التي ستخلفها بناء على توصيات مؤتمر وزراء التربية العرب اواخر يبراير الفارط ، اما معجم علم الاحياء فان المكتب الدائم قد جرد جميع الكتب العلمية في الاسلاك الثلاثة وتوصل الى 300 14 كلمة بالفرنسية احالها على معاجمنا الموقرة وعلى الاتحاد العلمي العربي لوضع المقابل العربي لها اعدادا لتنسيق مناسب بين هذه المصطلحات وقد توصلنا باجوبة من هذه المجامع تؤكد انها احالت الالفاظ المذكورة على لجان مختصة لوضع مقابلها العربي ، وقد سبق لجامعة الدول العربية ان نظمت بعاصمة الجزائر مؤتمرا لتوحيد المصطلحات المعربة بين 12 و 15 يبراير 1964 وقدم المكتب الدائم معاجمه بما ادخل عليها من الملاحظات التي نسقتها تنسيقا أوليا بالرباط حلقة علمية ضمت كثيرا من اساتذة التعليم الجامعي العرب غير ان مشكل التوحيد لم يدرس في الجزائر ووصى المؤتمرون بترك ذلك للمكتب الدائم لاندراجه في اختصاصاته وعزز وزراء التربية العرب ببغداد هذا الاقتراح .

وان المكتب الدائم – نظرا لحالة الاستعجال التي عليها اقطار المغرب العربي فيما يخص تعريب مواد العلوم والرياضيات والفيزياء والكيمياء الذي دخل في حيز التطبيق وللصلاحية المخولة له من لدن مؤتمرات الرباط والجزائر وبغداد ونظرا للطلبات الكثيرة الواردة عليه من الاقطار العربية الاخرى التي تطالبنا بنسخ وافرة من المعاجم العلمية التي لايمكن توزيعها من جديد الا في طبعة منقحة مصادق على كثير من عناصرها (ومن جملة من طلب ذلك المجلس الاهلي للتعليم الثانوي بلبنان وقسم التخطيط بالقاهرة ووزارة التربية في المملكة السعودية .

قد كون لجانا للخبراء العرب في شعب العلوم لتقوم بمهمة تنسيق المشاريع المعجمية مع الملاحظات التي نتوصل بها من الهيآت والشخصيات العلمية من اجل اعداد طبعة اولى لهاته المعاجم تكون نواة اولى لكتب علمية موحدة يسهل استعمالها من طرف الاساتذة والطلبة والتلاميذ على السواء .

وستكون هاته الطبعة الاولى قابلة للتنقيح والتعديل وتشير اللجنة في اسفل كل صفحة من المعجم الى الدول العربية التي تنفرد بوضع مصطلح يخالف ما ارتاته هذه اللجنة على امل أن يتم نهائيا وضع المعاجم الموحدة في العلوم والرياضيات والفيزياء والكيمياء في اقرب وقت ممكن حتى تكتمل وحدة المصطلح العلمي في كافة انحاء العالم العربي ، وتنتفي تلك البلبلة التي طالما تذرع بها اعداء التعريب الداعين الى ابطاله وتاجيله الى عشرات من السنين حيث تزداد اللغة الاجنبية تمكنا من نفوس الاقطار التي ما زالت مبتلاة بها ويعسر اذ ذاك اي علاج لرد الحق الى نصابه والمياه الى مجاريها الطبيعية .

ومعلوم ان المكتب الدائم يعمل في نفس الوقت على استكمال الاداة العربية حتى يكون المصطلح العربي موحدا من جهة وموازيا لمجموع ما توصل اليه الفكر العلمي الحديث من جهة اخرى .

رابطة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

توصل بريد المجلة برسالة من جمعية اسمت نفسها « رابطة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهذه الجمعية انبثقت عن رابطة التجار للملابس العصرية والثياب وتجار الصناعة التقليدية بالرباط ، وهي تعمل لتحقيق الاهداف التالية :

ا – العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والسعي في تطبيقهما في جميع مرافق الدولة .

ب – التحكيم بكتاب الله وسنة رسوله فيما يحدث من خلافات دينية .

ج ـ العمل لبعث وبث الروح الاسلامية ، وتربية النشء تربيـة اسلاميـة .

د ـ حماية المقدسات الاسلامية مـن كـل عبث والدفاع عنهـا .

هـ ـ ربط الاتصال مع رابطة العلماء ، وكذا رابطة التجار بالمغرب ، وبجميع الهيآت الاخلاقيـة والتربوية والثقافية والتجارية والصناعيـة والرياضية والفنية وغيرها في نطاق لاسياسي، وتسهيل التعاون معهـا .

و ـ الدفاع في كل الظروف لدى كـل السلـط والهيات عـن المصالح الروحيـة والمادية سعيـا وراء تحقيق غاية تنعكس في تحسين الوضع الدينـي والاخلاقي والاجتماعـي للبـلاد .

و « دعوة الحق » لايسعها الا ان تـآزر هـذه الجمعية الفتية الاسلامية بالعون ، وتوثرها بالعطف ، مقدرة في افرادها هذه الغيرة الدينية التي تستهدف خدمة البلاد من الناحية الاخلاقيـة والاجتماعيـة ، وستفتح صدرها لكل النشاطات التي تقوم بها هـذه « الرابطة » حتى تعم الدعوة الاسلامية المحمدية فـي هـذه الربـوع المغربيـة .

عـواطـف وتحيـات ....

مـن دمشـق :

القى الينا بريد المجلة رسالة رقيقة من فضيلـة الدكتور زكي المحاسني مدير التراث القديم ، ودائرة المعارف في وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقطـر السـوري يثني فيها على مجلتنا ومن جملـة ما جـاء فـي رسالتـه :

« .... طربت ولعب نظري على الالوان الجميلة الزاهية ، في عدد نوفمبر 64 من دعوة الحق في حلتها القشيبة الجديدة ولست اشك في ان هذا اثر من آثار التوثـب فيهـا .... »

وسوف نضيف الى سرور الدكتور ما طلبه منا في رسالة خاصة باذن الله ، واننـا سنعمل ان شـاء الله على نشر بحوثك التي وصلتنا في اعدادنا المقبلة . ودعوات لكم بالتوفيق والنجـاح .

من دمشق ايضـا :

بعث الينا الاستاذ المحترم السيد نعيـم قـداح رسالة يطلب منا فيها ان نحيطه علما بموضوع كتاب يقـول عنه بان ادارة مجلتنـا قد تسلمته بتاريـخ 24 / 10 / 1964 عن طريق احـد اعضاء السفـارة السورية بالرباط .

ونجيب الاستاذ الجليل باننا بحثنا في الموضوع ، واتصلنا فعلا باعضاء السفـارة السورية المحترمين ، واخبرونا بانهم لم يتسلموا أي كتـاب ...

واننا من جهتنا سنبعث لكم جريا على عادتنا باعداد مجلتنا « دعوة الحق » في الاشهر المقبلـة ان شـاء اللـه .

مـن ابادان ـ نيجريا :

كتب الينا الاستاذ الحاج كامل حسين الاووي رئيس المركز الاسلامي ، ومديـر مركـز الدرراسات العربية الاسلامية رسالـة مؤرخـة بهذا التاريـخ 31 / 12 / 64 جـاء فيهـا :

الى المسؤول عن مجلـة « دعوة الحق » المكـرم بعد التحية والتقدير والاحترام

يسرني جدا ان انهي الى حضرتكم بان اعـداد مجلتكم القيمة التـي تتشرفون باصدارهـا لخدمـة الاسلام الحنيـف ، وبث دعوته في ربوع العالم العربي والاسلامي ، والتي تزودوننا بعدد من نسخها الشهرية، قد قوبلت في مكتبة مركزنا الدراسي كل الاقبال لدى مثقفي اللغة العربية في هذه البلاد ،وما زلتم تواصلون هذه الخدمة تجاه الاسلام واحياء تراثه المجيد الـى الغاية المثمرة والى الاهداف المطلوبة ، ولا سيمـا لما رايت بام عيني نسخة منها في (مكتب رابطة العالـم الاسلامي) حينما تشرفت بزيارتها في مكة المكرمة ، وذلك في نطاق زيارتي للبلا العربية على راس وفـد نيجريا لتعزيز علاقات مسلمي نيجريا بالعرب ...

هذا ، ويسرني جدا لو تفضلتم بنشـر اعـلان مركزنا الاسلامي في مجلتكم القيمة حتى يتفضل جميع محبي الدين الاسلامي ونشر اللغة العربية بان يبعثوا الينا المساعدات المادية لكي نتمكن من بناء مدرستنـا الاسلامية في الوقت المناسب ، وكذلك بان يمـدوا مكتبتنا ومركزنا الاسلامي بالكتب العربية .

كما نرجو اعلامنا فيمـا اذا كنتم تنشرون لنا جميع مقالاتنا حول الاسلام كما نبعث بالمقالات الـى المجلات الاسلامية في العالم الاسلامي .

ونود منكم ان لا تجعلوا كلامنا هذا سجينا فـي قفص ، او رقما على المـاء ... ! !

لبيك وسعديك ، ومجلتنا تفتح صدرها لجميع ما يرد عليها من اقطار العالم الاسلامـي ، وسنزودكم بجميع المعلـومات الضـرورية التـي طلبتموها ، كمـا سنبعث لكم باعداد منها في اوقاتها المناسبـة .

ومـن المغـــرب :

كتب الينا فضيلة الاستاذ الدكتور تقي الديـن الهلالي المحترم رسالة تتضمن احصائيات عن المسلمين والحياة الدينية في الولايات المتحدة وهذه الرسالـة تتميم لما يكتبه فضيلته من ردود حول مقال « تقـد العوائق النفسانية للتخطيط » الذي يرد به على مقال كان قد نشره الاستاذ رينـه حبشـة في صحيفـة « التخطيط التربوي في البلاد العربية » .

ولقد تلقى فضيلته هذه الرسالـة من مكتب الاستعلامات الامريكية بالرباط وهذه صيغة الرسالة:

« عزيزي البروفيسور الدكتور تقي الدين الهلالي ارجو من فضلكم المعـذرة في تاخيـر الجـواب عـن سؤالكم المتعلق بالحياة الدينية في الولايات المتحدة ، فان هناك امورا مستعجلة منعتني من مراجعة الاحصـاء الـذي التمستم معرفتـه .

تفضلوا فانظروا في الاحصاء اسفله تجدوا العدد الذي تهمكم معرفتـه :

« مجموع عدد الاشخاص الذين اعلنوا عـــدم انتسابهم لاي دين في احصاء سنة 1960 ثلاثة ملايين ومائة وخمسة وتسعون 3.195 000 من مجمـــوع السكان البالغ عددهم مائة وتسعون (190) مليونا ، والعدد الاكبر من هؤلاء هم بلا شك مـن المتوقفيـن اللاادريين ، او غير المتمسكين بالمسيحية تمسكا عمليا لا من الملحدين المنكرين (لوجود الباري) .

المخلص : « مالكولم ماكونيل » مساعد ملحـق الشؤون الثقـافيـة .

مقـالات واحاديث وقصائـد وقصص

كما يحمل بريد المجلة كل يوم طائفة من المقالات والبحوث العلمية والادبية قصد نشرها على صفحات مجلتنـــــا .

ونظرا لوفرة ما لدينا من مواد ، فان كـل بحث سياخذ مكانه حتى ياتي دوره للطبع .

كما اننا نتسلم « مقالات » وقصائد بمناسبـات خاصة كالحديث الذي بعثه السيد محسن عبـد الله والذي يحمل عنوان : « رمضـان هل هلالـه » فهـذا ندخره الى فرصة اخرى ، والكلمة التي بعثهـا الينـا الاستاذ السيد محمد العلمي الملحق الصحفي للمكتب الدائم لمؤتمر التعريب ، بعنوان « ماذا بعـد مؤتمـــر بغـــداد » يظهر انه قد فاتت مناسبتها ، ونرجو من الاستاذ العلمي ان يزود مجلتنا بابحاثه العامرة .

وبعث الينا الاستاذ السيد الراجـي التهامـي الهاشمي مقالا بعنوان (لم يكن القـــرآن بلغـة قريش فحسب) وهو يرد به على ما نشر بمجلـة « الاديب » البيروتية في ركن « بريـد الاديب » على مراسلـــة الاستاذ عبد الخالق عبد الرحمن في تعقيبه على مقال للاستاذ حسن الكرمي ، الذي نشر في عـدد يوليـو 1964 من نفس المجلـة .

والحقيقة ان الرد الذي قدمه الاستاذ السيـد الراجي التهامي الهاشمي ممتع وعميق ، وسنعمل على نشره حينما نتسلم بقية الحديث .

والى فرصة اخرى في عدد مقبل ان شاء الله .

أنباء ثقافية

※ شارك الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس ورئيس المجلس التنفيذي لمنظمة اليونيسكو في الحفلة الافتتاحية للجنة المكلفة باعداد قاموس عربي وانجليزي التي انعقدت مؤخرا ببيروت والتي تضم خبراء من لبنان ، والعراق ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، والمغرب .

※ ترجمت الى الصينية احدى قصص الاستاذ عبد المجيد بن جلون (عائشة) اخذت من مجموعته (وادي الدماء) وقد نشرت القصة في احدى المجلات الشهيرة مقدمة بترجمة للاستاذ ابن جلون .

※ ستقام في تونس احتفالات بمناسبة ذكرى ميلاد الشاعر التونسي المرحوم ابي القاسم الشابي ، وستقام هذه المهرجانات الثقافية ما بين 24 و 28 فبراير القادم ، وقد دعت الحكومة التونسية نخبة من رجال الادب في مختلف انحاء البلاد العربية .

وسيقوم بتمثيل المغرب في هذا المهرجان الاستاذان عبد الكريم غلاب ، وعبد الله كنون .

※ مثل الاستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني ، رئيس قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط ، المغرب في الدورة السادسة لمؤتمر العالم الاسلامي ، الذي عقد بمدينة موقاديشو عاصمة جمهورية الصومال ، وذلك من 26 دجمبر 1964 الى 2 يناير 1965 . وقد افتتح هذه الدورة السيد عبد الله عدر عثمان ، رئيس جمهورية الصومال .

※ تم في اواخر شهر نوفمبر تدشين الخزانة العمومية في « الحاجب » من لدن رئيس جامعة محمد الخامس الاستاذ محمد الفاسي . وقد كانت من قبل كنيسة .

※ نظمت وزارة الشبيبة والرياضة حلقة دراسية في موضوع « الطفولة المنحرفة بالمغرب » وقد ضمت هذه الحلقة قضاة الاحداث ، ورجالا عن الامن الوطني وادارة السجون ، وكذا مديري مراكز التربية ، والمندوبين الدائمين التابعين لهذه المراكز وبعض الشخصيات التي تهمها شؤون الطفولة .

※ صدر للاستاذ السيد عبد الله كنون كتاب جديد بعنوان : « مفاهيم اسلامية » عن دار الكتاب اللبناني بيروت .

※ صدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي كتاب « البيان المغرب لابن عذارى » قام بتحقيقه وتقديمه الاستاذان : ابراهيم الكتاني ، ومحمد بن تاويت .

※ عقد لاول مرة بالرباط مؤتمر الرسامين المغاربة ، درست خلاله اهم المشاكل الفنية ، واتخذ المؤتمر عدة قرارات لصالح الفن والفنانين المغاربة .

※ (الجامع الكبير في احاديث البشير النذير) الذي جمع فيه الامام السيوطي سيرة النبي محمد (ص) ، تولى تصويره الدكتور عبد الحليم محمود مع علي عبد العظيم وتقرر طبع هذا المرجع الاسلامي الكبير الذي لا توجد منه في العالم غير نسختين احدهما في تونس .

※ افتتح مؤخرا السيد جومو كينياتا رئيس جمهورية كينيا معهد العلوم السياسية الذي يحمل اسم الشهيد « لومومبا » ، وسيكون المعهد مركزا للدراسات كما يعتبر كذلك مركزا للابحاث على نطاق افريقي .

❋ على اثر الاجتماع الذي عقدته اللجنتان التنفيذيتان لاتحاد وكالات الانباء الافريقية بياوندي علم انه تم تاليف مكتب لتنسيق الانباء في القارة الافريقية .

❋ تنوي الحكومة التونسية ان تقوم بمساعدة اليونيسكو بانشاء مركز لتدريب المكتبيين وذلك بالاضافة الى انشاء مكتبة عامة في تونس يقصد اليها الطلاب لمواصلة دراستهم العلمية ، وسيكون هذا المشروع بمثابة نموذج يحتذى به في مختلف انحاء البلاد .

❋ منح الدكتور وليام الميري التفرغ لمدة سنة لوضع دراسة عن المرحوم العقاد .

❋ انهى السيد نصوح طاهر ، من وضع كتاب باسم « اصول القبائل العربية » .

❋ تقاسم جائزة شوقي للشعر اثنان من الشعراء هما : محمد التهامي عن ديوانه « من الشعر القومي » وعبد العليم القباني عن ديوان « اشعار قومية » .

❋ صدر في القاهرة كتاب « عثمان بن عفان » للاديب الراحل محمد حسنين هيكل ، كما صدر له كتاب الامبراطورية الاسلامية والاراضي المقدسة .

❋ صدر لانيس منصور كتاب جديد عن دار القلم بالقاهرة ، عنوانه « قالوا » وقد جمع فيه اقوالا كثيرة من المفكرين والشعراء .

❋ صدرت طبعة جديدة من حديث عيسى بن هشام للمرحوم محمد المويلحي في سلسلة مؤلفات المكتبة العربية .

❋ تصدر قريبا للشاعر محمود حمي اسماعيل ملحمة « رياح المغيب » وكان الشاعر قد نظمها منذ اكثر من عشر سنوات .

❋ (الاخطاء العامية الشائعة في الاندلس وصقلية وبغداد من القرن الرابع الى السادس الهجري » موضوع رسالة الدكتوراه التي تقدم بها عبد العزيز مطر في كلية دار العلوم بالقاهرة وناقشها الدكتور ابراهيم انيس ، وعبد السلام هارون ، وحسن عون .

❋ اصدرت الجامعة العربية مجموعة من الوثائق والنصوص عن الدساتير وقوانين العمل والجنسية في البلاد العربية .

❋ (النقد الادبي عند الدكتور طه حسين) موضوع رسالة ماجستير قدمها الى كلية آداب القاهرة سامي البدراوي مدرس اللغة العربية في الجامعة الامريكية تتناول تاريخ اسرة الدكتور طه حسين من ايام جده الذي يقال ان اصله يوناني (! ؟) ثم انتقل سامي الى الاشخاص الذين اثروا في حياته .

❋ صدر الجزء الاول من (رسائل الجاحظ) تحقيق عبد السلام هارون .

❋ اعلنت الجامعة العربية مقاطعتها (لندوة البحر الابيض المتوسط) التي يراسها البروفسور لابيرا نظرا لخضوع الندوة للتوجيهات الصهيونية .

❋ اول جمعية فلسفية تم تكوينها في مصر يراسها حسن ظاظا . اول نشاطها هو اصدار مجلة شهرية .

❋ شكل مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة هيئة علمية لاصدار موسوعة عن العلوم الاسلامية تشمل دراسة الفقه الاسلامي المقارن بالقوانين الوضعية كما تشمل وضع دائرة معارف الاعلام الموجود بالقرآن .

❋ يصدر قريبا اول ديوان شعر لكامل الشناوي .. يضم 30 قصيدة رسمها الفنان يوسف فرنسيس .. كتب كامل الشناوي مقدمة للديوان عرف فيها معنى الشعر بقوله انه لايكفي ان ينبض الشعر في قلب الشاعر ، وانما يجب ان ينقله الى قلوب الناس .. وهو لا ينتسب الى مدرسة معينة في الشعر ، فهو ليس واقعيا ولا رمزيا رومانسيا ، ولكنه فنان يتساءل عن مصير الانسان .

❋ امير الكويت اهدى الى دار الكتب المصرية كتاب (التاج المكلل لابي الطيب الشنيطي القنوجي) .. الكتاب عبارة عن تراجم علماء المسلمين من سنة 1832 الى 1890 .

❋ الشاعر عبد الرحمن صدقي المدير السابق لدار الاوبرا والمدير الحالي لفرقة القاهرة الاستعراضية يقوم في الوقت الحاضر باعداد كتاب عن ذكرياته مع

المرحوم عباس محمود العقاد . وانتهى عبد الرحمن من تسجيل ذكرياته الفنية والادبية مع العقاد وقد نشر فيها فصولا وآراء وقصائد كتبها العقاد كانت مطوية .

* تقوم وزارة الاوقاف في العربية المتحدة الآن بتنفيذ مشروع تزويد المساجد بمكتبات تضم الكتب الجامعية مساهمة منها في التخفيف عن الطلبة الذين يعجزون عن شرائها وستزود هذه المكتبات الى جانب الكتب الجامعية بالكتب الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، ويتكلف تنفيذ هذا المشروع ثمانية آلاف جنيه وستصرف الوزارة اعانات تاسيسية لكل مكتبة مقدارها 500 جنيه واعانات بصفة دورية مقدارها 150 جنيها . كما تعمل الوزارة على نشر وترجمة الكتب الاسلامية الى لغات الدول التي ينتشر فيها الاسلام ويتكلف مبلغ 7 آلاف و 500 جنيه .

* يصدر قريبا كتاب (مستقبل الاسلام) وهو آخر مؤلفات المرحوم الاستاذ محمد سعيد العريان .

* اوشكت مكتبة الاسكندرية من اعداد فهرس جديد موحد لمحتويات المكتبة وفق احدث النظم العالمية في تنظيم المكتبات .

* في 400 صفحة صدر كتاب فرنسيس فرجسون ترجمة وتعليق جلال العشر وراجعه دريني خشبة . والكتاب يتضمن دراسات تطبيقية لروائع المسرح العالمي .

* الاخطل الصغير سيصدر له كتابان هما : « كبرياء واصفيا » مشتمل على قصائد و « في الادب والسياسة » . وهو مجموعة مقالات .

* يقوم عدد من كبار الفنانين الايرانيين في مدينة اصفهان بصنع ضريح من الذهب والفضة الخالصين ليوضع فوق مرقد الامام العباس بن ابي طالب الذي استشهد في القرن السابع الميلادي مع اخيه الامام الحسين في واقعة كربلاء ؛ ويوجد مرقد الامام العباس في مدينة بجنوب العراق .

* انعقد في الشهر الماضي ببغداد المؤتمر الهندسي العربي التاسع . وقد درس هذا المؤتمر التعليم الهندسي ، واستثمار الثروات المعدنية في البلاد العربية ، والتخطيط للخدمات العامة ، والتطور العمراني ، والفن في البلاد العربية .

* اكتشف بالقرب من بيزيناس محافظة الهيرو ، مقبرة جديدة تعود الى حوالي 700 سنة قبل الميلاد ، وذلك في هضبة سام سيمون .

* عقد في بغداد مؤتمر الموسيقى الشرقية . وقد اشترك في هذا المؤتمر الذي انعقد برعاية منظمة اليونيسكو والجامعة العربية ممثلو عدد من الدول العربية من بينها المغرب ، وممثلون عن الاتحاد السوفيتي ، وتشيكوسلوفاكيا ، والمجر ، والمانيا الشرقية ، واسبانيا ، وتركيا ، والهند ، وخلال المؤتمر استمع الحاضرون الى تسجيلات ذات قيمة فنية ، وخاصة من الموسيقى المغربية والعراقية .

* يصدر قريبا للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي الاستاذ بكلية الدراسات العربية بجامعة الازهر كتاب عن (الجاحظ) في سلسلة اعلام العرب في نحو 400 صفحة .

* وافق المجمع العلمي العراقي على تقديم المساعدة لطبع ديوان السيد عبد الرزاق الهاشمي تحقيق الاستاذ عبد الله الجبوري .

* في سلسلة مكتبة الثقافة الاسلامية التي تصدر عن دار « الاضواء » في النجف الاشرف صدر كتابها الاول وعنوانه : (القرآن والاحوال المناخية ـ دراسة قرآنية كليمتولوجية) بقلم الاستاذ محسن عبد الصاحب .

* صدر عن دار منشورات البصري كتاب بعنوان « 200 كلمة للامام علي بن ابي طالب عليه السلام » جمعها ونشرها الاستاذ علي البصري .

* صدر مؤخرا للاستاذ كامل السامرائي مدير المكتب الفني بمحكمة تمييز العراق مجموعة (المرافعات المدنية والتجارية وتعديلاته بصورة موحدة) . وقد اشرف عليها وقدم لها بمقدمة توضيحية .

* باشرت مطبعة دار المعارف طبع معجم للمخطوطات العراقية يتضمن القسم الاول منه : الادب ، والشعر ، والتاريخ ، للاستاذ علي الخاقاني .

※ باشر الاستاذ علي الخاقاني تحقيق وطبع ديوان بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي المتوفي 673 وهي نسخة فريدة ظلت مجهولة ثمانية قرون . وكذلك قام بتحقيق ديوان السيد عبد المطلب الحلي .

※ صدر للاستاذ كامل السامرائي مؤخرا كتاب « مجموعة قانون العقوبات البغدادي » بتعديلاته وذيوله الاخيرة ، كما صدر له كتاب : « قانون اصول المرافعات المدنية والتجارية » مع ذيله .

※ اعاد مشروع الكتاب العربي طبع بعض كتب الغزالي : « مشكاة الانوار » و « المنقذ من الضلال » و « التبر المسبوك » و « القسطاس المستقيم » .

※ افتتح في دمشق « اسبوع العلم الخامس » القيت فيه عدة محاضرات علمية وعرضت فيه كتب جديدة .

※ نشر الدكتور جورج روهو طبيب فرنسي يعيش ويعمل في لندن كتابا بالانجليزية اعتبره النقاد اول كتاب جامع لتاريخ العراق السياسي والثقافي والاقتصادي منذ قبل التاريخ حتى اوائل العهد المسيحي .

※ صدر اول ديوان باسم « اغنيات الصمت » لعبد الرحمن عمر .

※ علم بان الدكتور احمد سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا تلقى مؤخرا شهادة الدكتورة الفخرية في فقه الاسلام ، وذلك اثناء احتفال جرى في قصر الحكومة في جاكارطا .

※ اعلنت وكالة انباء الصين الجديدة ان العلماء الصينيين اكتشفوا قرب « سيان » جمجمة للانسان الاول في حالة جيدة ويقدر بان تاريخها يعود الى ما قبل 500.000 سنة 600.000 سنة ، وقالت الوكالة انه يعتقد بان الجمجمة التي عثر عليها مع اشياء اخرى متحجرة تعود الى اوائل العهد الجليدي المتوسط .

※ في بيروت صدر الجزء الثاني من كتاب « مصادر الدراسة الادبية » ليوسف داغور ويشتمل على ترجمات ادباء النهضة الراحلين من عام 1880 الى 1930 .

※ اعلنت السفارة الايرانية بلندن في بلاغ نشرته بان ثمانية دول قد وافقت على اقتراح ايران المتعلق بعقد مؤتمر عالمي في طهران يضم وزراء التهذيب الوطني في تلك الدول لاتخاذ القرارات اللازمة لمقاومة الجهل في العالم . وهذه هي اسماء الدول التي اعطت موافقتها حتى الآن : فرنسا ، وسويسرا ، والاتحاد السوفياتي ، وايطاليا ، وتونس ، ورواندا ، والكامبودج ، والسويد ، والدانمارك ، والمجر ، والنمسا ، وفينلاندا ، والحبشة ، والاردن ، والصومال ، والطوغو ، والشيلي

※ صدر احصاء في روسيا يشير الى ان اكثر من 40 كتابا عربيا قد نشر في الاتحاد السوفياتي في غضوان السنوات العشر الماضية . وتشتمل هذه الكتب على روايات ، وقصص ، ومجموعات قصص قصيرة . وقد ترجمت الى الروسية روايتان كبيرتان لتوفيق الحكيم : (عودة الروح) و (مذكرات نائب فى الارياف) وكتب لنجيب محفوظ ، وطه حسين ، ومحمد ديب .

※ اكتشف علماء الآثار الامريكيون مدينة سيباريز التي يعود تاريخها الى 2 500 سنة الواقعة في جنوب ايطاليا .

※ في 20 اكتوبر الماضي افتتح في معرض اليونيسكو معرض « خاص » بالحملة الدولية لانقاذ آثار النوبة ، وذلك بمناسبة افتتاح الدورة الثالثة عشر للجمعية العمومية لليونيسكو .

※ « السلام العالمي ايضا يمكن الوصول اليه » هذا هو الموضوع الذي تخيره اتحاد المحاربين القدماء العالمي للمسابقة الدولية للتصوير الفوتوغرافي . وقد حددت خمس موضوعات لتناول الفكرة الفنية : حقوق الانسان . نزع السلاح . التنمية الاقتصادية . اعادة تأهيل المصابين والتعاون الدولي . التفاهم المشترك . وتتوج المسابقة بجائزة كبيرة تشاركت في اعدادها عدة منظمات ومؤسسات دولية .

※ مسؤولية الصحفي في عالم اليوم ؟ كان هذا موضوع ندوة شهر اكتوبر التي نظمها في مدينة ستراسبورج المركز الدولي للتعليم الصحفي العالمي .

※ تم في منتصف شهر دجنبر توزيع جوائز نوبل سنة 1964 في غيبة « جان بول سارتر » ، وفي

الوقت الذي هم الملك جوستاف السادس ملك السويد بتسليم الميداليات الذهبية للفائزين بالجوائز قام الدكتور آندريسو من الاكاديمية السويدية بقراءة الخطاب التالي :

« أن جائزة نوبل للآداب قد منحت هذه السنة للكاتب الفرنسي « جان بول سارتر » لكتبه الغزيرة والمليئة بالافكار ؛ ذلك الكاتب الذي له أكبر الاثر على عصرنا بنزعته التحررية وبحثه الدائم عن الحقيقة » .

※ انتخب المؤتمر العام لليونيسكو الذي عقد بباريس في العشرين من اكتوبر الماضي الاستاذ نوايير باريس سيساكيان عضو اكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي رئيسا للدورة الثالثة . وبهذه المناسبة القى الاستاذ المذكور خطابا قيما .

※ انعقد اخيرا في جاكارطا مؤتمر اسلامي حضرته وفود من الاتحاد السوفيتي ، والباكستان ، والجمهورية العربية المتحدة .

※ انتهى الاستاذ انور الجندي من تحرير كتابه القيم عن « الفكر الثقافي العربي المعاصر في المغرب » . وقد قرر المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة طبع هذا الكتاب وسيصدر قريبا في نحو 300 صفحة من القطع الكبير .

※ افتتح بواشنطن معرض الفن الافريقي تحت شعار الشخصية الافريقية . ويضم هذا المعرض مائتي قطعة اثرية منحوتة من 18 دولة .

※ قرر المؤتمر العام لليونيسكو انضمام الملاوي الى الدول الاعضاء بالمنظمة ، وبها يصبح عدد هؤلاء الاعضاء 116 دولة كما قرر المؤتمر ايضا ضم مجموعة الانتيل البريطانية الشرقية ، بصفة اعضاء متضامنين .

